الصبح المنبي

عن حيثية المتنبي

تأليف

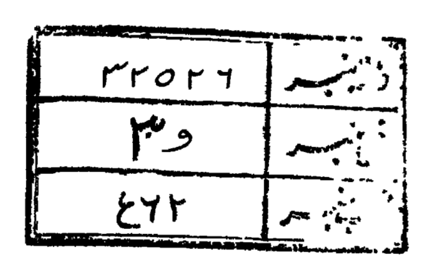
الشيخ يوسف البديعي

المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ

عنيت بنشره

مكتبة عرفة بدمشق

مطبعة الاعتدال
١٥ ـ ٧ ـ ١٣٥٠



بسم الله الرحمن الرحيم

عرفت الصبح بهامش العكبري وحاولت افراده بطبعة انيقه بيد اني رأيتها نسخة مشحونة بالتصحيف فتهيبت الاقدام على ذلك ثم عثرت على نسخة مخطوطة في مكتبة الصديق الفاضل السيد محمد سويد فجددت العزيمة على طبعها مع زيادات فيها تبلغ الكتاب واكثر التصحيحات التي في هذه الطبعة ماخوذة من هذه النسخة المخطوطة النفيسة

وقد رجونا الاديب الكبير الاستاذ التنوخي ان يقدم الصبح لقرائه فتفضل علينا بهذه الكلمة الطيبة التي يزدان بها جيد الصبح وتكرم حفظه الله بتصحيح الاخطاء في هذه الطبعة فأثبتنا التصحيحات في اول الكتاب ليتسنى التصحيح قبل القراءة والله نسال ان يوفقنا لنشر المفيد النافع من اثار سلفنا الصالح

الناشر

محمد ياسين عرفة

المقدمة
ـ ٢ ـ

بقلم الاديب الكبير الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي
عضو المجمع العلمي العربي

الشعراء قبيلان : منهم من يؤثر المعاني الدقيقة على المباني الرشيقة ان لم تتحقق لهم المزيتان معا ، ومنهم من يرى العكس امنية النفس ، وعباقرة الشعر اولو القلوب الكبيرة والنفوس الطامحة لا يرون الشعر الا ماعبر لهم عن عاطفة تستفز الشعور او ادى لهم معنى دقيقــا يجول في الصدور ، اوصور لهم تصويراً عجباً يستهويهم اتقانه ، ويطير بالبابهم جماله ورياته ، فهم لفرط اهتمامهم بالمعاني وشدة هيــامهم بتوليدها ، يهجمون على الشعر هجومــا ، يقتحمون به قلاعه ، ويحتلون به رباعــه ، فتارة يظفرون بالمعنى السني في المبنى السري ، وتجد لهم تارة اخرى من العبارات المتخاذلة ، والالفاظ المتنافرة ما تراهم له مسفسفين وفي المؤخرة من موكب الشعراء متخلفين ، ذلك هو شان النبوغ الذي لا تتماثل في الاعجاز آياته ، ولا تستوي آثاره وحالاته . وقد امتاز المتنبي على معظم الشعراء بانه عرف الحياة وسبر روح الجماعات فصورها احسن تصوير ، وعبر عن مرامي النفوس واهوائها ادق تعبير ، فامتلأ لذلك شعره بالحكم والامثال وغدت اقواله مرآة المجتمع والاحوال ، ولهذا كان شعره المنتزع من المجتمع والمعبر عما فيه من افراح واتراح هدى النفوس وهوى الارواح ، الشعر الانساني لا الوجداني الخاص بالفرد يخلد خلود الدهر ، ويكتب له النصر في كل عصر ، فيكثر حافظوه ، ودارسوه ومدرسوه ، والمتعصبون له او عليه ، ومن هذا النوع الخالد كثير من شعر ابي الطيب المتنبي الذي لايزال مالئ الدنيا وشاغل الناس .

اجل شغل المتنبي الناس زمناً طويلا فشرح ديوانه الخالد نيف وخمسون عالما واديبا منهم المتحزب له وعليه كالعكبري والواحدي وابن جني والمعري من المتقدمين ، وكالبديعي واليازجي والبرقوقي من المتأخرين ، وامتاز من بينهم البديعي بجمع كثير من اخباره وبيان ماوقع له مع من عاصره من العلماء والادباء ، مما يعين على اكتناه المتنبي وكشف خبيئته ومعرفة مجتمعه وبيئته ، وكثيراً ماصعب تقدير شعر الشاعر او نثر الناثر للجهل بتاريخهما ومجتمعهما وبيئتهما ، ولهذا استمد من كتاب البديعي الذي وسمه بالصبح المنبي عن حيثية المتنبي معظم من جاء بعده من العلماء والادباء الذين قرأوا المتنبي وبحثوا عنه فحمدوه او نقدوه ، فمن هو البديعي هذا الذي اجاد وافاد بكتابه ، وما هو سجل خطأه وصوابه :

أول من ترجم المصنف الشيخ يوسف البديعي رحمه الله هو المولى المحبي في الجزء الرابع من تاريخه خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر واصفا اياه بانه الاديب الذى زين الطروس برشحات اقلامه ، فلو ادركه البديع لاعتزل صنعة الانشاء والقريض عند استماع نثره ونظامه ، خرج من دمشق في صباه فحل في حلب فلم يزل حتى بلغ الشهرة الطنانة في الفضل والادب ، والف المؤلفات الفائقة منها كتابه الصبح المنبى عن حيثية المتنبي وكتاب الحدائق في الادب ولما رأى كتاب الخفاجي الريحانة عمل كتابه ذكرى حبيب فاحسن وابدع واطال واطنب واعرب عن لطافة تعبيره وحسن ترصيعه الا انه لم يساعده الحظ في شهرته فلا اعلم له نسخة الا في الروم عند استاذي الشيخ محمد عزتي ونسخة عندي وله شعر كثير اوردت منه في كتابي النفحة مافيه مقنع ثم ولي قضاء الموصل ثم توفي بالروم سنة ١٠٧٣ هجرية .

وكتابه « الصبح المنبي » هذا لم تبعثه من مرقده الا المطبعة الشرفية في مصر ولكنها نشرته ناقصا مبتورا على هامش شرح التبيان للعكبري المطبوع على ورق خشن اصفر ، ولهذا لم ينتفع بما في الصبح من العلم والادب الا من اشتملت مكتبته

على التبيان دع عنك رداءة طبعه وقذة لونه وكثرة نواقصه واغلاطه المطبعية والوزنية والنسخية الاولى .

والى جوانب هذه الشوائب في الطبعة الاولى نرى انه لايخلو الكتاب من شوائب معنوية قد تبدو لعين الناظر كالنمش على الخد الناضر منها : ان البديعي لم يستوف جميع اخبار المتنبي الادبية واحوال حياته الاجتماعية مما جاء بعضها في كثير من الامهات كالعكبري والواحدي وغيرهما لان هذه الاخبار والحادثات من احسن الوسائل لتحليل نفسية الشاعر ومعرفة مبلغه من الفضل كحادثة ابن خالويه حينما انشد ابو الطيب قصيدته التي مطلعها :

وفاؤ كما كالربع اشجاه طاسمه   بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

فان ابن خالويه هذا كان حاضر الانشاد فقال للمنبي تقول : اشجاه وهو شجاه لانه اذا جاء المتعدى من الثلاثي فلا يجوز المجيء به من غيره بتعديته بالهمز او التضعيف فقال له المتنبى اسكت ليس هذا من علمك انما هو اسم لا فعل التفضيل :

وقد يذكر البديعى بعض هذه الاخبار مقتضبة لاتشفى الغليل كخبر انتقاد سيف الدولة على المتنبى لترتيب قوله : « وقفت وما في الموت شك لواقف » الى آخر البيتين وكان ينبغي له ان يذكره بتفصيل العكبرى والواحدى الذى نقله عنهما الاستاذ البرقوقي في شرحه الجديد برمته ذلك ان مثل هذا الكتاب المحرر للمتنبي وحده كان حقيقا به ان يستقرى اخبار ابي الطيب فلا يدع صغيرة ولا كبيرة الااحصاها .

وكما يجدر بالاستاذ الذى يشرح ابيات المتنبى لطلابه ان يحدثهم بتاريخ الابيات ينبغي له ان يكشف لهم مايعتورها من نسخ او سلخ او مسخ مما لم يغفله مثل الصبح المنبى والوساطة من المطبوعات او نزهة الاديب في سرقات المتنبى من حبيب من المخطوطات .وقد يعد من سهو الربيعى في ذلك ان يذكر كثيراً من

الابيات التي اخذها الشعراء منه من بعده ولا يذكر ان ما اخذوه عنه قد اخذه بنفسه ممن سبقه من فحول الشعر كالبحتري وابي تمام واليك هذا البيت على سبيل المثال :

وكنت اذا يممت ارضا بعيدة … سريت فكنت السر والليل كاتمه

فقد ذكر البديعي ان الصاحب اخذه عنه فقال

تجشمتها والليل وحف جناحه … كاني سر والظلام ضمير

ونسي ان المتنبي اخذ هذا المعنى نفسه من قول البحتري :

وطيك سراً لو تكلف طيه … دجى الليل عنا لم تسعه ضمائره

وان البحتري هذا نقله ايضا من قبله عن قعنب القائل

سرينا به والليل داج ظلامه … فكان لنا قلبا وكنا له سرا

ومن شوائب الكتاب استطراده باسهاب ، فانه بينما كان يبحث مثلا عن قوة حافظة المتنبي اذا به يبحث لك عن قوة حافظة المعري ، فقوة حافظة ابن عباس في استظهار رائية عمر بن ربيعة فحافظة ابي تمام في استظهار قافيـة البحتري الى قوة حافظة الهمذاني فمناظرته والخوارزمي مما لاعلاقة له بالمتنبي اصلا وقد استغرق هذا الاستطراد نحوا من عشرين صفحة من الكتاب .

على ان مثل هذا الاستطراد لم يخل من فوائد فقد حفظ لنا المناظرة الحاتمية التي لم يذكر لنا ابن خلكان غير مقدمتها وقد سقطت هذه المناظرة من الطبعة الاولى .

ومما يؤخذ على البديعي جعله من بدائع ابي الطيب التمثيل بمـا هو من جنس صناعته ومثل لهذا التمثيل بقوله :

امضى ارادتـه فسوف له قد … واستقرب الاقصى فثم له هنا

يريد ان يقول انه اذا نوى امراً فكأنما يسابق نيته ، وتعبيره هذا بعيد عن روح الشعر بعد أذى الشوك عن أرج الزهر . كذلك من هفواته ان يعد من بدائع المتنبي استعماله الفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب وإنه مما لم يسبق اليه وتفرد به كقوله

اعلى المهالك ماينبى على الاسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وكقوله قد صبغت خدها الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل

ونسي ان مبتكر هذه الطريقة الفريدة وابا عذرة هذه الخريدة هو عنترة العبسى القائل :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومما يؤخذ عليه ان يلز ابن اللبون في قرن مع الفحول فحشر مثل احمد افندي ماجد الديار او نجم الدين افندي دامت معاليه مع امثال ابى نواس والبحترى فتراه بعد ان يورد مثلا قول ابى نواس والبحتري يقول مانصه : « فالبحترى زاد على ابى نواس الحديث المعاد واحسن من قولهما قول ماجد الديار مولانا احمد افندى » وليته لم يفوق هذا النمط من افندياته ، على لات الشعر ومناته .

ولا غضاضة على المصنف اذا جرى على طريقة من تقــدمه من المؤلفين ولم يتعرض للتحليل النفسي الذى لم ينضج الا في هـذا العصر علمه فلم يستنبط حقيقة المتنبي الروحية من اشعاره ولا ادرك ان معاني ابياته مقتبسة من فلسفة الحياة لافلسفة المؤلفات .

اما حسنات المصنف رحمه الله فاجل من ان تحصى منها صدق كثير احكامه على المتنبي وقد عبر عنها ابين تعبير بفقرت رشيقة او سجعات مطبوعة لا تكلف فيها ولا تعسف، ومنها المامه بكثيرمن حوادث الابيات التى يستعين بها الدارس على فهمها فقد تقرأ في شرح العكبرى وهو مرجع الشراح المتاخرين قصيدة المتنبى البائية التي مطلعها : « الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا » ولا تفهم شيئا من علة هذا العتاب الموجبة فلا تستطيع لذلك ان تطلع على روح المتنبي في كل بيت من ابياته ولكنك تجد قصة العتاب مشروحة في الصبح اجمل شرح ولكن في الطبعة الثانية لا الاولى لانها فيها مشوشة جداً فلا تكاد تفهمها ، ولم يذكر قصة العتاب هذه من

المتاخرين اليازجي ولا البرقوقي مع ان بيان هذه العلل الموجبة يعد بمثابة اسباب نزول ، الالهام على الشاعر فتدرك به قوة الشعر وبجيئه حسب مقتضى الحال على انه بهذه القصة يعلم المتأدب بشعر المتنبي مبلغ حسد بطانة سيف الدولة له وموقفه منهم ثم تأثير شعره على سيف الدولة حتى انصفه منهم اخيراً .

وانظر مثلا قول المتنبي :

وترى الفضيلة لاترد فضيلة   الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فقد تمحل الشراح قديما وحديثا وانصار المتنبي في شرح هذا البيت وجعل بعضهم كابن فورجة « لاترد » للمعلوم وذهب بعضهم كابن جني الى انه للمجهول ولم يلتفت العكبري لرأى ابن العميد الذى اورده البديعي في صبحه وذلك ان ندمان ابن العميد تنازعوا في البيت الاخر فقال اثبتوه حتى اتأمله فاثبت البيت ووضع بين يديه فاطرق ملياً يفكر فيه ثم قال هذا يعطلنا عن المهم وما كان الرجل يدري مايقول وكان ابن العميد ينقدشعر المتنبي كثيراً واليه اشار المتنبي بقوله فيه

ما كفاني تقصير ماقلت فيه   عن علاه حتى ثناه انتقاده

انني اصيد البزاة ولكن   اجل النجوم لا اصطاده

هذا وعلى الشارح الممتع ان يذكر مزايا الابيات الروائع ووجوه بلاغة كل منها ليحبب به الدارس فيتذوق بلاغتها ويملأ قلبه بها عجبا وبذلك يرسخ معنى البيت في نفسه مجلا عظمة قائله في رقة المبنى ودقة المعنى ولذلك كان على مثل العكبري والبرقوقي من المتقدمين والمتأخرين حين يشرحون مثل قول المتنبي

حلت دون المزار فاليوم لو زرت   لحال النحول دون العناق

اوقوله: ازورهم وسواد الليل يشفع لي   وانثني وبياض الصبح يغري بي

اوقوله : ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

كان عليهم ان يذكروا ان مثل هذه السوائر السواحر كانت سببا لمحو عداوة ابي علي الفارسي الذى كان يستثقل المتنبي ويستخف بشعره وانها استنهضته للدخول

على عضد لدولة والاطالة في الثناء عليه لا ان يكتفوا بعدهم البيت من المعجزات لاشتماله على خمس مطابقات بقطع النظر عن وقعه في القلوب فان في ايراد خبرابي على الفارسي بشكل قصصي محسوس تأثيراً اكبر من تأثير الحكم المجرد .

فالعكبري وحده لا يغني عن الصبح ولهذا احسن طابعه بنشره الصبح على الهامش لولا ما فيه من الاغلاط الجة والنواقص المهمة وعدم مجاراة اخباره لابيات العكبري، كذلك اليازجيان لا يزجيان من يحب التوسع في الشرح والبيان وكان البرقوقي يتم احسانه لو ذكر شيئاً مما نقد به المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر ان ترى عدواً له ما من صداقته بد

مع ان في الصبح المنبي نقداً لمحمد بن موسى الملقب بسيبويه وكان المتنبي يذكر هذا النقد كثيراً واما العكبري فقد ذكر نقد ابي الفتح المشابه لنقد سيبويه هذا وايد المتنبي تأييداً وجيهاً يحسن بنا الاطلاع عليه .

ومن حسنات الصبح المنبي ان كان مرجعا ممتعاً لمن جاء بعده من الادباء والمؤلفين . قد نقل اليازجي عنه في تكملة الشرح قصيدتين من شعر المتنبي وجدهما البديعي في غير ديوانه ، ومن تلك الحسنات مفاضلته بين كثير من القصائد التي هي في نوع واحد من انواع الشعر واصحابها في طبقة واحدة من البلاغة وبعد الذكر كمفاضلته بين الليثيات المشهورة كليثية بشر بن عوانة وليثية البحتري التي ذكر فيها مبارزة الفتح بن خاقان للاسد وليثية المتنبي التي وصف فيها صرع ابن عمار للاسد وحكم له بالتفوق قائلا ان الذي به يشهد الحق ان معاني ابي الطيب اكثر عددا واسد مقصداً الا ترى ان البحتري قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه اخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك واما ابو الطيب فانه اتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

امعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

الى آخر مزايا قصيدة ابي الطيب التي حللها البديعي تحليلا يدل على ابداعه ويشهد

بسعة علمه واطلاعه .

وكما احسن المصنف في ايراد حسنات ابي الطيب احسن في ايراد هفواته كالمكررات من معانيه وقبح المطالع واستكراه اللفظ وتعقيد المعنى والركاكة العامية وتكرير اللفظ الواحد في البيت وامثال الفاظ المتصوفة وكلماتهم المعقده ومعانيهم المغلقة واستكراه التخلص والولع بالتصغير ؛ واما حسناته التي ذكرها فمنها ابداعه في بعض المطالع وحسن تصرفه في الغزل وحسن التشبيه ووصف الظباء والمدح الموجه ومخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة الممدوح من الرعية مع الاحسان والابداع وحسن التقسيم وحسن سياقة المعطوفات وارسال الامثال في انصاف الابيات والمثلين في البيت الواحد والرمي بالطرف والملح وافتضاض ابكار المعاني في المراثي والتهاني .

وان من محاسن هذه الطبعة الثانية المتهادية اليك كالغانية ما استكملته من حلي الزيادات المهمة التي خلت منها الطبعة الاولى وحسبك ان بعضها قد بلغ ٢٤ صفحة (من الصفحة ٢٠٩ حتى ٢٣٢) وهي كثيرة في الكتاب ضاع فيها كثير من الفوائد او فقد بها ترابط المعاني فضل في الاهتداء اليها الرائد . ومن تلك المحذوفات مناظرة الهمذاني والخوارزمي ومختارات الفصول والغايات للمعري وفقرات من رسالته الغفران وصفة مشاتمة المتنبي وابن خالويه في حضرة سيف الدولة الى آخر تلك المحذوفات التي قد تبلغ ربع الصفحات ومن محاسنها ايضاً طبعهـــا مستقلة على ورق ابيض ناصع ؛ بدل طبعها في الهوامش على ورق اصفر فاقع . وكأن الصفرة الفاقعة لاتسر الناظر الا في البقر واما في الورق فهي لاتسر اليوم احداً من البشر !

ومن حسناتهـا تصحيح كثير من اغـــلاط الطبعة الاولى التي لا يكاد يخلو سطر فيها من غلطة شائنة فانا اذا قابلنا بين اغلاط الطبعتين ونظرنا الى ما شرح في الحاشية من المفردات الغامضة حمدنا صنع الناشر لما بذله من الجهود حتى ظهر « الصبح » بهذه الحلة الزاهرة من القرطاس الصقيل ، والزينة الباهرة من الطبع الجميل .

ولظهور مثل هذا الاديب «الوراق» المولع بالادب واحياء كتب العرب يرجونا ان يعود لنا بأمثاله في دمشق عهد الوراقة الناضر وان تبلغ مابلغته في الغرب من الرقي العصر الحاضر .

والخلاصة ان هذا الكتاب، وان لم يستوف اخبار ابي الطيب بحذافيرها الا انه فيما استوعبه منها لا يستغنى عنه طالب لمعرفة حيثيته ولا كاتب يبحث عن عبقريته وقلما رأيت ترجمة له لمعاصر الا وهي مستمدة من الصبح قليلا او كثيرا فكم لهذا الصبح من إسفار يغنى عن إسفار ولذلك كله يعتبر المرجع الخطير للات الشعر — حسب تعبير ابن الاثير — وتمنى لو يكتب مثله عن «عزاه» اى عن أبي تمام الساحر، وعن «مناته» أي البحترى الشاعر . فينضر لنا روض الادب بعد امحاله ، او يعود الى عهد ازدهاره وكماله ؟

التنوخي

٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي زين رياض الفضائل بازاهر الادب الغض . وفضل بعض عباده باقتناء المآثر على بعض . نحمده على تراكم آلائه . ونشكره على ترادف نعمائه . ونصلي ونسلم على افضل مخلوقاته المرسل رحمة للعباد . وافصح من نطق بالضاد واعترف بسحر بلاغته كل من وافق وضاد وعلى آله واصحابه ينابيع الحكم ومصابيح الظلم . وبعد فيقول المفتقر الى عفو ربه الغني . يوسف المشهور باليديعي . لما تشرفت الشهباء بانسان عين الكمال . وعين انسان الافضال . علم العلم . وطود الحلم . الذي ما طلع نجم في سماء العدالة اسعد من سهيل طلعته . ولا سطع كوكب في فلك الايالة ارفع من سماك رفعته . الحاوي من الاخلاق أكرمها والطفها . ومن الاوصاف افضلها واشرفها . فلا مكرمة الا وهو لها حائز . ولا محمدة الا وهو بها فائز .

ويصدق فيه القول حتى كأنما يسبح من صدق المقالة شاعره

الماجد الذي فضائله لا تحصى . وفواضله لا تستقصى ومن ذا الذي يقدر على سكر مسيل البحر . وسد طريق القطر فهو البحر الذي يغترف العلماء من تياره . والبدر الذي يقتبس الفضلاء من انواره . الحسام الماضي . اجل موالى الدهر . عبد الرحمن نجل الحسام . حرس الله بوجوده الادب فانه حليته وزينته . وصان بيقائه العلم فانه جنته وصونه وازدانت منه الموالى تمولى اجمع اهل الفضل على توحده في الدهر . واتفق اهل العقد والحل على تفرده بالفخر . واضحت سدته المنيفة كهف الفضلاء . وحضرته الشريفة مناخ آمال الشعراء .

أحببت ان اتشرف لخدمته بتاليف كتاب يشتمل على غرر الاداب ونتائج الالباب لم ينسج فكر على منواله . ولم تسمح قريحة بمثاله . ليكون وسيلة الى ان اعد من جملة خدامه . واتشرف بتقبيل مواطئ اقدامه . فينقذني من شرك الفقر . ويتخلصني من مخالب الدهر . فصدتني الايام عن وجهتي وعارضتني بعوائقها عن طلب بغيتي . وكان مد الله ظله . ورفع الى اوج مرامه محله . يلهج بقلائد ابن الحسين وتمييز على الطائيين . ولعمري ان ماقاله هو المعول عليه . والمرجع بعد التأمل الصادق اليه . فصممت العزم قبل تفويف ذلك التأليف . وترصيف ذلك التصنيف على جمع مختصر يحتوي على ذكر ابي الطيب المتنبي واخباره . ويشتمل على نبذة من قلائد أشعاره . خادما به جناب ذلك المولى . رزقه الله سعادتي الاخرة والاولى . وان كنت في اهدائه الى عالي حضرته . وسامي سدته . كمستبضع التمر الى هجر . ومهدي الفصاحة الى اهل الوبر . وناقل المسك الى الترك . والعود الى الهنود والعنبر الى البحر الاخضر وكمن ساق الى البحر نهراً او اهدى الى الشمس نوراً . بل كمن اهدى كوز ماء اجاج الى بحر فرات عجاج . فانه الهمام الذي جمع صفات الكمال فلا يبارى واحرز قصب السبق في مضمار البلاغة فلا يجارى . وسميته بالصبح المنبي عن حيثية المتنبي

نسب المتنبي

هو احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الملقب بأبي الطيب وكان والده الحسين يعرف بعيدان السقا وكان مولد المتنبي بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة وكان شاعرا عظيما مشهورا مذكورا محظوظا من الملوك والكبراء . قدم الشام في صباه وجال في اقطارها

في سبب كتمانه نسبه

وكان يكتم نسبه فسئل عن ذلك فقال اني انزل دائما على قبائل العرب واحب ان لا يعرفوني خيفة ان يكون لهم في قومي ثار .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي: كان ابو الطيب وهو صبي ينزل في جوار الكوفة وكان محبا لاهل العلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدويا قحا وكان تعلم الكتابة والقراءة فلزم اهل العلم والادب وأكثر من ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم.

قوة حفظ المتنبي

وأخبرني وراق قال: ما رأيت احفظ من ابن عيدان قط فقلت له: كيف ذلك؟ فقال: كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً في نحو ثلاثين ورقة ليبيعه فأخذه ابن عيدان فنظر فيه طويلا فقال له الرجل: يا هذا اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه فهذا يكون بعد شهر ان شاء الله قال: فقال له ابن عيدان فان كنت حفظته في هذه المدة فمالي عليك قال: اهب لك الكتاب قال: فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه حتى انتهى الى آخره.

قوة حفظ ابي العلاء المعري

ومثله في قوة الحافظة ماحكاه الامير اسامه ابن منقذ عن أبي العلاء المعري قال: كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلا علوياً فجلست يوماً عنده فقال لي: قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم يسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ قلت: وما هي؟ قال: صبي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب وذاك اني اقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة فلا يستعيد إلا ما يشك فيه ثم يتلو علي ماقد سمعه كأنه كان محفوظاً له قلت: فلعله قد يكون محفوظاً له. قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو اعظم. ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه (بياض من اثر الجدري كأنه ينظر باحد عينيه) قليلا يتوقد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه فقال له الخازن ياولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال سمعاً له وطاعة فيختار ما يريد

قال ابن منقذ فاخترت شيئا وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول أعد هذا فأرده عليه مرة اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد عن كراسة ثم قلت له : يقنع هذا من قبل نفسي . قال : أجل حرسك الله قلت : كذا . وتلا علي ما امليته عليه وانا اعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهى الى حيث وقفت عليه فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه وعلمت ان ليس في العالم من يقدر على ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعري التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى . وأعجب من هذه ما حكي بعض طلبته عنه قال :

كان لأبي العلاء جار اعجمي فاتفق انه غاب عن المعرة فحضر رجل اعجمي يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المقام فأشار اليه ابو العلاء ان يذكر حاجته اليه فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية وابو العلاء يصغي اليه الى ان فرغ من كلامه ولم يكن ابو العلاء يعرف الفارسية ومضى الرجل وقدم جاره الغائب وحضر عند ابي العلاء فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ماقال والرجل يبكي ويستغيث ويلطم الى ان فرغ من حديثه وسئل عن حاله فأخبر انه اخبر بموت أبيه واخوته وجماعة من اهله ومثل هذا ماذكره تلميذه ابو زكريا التبريزي انه كان قاعداً في مجلسه بمعرة النعمان بين يدي ابي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه قال : وكنت قد اقمت عنده سنين ولم ار احداً من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح فقال لي ابو العلاء أي شيء اصابك فحكيت له اني رأيت جاراً لي بعد ان لم القَ احداً من اهل بلدي سنين فقال : قم فكلمه فقلت حتى اتمم السبق فقال : قم وانا انتظرك فقمت وكلمته بلسان الاذربية شيئاً كثيراً الى ان سألت عن كل بدالي فلما رجعت ووقفت بين يديه قال لي اي لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان اذربيجان فقال لي : ما عرفت اللسان ولا فهمته غير اني حفظت ما قلتما ثم اعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه وهذا من العجائب لانه حفظ مالم يفهمه .

وحكى عنه بعض أصحابه ايضاً ان جاراً سماناً كان بينه و بين رجل من اهل المعرة

معاملة لجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منه عند حاجته اليه . وكان ابو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما . قال فسمع ابو العلاء السمان المذكور بعد مدة يتأوه ويتململ فسأله عن حاله فقال : كنت حاسبت فلانا برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه فقال : ماعليك من بأس انا أملي عليك حسابه وجعل يملي معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها الى ان فرغ وقام فما مضت الا ايام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابل بها ما املاه عليه ابو العلاء فطابق املاؤه الرقاع والعلم الفرد في قوة الحافظة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وقال ابو العباس المبرد في كامله ويروي ان ابن الازرق اتى ابن عباس يوما فجعل يسأله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبدالله ابن ابي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئا من شعرك ؟ فقال :

أمن آل نعم انت غاد فمبكر — غداة غد ام رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل في جوابها — فتبلغ عذراً والمقالة تعذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع — ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع — ولا نأيها يسلي ولا انت تصبر
واخرى أتت من دون نعم ومثلها — نهى ذو النهي لو يرعوي اويفكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة — لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه ان امر ببابها — يسر لي الشحناء والبغض يظهر
الكني اليها بالسلام فانه — يشهر المامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة اجبتها — بدفع اكناف اهذا المشهر
قفي فانظري اسماء هل تعرفينه — اهذا المغيري الذي كان يذكر
اهذا الذي اطريت نعتا فلم اكن — وعيشك انساه الى يوم اقبر
فقالت : نعم لا شك غير لونه — سرى الليل يطوي نصه والهجر

لئن كان اياه لقد حال بعدنا — عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت — فيضحى واما بالعشي فيخصر

حتى اتمها وهي ثمانون بيتاً فقال ابن الازرق : لله انت يا بن عباس انضرب اليك اكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الازرق :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت — فيخزى واما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال وانما قال — فيضحى واما بالعشي فيخصر

قال : او تحفظ الذي قال ؟ قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولو شئت ان اردها عليك لرددتها قال فارددها فانشده اياها كلها .

اول معرفة البحتري بابي تمام

ومثلها ما حكاه ابو عبادة البحتري عن أبي تمام قال البحتري : اول ما رأيت أبا تمام اني دخلت على ابي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بهذه القصيدة :

أأفاق صب من هوى فافيقا — ام خان عهداً ام اطاع شفيقا
ان السلو كما تقول لراحة — لو راح قلبي للسلو مطيقا
هذا العقيق وفيه مرأى مونق — للعين لو كان العقيق عقيقا
أشقيقة العلمين هل من نظرة — فتبل قلباً للغليل شقيقا
وسمتك اردية السماء بديمة — تحي رجاء او ترد عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البلى — طرقاً واوحش انسك الموموقا .
فلرب يوم قد غنينا نجتلي — مغناك بالرشأ الانيق انيقا
عل البخيلة ان تجود بها النوى — والدار تجمع شائقا ومشوقا
كذب العواذل انت افتك لحظة — واغض اطرافا واعذب ريقا
ماذا عليك لو اقتربت لموعد — ينئي الجوى وسقيتنا ترنيقا
شدت الجزيرة في جناب محمد — ريا الجناب مغاربا وشروقا

برقت مخايله لها وتخرقت ... فيها عزالى جوده تخريقـــا
صفحت له عنها السنون وواجهت ... اطرافها وجه الزمان طليقـــا
رفع الامير ابو سعيد ذكرها ... واقام فيها للمكارم سوقـــا
يستمطرون يداً يفيض نوالهـــا ... فيغرق المحروم والمرزوقـــا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه ... ترك الجليل من الخطوب دقيقا
هلا سألت محمداً بمحمـــد ... تجد الخبير الصادق المصدوقـــا
وسل الشراة فانهم اشقي بـــه ... من اهل موقان الاوائل موقا
كنا نكفر من امية عصبـــة ... طلبوا الخلافة فجرة وفسوقا
ونقول تيم قربت وعديهـــا ... امرأ بعيداً حيث كان سحيقـــا
ونلوم طلحة والزبير كليهمـــا ... ونعنف الصديق والفاروقـــا
وهم قريش الا بطحين اذا انتموا ... طابوا اصولا فيهم وعروقـــا
حتى انبرت جشم بن بكر تبتغي ... ارث النبي وتدعيه حقوقـــا
جـــاءوا براعيهم ليتخذوا به ... عمداً الى قطع الطريق طريقـــا
طرحوا عباءته والقوا فوقـــه ... ثوب الخلافة مشربا راووقـــا
عقدوا عمامته برأس قناتـــه ... ورأوه براً فاستحال عقوقا
واقام ينفذ في الجزيرة حكمـــه ... ويظن وعد الكاذبين صدوقـــا
حتى اذا ما الحية الذكر انكفى ... من ارزن حنقا يمج حريقـــا
غضبان يلقى الشمس منه بهامة ... تعشي العيون تألقـــا وبريقـــا
اوفى عليه فظل من دهش يظن ... البر بحرا والفضاء مضيقـــا
غدرت امانيـــه به وتمزقت ... عنه غيابة سكره تمزيقـــا
طلعت جيادك من ربى الجودي قد ... حملن من دفع المنون وسوقا
يطلبن ثار الله عند عصـــابة ... خلعوا الامام وخالفوا التوفيقـــا
يرمون خالقهم باقبح فعلهم ... ويحرفون قرانه المنسوقا

فدعا فريقا من سيوفك حتفهم　　وشددت في عقد الحديد فريقـــا
ومضى ابن عمر وقد اساء بعدره　　ظنـــا ينزق مهره تنزيقـــا
ركبت جوانحه قوادم روعـــه　　فحذفنه حذف المرير الفوقـــا
فاجتاز دجلة خائضا وكأنها　　قعب على باب الكحيل اريقـــا
لو خاضها عمليق او عوج اذا　　ما جوزت عوجا ولا عمليقـــا
لولا اضطراب الخوف في احشائه　　رسب العباب به فمات غريقـــا
خاض الحتوف الى الحتوف معانقا　　زجلا كفهر المنجنيق عتيقـــا
يجتاب حرة سهلها ووعورها　　والطير هـــان مراده ودقوقا
لو نفسته الخيـــل لفتة ناظر　　ملأ البـــلاد زلازلا وفتوقا
لثنى صدور السمر تكشف كربة　　ولوي رؤوس الخيل تفرج ضيقا
ولبكرت بكر وراحت تغلب　　في نصر دعوته اليـــه طروقا
حتى يعود الذئب ليثا ضيغما　　والغصن ســـاقا والقرارة نيقا
هيهات مارس قلقلا متيقظا　　قلقا اذا ســـكن البليد الرشيقا
مستسلفا جعل الغبوق صبوحه　　وورى صبوح غـد فصار غبوقا
لله ركضك اذ يبادرك المدى　　ومبين سيفك اذ اتى مسبوقا
جاذبته فضل الحيـــاة فافلتت　　من كفه قنـــا بذاك حقيقا
فرددت مهجته وقد كرع الردى　　ليحف منها منهـــلا مطروقا
لبس الحديد اساوراً وخلاخلا　　فكفينه التسوير والتطويقا
بالتل تـل ربيع بين مواضع　　مازال دين الله فيهـــا يوقى
فرماحنا وسيوفنا في هضبه　　يفرى اياس بهـــا الطلى والسوقا
حتى تناول تاج قيصر مشربا　　بدم وفرق جمعه تفريقـــا
قتل الدعي ابن الدعى بضربة　　خلس وخرق جيشه تخريقـــا
والزاب اذ خانت امية فاغتدت　　ترجي لنا جعدبها الزنـــد نقا

كشفوا بتل كشاف اروقة الدجى ... عن عارض ملأ السماء بروقا
تلساهم قبل الشروع بادرع ... يهززن في كبد الظلام شروقا
حتى تركنا الهام يندب منهم ... هاما يبطن الوابلين فليقا
يا تغلب ابنة تغلب حتى متى ... تردون كفراً موبقاً ومروقا
تتجاوبون بدعوة مخذولة ... دعوى الخير اذا اردن نهيقا
ولقد نظرنا في الكتاب فلم نجد ... لقتالكم في آيه تحقيقا
او ما علمتم ان سيف محمد ... أمسى عذاباً بالطغاة محيقا
لا تنتضوه بأن ترو موا خطة ... عسراء تعيي الطالبين لحوقا
لا تحسبن الناس ان صفرت بهم ... رعيانكم بهماً اطاع ونوقا
خلوا الخلافة ان دون لقائها ... قدراً باخذ الظالمين خليقا
قد ردها زيد بن حصن بعدما ... مدوا عليه رداءها المشقوقا
بالنهروان عاهدوه فأكدوا ... عقداً له بين القلوب وثيقا
ورجال طي مصلتون أمامه ... ورقا هناك من الحديد رقيقا
لم يرضها لما اجتلاها صحبة ... لم ترضه خدنا لها ورفيقا
لو واصلت احداً سوى اصحابها ... منهم لكان اخاً لها وصديقا

ماجرى بين ابي تمام والبحتري

فسر بها ابو سعيد وقال : احسنت والله يافتى وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر في مجلسه يكاد يمس ركبتيه فأقبل علي وقال : يافتى ماتستحي هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتي فقال ابو سعيد : احقاً ما تقول ؟ قال : نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككني — علم الله — في نفسي وبقيت متحيراً فأقبل علي أبو سعيد وقال : يافتى لقد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت احلف بكل محرجة من الايمان ان الشعر

لي ما سبقني اليه احد ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً واطرق ابو سعيد وقطع الكلام حتى تمنيت اني سخت في الارض فقمت منكسر البال اجر رجلي فخرجت فما هو الا ان بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان الي فردوني فأقبل علي الرجل وقال : الشعر لك يا بني والله ماقلته قط ولا سمعت به الا منك ولكن ظننت انك تهاونت بموضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرفني الامير نسبك وموضعك . ولوددت ان لا تلد طائية الا مثلك وجعل ابو سعيد يضحك فدعاني ابو تمـــام فضمني اليه وعانقني واقبل يقرضني ولزمته بعد ذلك واخذت عنه واقتديت به .

قوة حافظة بديع الزمان الهمذاني

ونادرة الدنيا في سرعة الحفظ الاستاذ ابو الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني فانه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط فيحفظها كلها. يؤديها من اولها الى آخرها لا يخرم حرفاً وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لايعرفه ثم يردها عن ظهر قلبه هذا يسردها سرداً

مناظرة الهمذاني والخوزمي (١)

ويطلعك على حقيقة ذلك ماجرى بينه وبين الاستاذ ابي بكر الخوارزمي من المناظرة يوم اجتماعهما في دار السيد ابي القاسم المستوفي بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس

قال البديع الهمذاني واول القصة انا وطئنا خراسان فما اخترنا الانيسابور دارا والاجوار السادة جوارا . وقديماً كنا نسمع بهذا الفاضل ونقدر انا اذا وردنا بلده يخرج لنا في العشرة عن القشرة . فقد كانت لحمة الادب جمعتنا . وكلمة الغربة نظمتنا . وقد قال الشاعر :

اجارتنا انا غريبان ها هنا   وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف . واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا في الطريق اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها . ونضة فضوها

(١) هذه المناظرة ساقطة من النسخة المطبوعة

وذهب ذهبوا به . ووردنا نيسابور براحة انقى من الراحة . وزي اوحش من طلعة المعلم فما حللنا الا قصبة جواده . ولا وطئنا الا عتبة داره . بعد ما كتبنا له انا لقرب الاستاذ اطال الله لنا بقاه كما طرب النشوان مالت به الخمر . ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب . ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه مابين قصبتي العراق وخراسان بل عتبتي الجبل ونيسابور . وكيف اهتزازه لضيف رث الشمائل منهج(١) الاثواب . بكرت عليه مغيرة الاعراب وهو ايده الله . ولي انعامه بانفاد غلامه . الى مستقرى لافضي اليه بما عندي .

قال البديع : فلما اخذتنا عينه سقانا الدردي(٢) من اول دنه . واجنانا سؤ العشرة من باكورة فنه . من طرف نظر بشطره . وقيام دفع في صدره . وصديق استهان بقدره وضيف استخف بامره فقاربناه اذ جانب . وواصلناه اذ جاذب (٣) وشربناه على كدورته . ولبسناه على خشونته . ورددنا الامر في ذلك الى زي استغثه . ولباس استرثه . وكاتبناه نستمد وداده . ونستميل فؤاده . بقولنا الاستاذ اذرى بضيفه اذ وجده يضرب اباط (٤) القلة في اطمار الدلة . فأعمل في تربيته انواع المصادقة . وفي الاهتزاز له اصناف المضايقة من ايماء بنصف الطرف . واشارة بشطر الكف . ودفع في صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام . وتكلف لرد السلام . وقد قبلت تربيته صعرا . واحتملته وزرا . واحتضنته نكرا وتأبطته شرا . ولم آله عذرا . فان المرء بالمال وثياب الجمال . ولست مع هذه الحال وفي هذه الاسمال . اتعرز(٥) صف النعال . فلو صدقته العتاب . وناقشته الحساب لقلت بوادينا ثاغية(٦) صباح . وراعية رواح . وناساً يجرون المطارف . ولا يمنعون المعارف .

---

(١) نهج الثوب خلق مثلثة الهاء (٢) دردى الزيت مايبقى اسفله (٣) جاذب كذب (٤) الاباط ما يلي الابط (٥) تعزز الشيء استصعبه (٦) الثغاء صوت الغنم

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وانــــدية ينتابها القول والفعل

ولو طرحت بابي بكر اليهم طوارح الغربة . لوجد منال البشر قريباً . ومحط الرحل رحيباً . ووجد المصيف حصيبا ورأى الاستاذ ابي بكر في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود . والمر الذي يتلوه شهد . موفق ان شاء الله فأجاب : وصلت رقعة سيدي ومولاي ورئيسى اطال الله الى آخر السكباج(١) . وعرفت ماتضمنته من حسن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر . ونابه دهر . اما ما شكاه سيدي من مضايقتي اياه في القيام . فقد وفيته حقه على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه . فاما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف ولقد جاورتهم فاحمدت المراد(٢) . ونلت المراد .

فان اك قد فارقت نجداً واهله   فما عهد نجد عنــــدنا بذميم

والله يعلم نيتي للناس كافة . ولسيدي خاصة . فان اعانني على ما في نفسي . بلغت اليه ما في النية . وجاوزت مسافة القدرة . وان قطع علي طريق عشرتي بالمعارضة وسؤ المؤاخذة . صرفت عناني عن طريق الاختيار . بيد الاضطرار . فما النفس الا نطفة بقرارة . اذا لم تكدر كان صفواً معينها . وبعد فهذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبا . واقترفنا ذنبا فاما ان يسلفنا العريدة . فنحن نصونه عن ذلك . ونصون انفسنا عن احتماله .

قال البديع : فلما ورد الجواب عمدنا لذكره فسحوناه (٣)عن صحيفتنا ومحوناه . وصرنا الى اسمه فاخذناه ونبذناه وتركنا خطته(٤)وكتبنا خطته(٥) . ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالي وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لا نعير السماع ذكره . ولا نودع الصــــدر حديثه . وجعل يستزيد ويستعيد .

---

(١) فارسي معرب (٢) من ورد يرد (٣) سحا الطين جرفه ومنه المسحاة (٤) بالكسر الارض التي لم ينزلها قبلك احد (٥) بالضم القصة

بالالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتردها الي وكلمات تحفظها الالسنة من فمه وتعيدها علي . فكاتبناه : انا ارد من الاستاذ شرعة وده وان لم تصف . والبس خلعة بره وان لم تضف . وقصاراى انأ كيله صاعاً عن مد وان كنت في الادب دعي النسب . ضعيف السبب . ضيق المضطرب . سيء المنقلب . سيدي ناقشني في الحساب القبول اولا وصار فني في الاقبال ثانياً فأما حديث الاستقبال وأمر الانزال فنطاق الطمع ضيق عنه . غير متسع لتوقعه منه . وبعد فكلفة الفضل بينة . وفروض الود معينة . وارض العشرة لينة . فلم اختار قعود النعال مركباً وصعود التعالي مذهباً . وشوقي قد كد الفؤاد برحاً الى برح . ونكاه قرحا على قرح . ولكنها مرة مرة (١) . ونفس حرة . وليس الا غصص الشوق تتجرعها وحلل الصبر تتدرعها . وانا لو اعرت جناح طائر لما طرت الا اليه . ولا وقعت الا عليه .

قال البديع : وبقينا نقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب . وعقاربه تدب . واقضت الحال الى ان قال . لو ان في هذا البلد رجلا تأخذه اريحية الكرم يجمع بيني وبينه ؟ . واتفق ان السيد ابا علي نشط للجمع بيننا . فدعاني فأجبت . ثم عرض على حضوره فطلبت . فلما جاءنا تركناه على غلوائه . حتى نفض ماني راسه وفرغ جعبة وسواسه . عطفنا عليه وقلنا فلتهدأ ضلوعك وليفرخ روعك ولتسكن سورتك . ولتسكن فورتك . ولا ترقص لغير طرب . ولا تحم لغير سبب . وقديماً كنت اسمع بحديثك . فيعجبني الالتقاء بك . والاجتماع معك . والان اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتفق يومنا عليه . والى الجدل نتجاذب طرفيه . ولنبدأ بالفن الذى ملكت به زمانك . واخذت منه مكانك . وطار به اسمك بعد وقوعه . وارتفع له ذكرك عقب خضوعه . . .

---

(١) الاولى بالكسر والثانية بالضم اي نفس ابية (٢) اي يسكن فزعك (٣) كن الشيء كنا وكنو ناستره

فقال : وماهو ؟ قلت الحفظ ان شئت. والنظم ان اردت. والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت . فاحجم عن الحفظ رأسا . ولم يجل في النثر قدحا وقال ابادهك . واقترح علينا ان نقول على وزن قافية ابي الطيب . أرق على أرق ومثلي يأرق وابتدر ابو بكر الى الاجازة ولم يزل الى الغايات سابقا فقال :

واذا ابتدهت بديهة ياسيدي	فأراك عند بديهتي تتفلق
واذا قرضت الشعر في ميدانه	لاشك انك يااخي تتشقق
اني اذا قلت البديهة قلتهـــا	عجلا وطبعك عند طبعي يرفق
مالي اراك ولست مثلي عندها	متموها بالترهـــات تمخرق
اني اجيز على البديهة مثل مـــا	تريانه واذا نطقت اصدق
لو كنت من صخر اصم لهـــاله	مني البديهة واغتدى يتفلق
لو كنت ليثا في البديهة قادراً	لرويت يا مسكين دوني تبرق
وبديهة قد قلتهـــا متنفساً	فقل الذي قد قلت ياذا الاخرق

ثم وقف يعتذر ويقول هذا كما يجيء لا كما يجب فقلت قل الله عذرك فخذ الان جزاء عن قرضك واداء لفرضك . وقلت :

مهلا ابا بكر فزنـــدك اضيق	فاخرس فان اخاك حي يرزق
دعي اعرك اذا سكت سلامة	فالقول ينحد في ذويك ويعرق
ولفـــاتك فتكات بيض سيوفكم	فـــدع الستور وراءها لا تخرق
وانظر لاشنع ما اقول وادعي	أله الى اعراضـــكم متسلق
يا احمقا وكفاك ذلك خزية	جربت نار معرتي هل تحرق

فلما اصابه حر الكلام ومسه لفح هذا النظام قال احمقا لا يجوز فانه لا ينصرف وقطع علينا فقلنا ياهذا لا تقطع فان شعرك ان لم يكن عيبة (١) عيب فليس بظرف ظرف (٢) واما احمق فلا يزال يصفعك وتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه .

---

(١) كنانة (٢) الاولى الوعاء والثانية الكياسة

وعرفناه ان للشاعر ان يردمالاينصرف الى الصرف كما ان له رأيه في القصر والحذف.

وقلنا أخبرنا عن بيتك الأول أمدحت أم قدحت ؟ وذكيت أم جرحت ؟ ففيه شيئان متفاوتان . ومعنيان متباينان . بـــدأت فخاطبت يا سيدي . وعطفت فقلت تفلق . وهما لا يركضان في حلبه ولا يخطوا في خطه . ثم قلت له خـــذ وزناً من الشعر حتى اسكت عليك فتستوفي من القول حظك واسكت علينا حتى نستوفي حظنا . ثم اني احفظ عليك انفاسك واواقفك عليها . واحفظ علي انفاسي ووافقني عليها. فان عجزت حفظتها لك. واخذنا بيت المتنبي (اهلا بدارسباك اغيدها.)

فقلت يا نعمة لا تزال تجحدها . ومنة لاتزال تكندها فقال : ما معنى تكندها ؟ فقلت : كند النعمة كفرها . فرفع رأسه وقال معاذ الله ان يكون كند بمعنى جحد فتلوت (ان الانسان لربه لكنود). وقلت له أليس الشرط املك والعهد بيني وبينك ان تسكت . ونسكت كي تتم وتتم . فنبذ الادب وراء ظهره . وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده . فقلت ياهذا ان الادب غير سؤ الادب . ولو كان في باب الاستخفاف شيء أعظم من الاحتقار . وانكار ابلغ من ترك الانكار . للقته منك . فأخذ يمضي على غلوائه ويمعن في هزائه وقلت استغفر الله من مقالتك . وسكت حتى عرف الناس اني املك من نفسي ما لا يملكه . واسلك من طريق الحلم مالا يسلكه ثم عطفت عليه فقلت يا أبا بكر أن الحاضرين قد عجبوا من حلمي باضعاف ما عجبوا من علمي . وتعجبوا من عقلي اكثر مما تعجبوا من فضلي وبقي الان ان يعلموا ان هذا السكوت ليس عن عي وان تكلفي للسفه اشد استمراراً من طبعك . وغربي في السخف امتن عوداً من نبعك . فقال انا قد كسبت بهـــذا العقل دية اهل همذان مع قلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته . فقلت هذا الذي به تتمدح من انك شحذت فاخذت فهذا عندنا صفة ذم . وقد صدقت . انت بهذه الجبلة اسبق وفي هذه الحرفة إعرق وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث

الورد لهذه الشرعة . وما اضيع وقتا قطعته بذكرك ولسانا دنسته باسمك. وملت الى القوال فقلت أسمعنا خيراً . فغنى ابياتا فيها :

وشبهنا بنفسج عارضـــيه بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال ابو بكر : احسن مافي الامر اني احفظ هـــذه القصيدة وهو لا يعرفها . فقلت ان انشدتكها ساءك مسموعها . ولم يسرك مصنوعها . فقال : انشد فقلت : روايتي تخالف هذه الرواية وأنشدت .

وشبهنـــا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الخد الصفيق

فاته السكتة . واضجرته النكتة(١) وانطفأت تلك الوقدة وانحلت تلك العقدة .ورفع القوال فبدأ بابيات ولحن باصوات وجعل النعاس يثني الرؤوس ويمنع الجلوس فقمنا الى ما وطي من مضجع . ومهد من مهجع ولم يكن النوم ملأ العيون . ولا شغل الجفون . حتى اقبل وفد الصباح. وحيعل المؤذن بالفلاح وندب الي النهوض بالمفروض . فلما قضينا الفرض فارقنا الارض . وظني ان هذا الفاضل يا كل يده ندما ويبكي على ماجرى دمعاودما وانه اذا نام هاله منا طيف واذا انتبه راعه منا سيف وسعوا بيننا بالصلح . وعرفنا له فضل السن. فقصدناه معتذرين اليه. فاومىء ايماءة مهيضة. واهتز اهتزازةمعيضة(٢). واشار اشارة مريضة. بكف سحبها على الهوى سحبا. وبسطها في الجوبسطا. وعلمنا أنالمقهور انيستخف ويستهين . والقاهر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكدر صفوا . كما ان عقب المطر صحوا. وعرض علينا الاقامة سحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر وألح فقلت انا وذاك فطعمنا عنده وخرجنا والنية على الجميل موفورة . وبقعة الود معمورة . وصرنا لاتتعلل الا بمدحه . ولا تتقل الا بذكره . ولا نعتد الا بوده . لا بل ملأنا البلد شكرا والاسماع نشرا . وبينا نحن من الحال في اعذبها

---

(١) وجه النكتة ان الخوارزمي كان موشم الوجنة (٢) معض غضب وشق الامر عليه

شرعة . ومن الثقة في اطيبها جرعة . ومن المودة في اعزها بقعة . واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته . ومؤديان رسالته . ذاكران ان ابا بكر يقول قد تواترت الاخبار . وتظاهرت الآثار . في انك قهرت واني قهرت . ولا شك أن ذاك التواتر عنك صدرت اوائله . والخبر اذا تواتر بهالنقل . قبله العقل . ولا بد ان نجتمع في مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بمشهد الخاصة والعامة . فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي او تقر بعجزك وقصورك عن بلوغك امدي . ومنال يدي فقلت : هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر . مع ذلك التساتر فأن ساءك فأحر ان يسوءك عند مجتمع الناس . ومحتفل اولي الفضل . ولان تترك الامر مختلفا فيه خير لك من ان يتفق عليه . وان احببت ان تطير هذا الواقع . وتهيج هذا الساكن فرأيك موفق

ثم مضت على ذلك ايام ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل وينظر بيننا بالعدل . فاتفقت الآراء على ان يعقد هـــذا المجلس في دار ابي القاسم الوزير . واستدعيت فســرحت الطرف من ذلك السيد في عالم افرغ في عالم . او ملك في درع ملك . ونطق فودت الاعضاء لو انها اسماع مصغية واسمع فودت الجوارح لو انها السنة ناطقة . وكنت اول من حضر . وطلع الامام ابو الطيب وهو بنفسه امة ووحده عالم . ثم حضر السيد ابو الحسين وهو ابن الرسالة والامانة وعامر ارض الوحي والمحتبي بفناء النبوة . وحضر بعد ذلك ابو عمرو البسطامي وناهيك به من حاكم يفصل وناظر يعدل ثم حضر القاضي ابو نصر . والادب ادنى فضائله . وايسر فواضـــله . وحضر الشيخ ابو سعيد محمد ابن ارمك . وهو الرجل الذي تحميه لالاؤه لو دعيته من ان يذال (١) بمن؟ او بمن الرجل ؟ . وحضر ابو القاسم بن حبيب والفقيه ابو الهيثم ورائد الفضل يقـــدمها . وقائد العقل يخدمها وحضر الشيخ ابو نصر المرزبان والفضل منه بدأ واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام ابي الطيب واصحاب الاستاذ ابي الحسن الماسرخسي واصحـــاب الامام ابي عمر

---

(١) يذال : يهان

البسطامي وهم في الفضل كاسنان المشط . ومنه باعلى مناط العقد . وحضر الشيخ ابو سعيد الهمذاني وله في الفضل قدحه المعلى . وفي الادب حظه الاعلى . ثم حضر اصحاب الاسبلة المسبلة والاسوكة المرسلة . رجال يلعن بعضهم بعضاً فقلت من هؤلاء فقالوا اصحاب الخوارزمي فلما اخذ المجلس زخرفه ممن حضر وانتظر ابو بكر فتأخر . اقترحوا علي قوافي اثبتوها . واقتراحات كانوا بينوها فما ظنك بالحلفاء ادنيت لها النار : من لفظ الى المعنى نسقته . وبيت الى القافية سقته . على ريق لم ابلعه . ونفس لم اقطعه . وقال الامام ابو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي ونعين المعاني . وننص البحر فان قلت على الروي الذي اسومه . وذكرت المعنى الذي ارومه . فانت حي القلب كما عهدناك شجاع الطبع كما وجدناك . فما خرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيلله من كل جانب . والحوقلة من اخرى . وتعجبوا اذ ارتهم الايام مالم ترهم الاحلام . وجادهم العيان . بما يخل به السماع . وانجزهم الفهم ما اخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق نلفتت . وما شعرت الا وهذا الفاضل وقد طلع في شملته . وهب بجملته . ومشى فوق اعناق الناس يريد الصدر فقلت : يا ابا بكر تزحزح عن الصدر . فقال : لست رب الدار . فتأمر على الزوار . فقلت : حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر واما من النظير . ومن حسن النظر ان يكون مقعدنا واحداً . حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق . فقضت الجماعة بما قضيت ثم قلت في اي علم تريد ان نتناظر فاشار الى النحو . فقلت ان شئت ان اناظرك فيه . فسلم ما كنت تدعيه من سرعة في البديهة وجودة في الروية وقدرة على الحفظ . ونفاد في الترسل فقال : لا اسلم ذلك . ولا اناظر في غير هذا وارتفعت الضجة واستمرت الملاجة حتى قال له الاستاذ ابو عمرو : انت اديب خراسان . وبهذه الابواب التي قد عددها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يوهم واضطره الى المنازلة فيها او النزول عنها . فقال : سلمت الحفظ . فقلت : خفف الله عنك كما

خففت عنا في الحفظ . فلو سلمت البديهة مع الترسل حتى تفرغ للنحو والامثال واللغة والعروض والاشعار فقال ما كنت لاسلم الترسل ولا سلمت الحفظ فقلت الراجع في فيئه كالراجع في قيئه . لكنا نقيلك عن ذلك السماع . انشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى انشدك عشرين بيتاً من قبلي عشرين مرة فعلم ان من دون ذلك خرط القتاد . فسلمه ثانياً . كما سلمه بادياً وصرنا الى البديهة . فقال احد الحاضرين هاتوا على شعر ابي الشيص في قوله :

ابقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض

فبدأ ابو بكر مقدرا انا نغفل عن انفاسه او توليه جانب وسواسه ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلم فقال :

يافاضياً ما مثله من قاض	انا بالذي تقضي علينا راض
فلقد لبست ضفية ملمومسة	من نسج ذاك البارق الفضفاض
لاتغضبن اذا نظمت تنفساً	ان الفضا في مثل ذاك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر	ولقد بليت بناب ذيب غاض
ولقدقرضت الشعر فاسمع واستمع	لنشيد شعر طايعاً وقراض
فلا اغلبن ببديهة بديهتي	ولا رمين سواده ببياض

فقلت ما معنى ضفية ملمومة وما الذي اردت بالبارق الفضفاض فانكر ان يكون قال ذلك . فقالوا له قد قلت . ثم قلت ما معنى قولك ذيب غاض فقال هو الذي ياكل الغضا قلت استنوق الجمل وصار الذئب جملا ياكل الغضا فما معنى ان الغضا في مثل ذاك تغاض . فان الغضا لااعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم اقل الغضا وانكر البيت جملة فقلت ما اغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه وهو يلحق بك . فما معنى قراض فلم اسمعه من قرضت الشعر . ثم دخل الريس ابو جعفر . والقاضي ابو بكر . والشيخ ابو زكريا الحيري . وطبقة من الافاضل واخذ الريس مكانه من الصدر . وقال قد ادعيت عليه ابياتا انكرها فدعوني من البديهة على النفس

واكتبوا ما تقولون فقلت :

برز الربيع لنا برونق ما به فانظر لروعة ارضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر من نوره بل مائه وروائه
والمـاء بين مصندل ومكفر في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح مثل المغني شــاربا بغنائه
والورد ليس بممسك رياه بل يهدي لنـــا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت ازكى متجر وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الربيع اذا بـــدا في خلقه وصفائه وعطائه
ما البحر في تزخاره والغيث في امطـــاره والجو في انوائه
باجل منه رغائبا ومواهبا لازال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم متمدحون بمدحـــه وثنائه

وقال ابو بكر تسعة ابيات رددتها عليه . وقلت لمن حضر ارأيتم لو ان رجلا حلف بالطلاق لاينشد شعراً قط وانشد هذه الأبيات فقط هل تطلق امرأته . فقالت الجماعة لا يقع لهذا طلاق . ثم قلت انقد علي كما نقدت . واحكم علي كما حكمت . فانتقد ما انتقد . وكفتني الجماعة جوابه . وقالوا قد علمنا اي الرجلين اشعر . واي الخصمين اقدر . ثم ملنا الى الترسل فقلت اقترح على غاية مافي طوقك . ونهاية مافي وسعك . حتى اقترح عليك اربعمئة صنف في الترسل . فان سرت فيها برجلين . ولم اطر بجناحين . فلك يد السبق ومثال ذلك ان اقول لك اكتب كتابا في المعنى الذي اقول وانص عليه وانشد من القصائد ما اريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا اكتب ذلك قرىء من آخره الى اوله. وانتظمت معانيه اذا قرىء من اسفله . هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما . او تجيل قدحاً او تصيب نجحاً . او قلت لك اكتب كتاباً اذا قرىء من اوله الى آخره كان كتاباً . واذا عكست سطوره مخالفــة كان جوابا . او قلت لك اكتب كتاباً في المعنى الذي يقترح لايوجد فيه حرفاً منفصلا

من راء تتقدم الكلمة بديهة هل كنت تفعل. او قلت لك اكتب كتاباً خالياً من الالف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفاً محموداً . او قلت لك اكتب كتاباً يخلو من الحروف العواطل . هل كنت تحظى منه بطائل . او تبل لهاتك بناطل . او قلت لك اكتب كتاباً اوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم . على المعنى الذي يقترح هل كنت تغلو في قوسه غلوة او تخطو في ارضه خطوة . او قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ معرجا وسرد معوجا . كان شعراً هل كنت تقطع في ذلك سعراً . بلى والله تصيب ولكن من بدنك . وتقطع ولكن من ذقنك او اقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجهه كان مدحا . واذا فسر على وجه آخر كان قدحا هل كنت تخرج عن هذه العهدة . او اقول لك اكتب كتابا تكون حفظته من قبل أن لخصته . هل كنت تثق من نفسك به الى ما اطاولك بعد . لا بل « است البائن اعلم . . . »

فقال ابو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذه . فما الذي تحسن انت من الكتابة وفنونها حتى اباحثك على مكنونها واكاثرك بمخزونها . واشبر قلمك . واسبر فيها لسانك وفمك . فقال الكتابة التي يتعاطاها اهل الزمان المتعارفة بين الناس . فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذجة . وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم . المتناول بكل لسان وفم ولا تحسن هذه الشعبذة ؟ فقال : نعم . فقلت : هات الان حتى اطاولك بهذا الحبل . وانا ضلك بهذا النبل . ثم تقاس الفاظي بالفاظك . ويعارض انشائي بانشائك . واقترح كتابا يكتب في النقود وفسادها . والتجارات ووقوفها . والبضاعات وانقطاعها . والاسعار وغلائها . فكتب ابو بكر : الدرهم والدينار من الدنيا والاخرة بهما يتوصل الى جنات النعيم . ويخلد في نار الجحيم . قال الله تبارك وتعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) . وقد بلغنا من فساد النقود ما اكبرناه اشد الاكبار . وانكرناه اعظم الانكار . لما نراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد . وتعرفنا في ذلك ما يربح للناس في الزرع والضرع . ويقدم

اليه من امر الضر والنفع . . . الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع . اسجاع قد ثبتت في المعد . ولم تزل في اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا اطالبك بمثل ما انشأت وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة . وبهت وبهتت الكافة . وقالوا لي اقرأه فجعلت اقرأه منكوسا واسرده معكوسا . وكان ما انشأناه . الله شاء ان . المحاضر صدور بها . وتملأ المنابر ظهور لها . وتفرع الدفاتر وجوه بها . وتمشق المحابر بطون لها . ترشق اثاراً كانت فيه آمالنا مقتضى على اياديه في تأييده الله ادام الامير جرى فاذا . المسلمين ظهور عن الثقل . هذا ويرفع الدين اهل عن الكل . هذا يحط ان في اليه نتضرع . ونحن واقفة والتجارات زائفة . والنقود صيارفة . اجمع الناس صـــار فقد كرتنا نظراً لينظر شيمه مصاب وانتجعنا كرمه بارقة . وشمنا همه . على آمالنا رقاب . وعلقنا احوالنا وجوه له . وكشفنا آمالنا وفود اليه . بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا ان ونعماه تأييده . وادام بقاه الله . اطال الجليل الامير رأى ان . وصلى الله على محمد وآله الاخيار . (١)

فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر احد الخصمين . فلنا الى اللغة . فقلت خذ غريب المصنف ان شئت . واصلاح المنطق ان اردت . والفاظ ابن السكيت ان نشطت . ومجمل اللغة ان اخترت . وادب الكتاب ان اردت . واقترح علي اي باب شئت من هذه الكتب حتى اجعله لك نقــداً . واسرده سردا فقال اقرأ من غريب المصنف . فقرأت الباب الذي اراده ولم اتردد فيه . واتيت على الباب الذي يليه . ثم قلت اقترح غيره . فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الان باب المصادرة من فصيح

---

(١) هذه الرسالة لا يستقيم لها معنى اذا قرئت مستقيمة ولا يصح لها معنى الا اذا قرئت منكوسة بعكس جملها فيبدأ بها من آخر كلمة الى اول كلمة بان يقـــال (ان رأى الامير الجليل اطال الله بقاه وادام تأييده الخ)

الكلام . فوقف حماره . وخمدت ناره . وقال الناس اللغة مسلمة لك ايضا فهأتوا غيره . فقلت يا ابا بكر هات العروض . فهو احد ابواب الادب . وسردت منه خمسة ابحر بالقابها وابياتها وعللها وزحافها فقلت : هات الان فاسرد كما سردت . وضجر الناس وتقوض المجلس هذا ملخص ما جرى بينهما . (١)

قدوم المتنبي اللاذقيـــة وادعاؤه النبوة

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي : قدم ابو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائه وهو لاعذار لهوله وفرة الى شحمتي اذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيته من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته . واقتباسا من ادبه . قلت : والله انك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك اتدري ماتقول انا نبي مرسل . ! فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : ما تقول ؟ فقال : انا نبي مرســل . فقلت له : الى من مرسل ؟ فقال : الى هذه الامة الضالة المضلة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً قلت بماذا ؟ قال بادرار الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع واتى وضرب الرقاب لمن عصا وابى . فقلت له : ان هـذا امر

---

(١) وجدنا هذه المناظرة النادرة الوجود في نسخة من الصبح مخطوطة فاثبتناها هنا بعد بذل الجهد في تصحيح اخطائها الكثيرة على مافيها من عصبية على الخوارزمي ، وصرف للحق عن سبيله لانها من رواية احد الخصمين ولا يصح اتخاذ كلام الخصم شهادة ولما كان من ميل القوم مع البديع على ابي بكر وشدهم ازره وما كان عليه ابو بكر من الكبر والشيخوخة وخمود القريحة وضعف الذاكرة وما كان عليه البديع من الشباب والنشاط وتوقد الذهن . على ان للخوارزمي مكانته السامية .

عظيم اخاف عليك منه وعذلته على ذلك فقال بديهة :

ابا عبـــد الاله معاذ اني ... خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم مطلبي واني ... أخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تأخــذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان الي شخصا ... لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليـالي ... ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمنـــام

فقلت : ذكرت انك نبي مرسل الى هذه الامة افيوحى اليك قال : نعم . قلت فاتل علي شيئا مما اوحي اليك فاتاني بكلام مامر بسمعي احسن منه فقلت وكم اوحي اليك من هذا ؟ فقال : مئة عبرة واربع عشرة عبرة قلت : وكم العبرة ؟ فأتى بمقدار اكبر من الاي في كتاب الله تعالى . قلت : في كم مدة اوحي اليك ؟ قال : جملة واحدة قلت اسمع في هذه العبرات ان لك طاعة في السماء فما هي ؟ قال : احبس المدرار لقطع ارزاق العصاة والفجار قلت اتحبس في السماء مطرها ؟ قال اي والذي فطرها ! اما هي معجزة ؟ قلت بلى والله ! قال فان حبست المطر عن مكان تنظر اليه ولا تشك فيه هل تؤمن بي وتصدقني على ما اوتيت من ربي قلت اي والله قال ســـافعل ولا تسلني عن شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ولا تظهر شيئا من هذا الامر حتى يظهر وانتظر ما وعدته من غير ان تسأله ثم قال لي بعد ايام اتحب ان تنظر المعجزة التي جرى ذكرها قلت اي والله فقال لي اذا ارسلت اليك هذا العبد فاركب معه ولا تتأخر ولا تخرج معك احدا قلت نعم فلما كان بعد ايام تغيمت السماء في يوم من ايام الشتاء واذا عبده قد اقبل فقال يقول لك مولاي اركب للموعد فبـــادرت الى الركوب معه وقلت اين ركب مولاك قال الى الصحراء واشتد وقع المطر فقال بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي فانه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه المطر قلت وكيف عمل قال اقبل الى السماء اول ما بدا السحاب الاسود وهو يتكلم بما لا افهم

ركبة الفرس والمطر في اشد ما يكون ونظرت الى نحو مني ذراع في مثلها من ذلك التل مافيه قطرة مطر فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت ابسط يدك اشهد انك رسول الله .. فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ثم قال :

اي محل ارتقي ؟ اي عظيم اتقي ؟
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق..
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي ... !

كيف عمت بيعته

واخذت بيعته لاهلي ثم صح بعد ذلك ان البيعة عمت كل مدينة في الشام وذلك باصغر حيلة تعلمها من بعض العرب وهي صدحه المطر يصرفه بها عن اي مكان أحب بعد ان يحوي بعصاً وينفث في الصدحة التي لهم .

قال ابو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاظمونه حتى ان احدهم يصدح عن غنمه وابله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر وهو ضرب من السحر(١) وسألت المتنبي بعد ذلك هل دخلت السكون قال : نعم اما سمعت قولي ؟

ملث(٢)القطر اعطشها ربوعا والا فاسقها السم النقيعا
امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فقلت من ثم استفاد ما جوزه على طغام اهل الشام

قرآنه

ومن كلامه الذي يزعم انه قرآن انزل عليه :

والنجم السيار . والفلك الدوار . والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف اثر من كان قبلك من المرسلين . فان الله قامع بك زيغ من الحد في الدين . وضل عن السبيل .

---

(١) هذه خرافة لا تصدق (٢) الملث : الدائم المقيم

ادعاء المتنبي ان الارض تطوى له

ومما كان يتخرق به في البادية انه كان مشاء قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل وجهه ويديه ورجليه ثم يأتي اهل هذه الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له

وسئل في تلك الايام عن النبي ﷺ فقال : اخبر بنبوتي حيث قال لا نبي بعدي وانا اسمي في السماء (لا !!!)

معارضة المعري للقرآن

وعلى ذكر قرآن المتنبي نذكر ماقيل من ان ابا العلاء المعري عارض القرآن بكتاب وعنونه بالفصول والغايات في مجازاة السور والايات فقيل له ما هذا الا جيد الا انه ليس عليه طلاوة القرآن فقال : حتى تصقله الالسن في المحاريب اربعمائة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون .

قال الباخرزي في الدمية : ابو العلاء احمد بن عبد الله ابن سليمان المعري التنوخي ضرير ماله في انواع الادب ضريب ومكفول في قميص الفضل ملفوف . ومحجوب خصمه الالد محجوج . وقد طال في ظلال الاسلام اناؤه . ولكن ربما يترشح بالالحاد اناؤه . وعندنا خبر بصره والله اعلم ببصيرته والمطلع على سريرته وانما تحدثت الالسن باساءته لكتابه الذي زعموا انه عارض به القرآن وعنونه بالفصول والغايات ومحاذات السور والايات بما تقدم نفسه تلك الخيانة وجذ تلك الهوسات كما تجذ العير الصليانة حتى قال القاضي أبو جعفر

كلب عوى بمعرة النعمان   لما خلا عن ربقـــة الايمان
امعرة النعمان ما انجبت اذ   اخرجت منك معرة العميان

ومما ظهر من قرآن ابي العلاء : اقسم بخالق الخيل . والريح الهابة بليل بين الشرط ومطالع سهيل . ان الكافر لطويل الويل . وان العمر لمكفوف الذيل . اتق

مدارج السيل . وطالع التوبة من قبيل . تنج وما اخالك بناج .

قال ابن سنان : وهذا الكتاب اذا تأمله العاقل علم انه بعيد عن المعارضة . وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة وقد وضعه على حروف المعجم ففي كل حرف فصول وغايات فالغاية مثل قوله بناج والفصل ما يتقدم الغاية . فيذكر فصلا يتضمن التمجيد والمواعظ ويختمه بالغاية على حروف المعجم مثل تاج وراج وحاج كالمخمسات والموشحات (١) وهذه فصول منه وقد انتقدت عليه : لبك نبيك الصادق فانظر مايخبرنك ولا تخالفنه وعليك(٢) سجيةالمؤمن وشا كه فته . ما اثق بخبر ينفيه اللب غير الكلم بغض وحب . اتبع معقولك فانه يهديك ولا تكن شر تبيع . كيف اسفك على الغصون الناضره هزها نسيم لطف فدنَ لو صدقنا المخبر لوقع الجد ولكن بان كذبه لمن يعقل . فما اطاق الناس الكلف وبالله الواحد اتعوذ من شر الالسنة وما اجلن : من زعم انه قد هدي فذلك هو المرء المتحير ما لعماك لحاه الله مانت الصمد اخباره : اخبرك زعيم عن ربك فخطت بالكذب اخباره من ربح من سوق الكذب فذلك المعروف خساره : قد غبر قليل العمر . وذهب بالباطل سائره اجعل معقولك دليلك . وابرد بالنسك غليلك . واحذر ان تهضم دليلك . رب حديث يستمع والعقل يخبرك ضده عز مصور الامم لم يثبت الفكر نده . العقل نبي . والخاطر جني . والنظر ربي . ونور الله لهذه الثلاثة معين . القوة بك إله الجبارين . اخبر عنك فسمعت الخبر وكيف يظهر سرك الى المخلوقين : ومنحتني حساً يشهد ان اخبارهم اباطيل فاذا صدقتها الغيت ما منحتنيه وان كذبتها أفعاقبي انت برد ما دفعه المعقول . كيف اصدق ما نقله ابن داب . نستغفرك وانت الواحد مالعظمتك جاحد . اخبر بعض الناس عنك فكذب . وانت اهل العظمة ماأوجه الكذبة وضاء . ما نقدر على ما يرضيك . لانا لا نعرف غرضك . لكن العقل يخبر ان فعل الخير لوجهك . ان كتب كاتب علي . فليحفظ عن لساني وشفتي اني

---

(١) وجدنا هذه المختارات من كلام العمري ساقطة من النسخة المطبوعة

(٢) اسم فعل بمعنى الزم

اقر بالله فلا اجحده . واستغفره واوحده واشهد على ان كان ذنبي بخطأ وتفريط لا احسم املي من عفو الله العظيم . وازدري نفسي من دون الانفس وقل ماالنظر الى البشر بازدراء ما انطق ما اقول . في شأن الصمد ضلت العقول . ما يئست من كرمك ولاابلست . ألست عبدك ألست . بلى ولكني مسيء فلا إله إلا انت استغنيت بمعرفتك عن كل السفراء . الحمد لك اذا لم تنشر لي حديثاً في البشر كحديث العبري فاذا فعل مع الكنة فعل غير سري : تلتمس من ربك وليس في الانوار المشرفة شيء أعظم انارة من حجابك . (١)

خروج المتنبي والقبض عليه وسجنه

ولما اشتهر امره وشاع ذكره وخرج بارض سلمية من عمل حمص في بني عدي قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتكين وأمر النجار بان يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف فقال المتنبي :

زعم المقيم بكوتكين بانه ... من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبته مذ صرت من ابنائهم ... صارت قيودهم من الصفصاف

ولما صار معتقلا في الحبس كتب الى الوالي :

بيدي ايها الامير الاريب ... لا لشيء الا لاني غريب

او لام لها اذا ذكرتني ... دم قلب بدمع عين يذوب

ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ... ت فاني على يديك أتوب

عائب عابني لديك ومنه ... خلقت في ذوي العيوب العيوب

قيل : كان للوالي الذي حبس المتنبي ولد صغير فسمع به فدخل لينظره فرآه منزعجاً من القيود مضطرباً فقال له : اصبر كما صبر اولو العزم من الرسل : وهذه موضوعة لانها نقلت عن احد ابناء الخلفاء العباسيين وكتب اليه من السجن قصيدة يستعطفه بها اولها

ايا خدد الله ورد الخدود ... وقد قدود الحسان القدود

(١) انتهت الزيادة وفيها تصحيف لم نهتد الى صوابه اثبتناه على علاته .

يقول في اثنائها في استعطاف ذلك الامير والتنصل اليه مما اتهم به :

لقد حال بالسيف دون الوعيد ... وحالت عطاياه دون الوعود

فأنجم امواله في النحوس ... وانجم سؤاله في السعود

ولو لم اخف غــير اعدائه ... عــليه لبشرته بالخـــلود

قيل : ولما وصل الوالي الى هذا البيت وهو :

وبيض مســافرة لا يقمن ... لا في الرقاب ولا في الغمود

قال . لقد تصبب عرقا وتقلب ارقا حتى استنبط هــذا المعنى من قول ابي بكر النحوي المعروف بعرفه وهو :

وبيض تسافر ما ان تقيم ... لا في الرقاب ولا في العرب

بطيء رضــاهن لكنها ... غداة اللقـــآ سراع الغضب

الى ان قال :

امالك رقي ومن شــأنه ... هبات اللجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجا ... والموت مني كحبل الوريد

دعوتك لمـــا براني البلا ... واوهن رجلي ثقل الحديد

وقد كان مشيهما في النعال ... فقد صار مشيهما في القيود

وكنت من الناس في محفل ... فها انا في محفل من قرود

تعجل في وجوب الحــدود ... وحدي قبل وجوب السجود

اى انما تجب الحدود على البالغ وانا صبي لم تجب علي الصلاة بعد ويجوز ان يكون صغر امر نفسه عند الوالي لان من كان صبيا لم يظن به اجتماع الناس اليه للشقاق والخلاف ومنها :

وقيل عدوت على العـــالمين ... وبين ولادي وبين القعود

فـــالك تقبل زور الــكلام ... وقدر الشهادة قدر الشهود

فـــلا تسمعن من الكاشحين ... ولا تعبأن بعجل اليهود

وكن فارقاً بين دعوى اردت ودعوى فعلت بشأو بعيد
وفي جود كفيك ما جدت لي بنفسي ولو كنت اشقى ثمود

وكتبت الى ابي دلف سجان الوالي الممدوح بالقصيدة السابقة وقد بره :

اهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا ابا دلف
غير اختيار قبلت برك لي والجوع يرضى الاسود بالجيف
كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

والبيت الثاني مأخوذ من قول ابي علي البصير :

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

ومنه اخذ المهلبي قوله :

وما كنت الا كلحم ميت دعا الى اكله اضطرار

والبيت الرابع يشابه قول ابي نصر الخبزرزي :

حصلت منكم على ما ليس يقنعني وكيف يقنع سؤ الكيل والحشف
وليس سكناي نقصاناً لمنزلتي فيكم كما الدر لا يزري به الصدف

واحسن ما قاله مسجون قول علي بن الجهم لما حبسه المتوكل :

قالت حبست فقلت ليس بضائري حبسي واي مهند لا يغمد
او ما رأيت الليث يألف غيله كبراً واوباش السباع تردد
والنار في احجارها مخبوءة لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والغيث يحطوه الغمام فما يرى الا وريقه يراح ويرعد
والبدر يدركه الظلام فتنجلي ايامه فكأنه متجدد
والزاغبية لا يقيم كعوبها الا الثقاف وجذوة تتوقد
عبر الليالي باديات عود والمال عارية يفاد فينفد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب اتاك به الزمان الانكد

فلكل حال معقب ولربما ... اجلى لك المكروه عما يحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود
صبراً فان اليوم يعقبه غد ... ويد الخلافة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المتزود
لو لم يكن في الحبس الا انه ... لا تستذلك بالحجاب الاعبد
بيت يجدد للكريم كرامة ... وتزار فيه ولا تزور وتقصد

ومنها :

من السوية يابن عم محمد ... خصم تقربه وآخر تبعد
ان الذين سعوا اليك بباطل ... اعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم وتحكموا ... فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصمين عندك مجلس ... يوماً لبان لك الطريق الاقصد
والشمس لولا انها محجوبه ... عن ناظريك لما اضاء الفرقد

وقال عاصم بن محمد الكاتب لما حبسه احمد بن عبدالعزيز بن ابي دلف :

قالوا حبست فقلت خطب انكد ... انحى علي به الزمان الانكد
لو كنت حراً كان سربي مطلقاً ... ما كنت احبس عنوة واقيد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن ... وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت ... في الذئاب وجذوتي تتوقد
من قال ان الحبس بيت كرامة ... فمكابر في قوله متجلد
ما الحبس الا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدو فشامت ... يبدي التوجع تارة ويفند
او زارني فيه الصديق فموجع ... يذري الدموع بزفرة تتردد
يكفيك ان الحبس بيت لا ترى ... احداً عليه من الخلائق يحسد
تمضي الليالي لا اذوق لرقده ... طعما وكيف حياة من لا يرقد

في مطبق فيه النهار مشاكل   لليل والظلمات فيه سرمـــد

اعتذار المتنبي عن هذا الأسم

وقال ابو علي : قيل للمتنبي على من تنبأت قال على الشعراء . فقيل له لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى   عدواً له ما من صداقته بـــد

وحكى ابو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت ابا الطيب يقول : انما لقبت بالمتنبي لقولي :

انا ترب الندى ورب القوافي   وسمام العدى وغيظ الحسود

انا في امـــة تـــداركها الله   غريب كصالح في ثمود

ما مقامي بارض نخـــلة الا   كمقام المسيح بين اليهود

(١) [قال ابو العلاء المعري في رسالة الغفران : وحدثت ان المتنبي كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال هو من النبوة اي المرتفع من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ثم قال : وقد دلت اشياء في ديوانه انه كان متألهاً ومثل غيره من الناس متدلهاً فمن ذلك قوله : ولا فابلا الا لخالقه حكما .

وقوله :

ما اقدر الله ان يخزي بريته   ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

ثم قال : واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبي عن اعتقاد الانسان لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تدينا وانمـــا يجعل ذلك تزينا . ثم قال وحدثت ان المتنبي كان يصلي بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الاعراب وانه صلى ركعتين وذلك في وقت العصر ويجوز انه كان على سفر وان القصر جائز له ثم قال وحدثت عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه ههنا ناقة صعبة فأن قدرت على

---

(١) مابين الهلالين من زيادات النسخة الخطية

ركوبها اقررنا انك مرسل وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي السمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم وحدثت ايضا انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحا مفرطا وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشدها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعدله اياما وليال وان ذلك الكاتب قبل منه فبرىء الجرح فصاروا يعتقدون في أبي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون هو كمحيي الاموات وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل واراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد انك ستجد الكلب قد مات فلما عاد الرجل ألفى الأمر على ماذكر ولا يمتنع ان يكون اعدله شيئا من المطاعم مسموما والقاه وهو يخفى عن صاحبه ما فعل (١) وقال له بعض الاكابر وهو في مدينة السلام اخبرني من اثق به انك قلت انا نبي فقال الذي قلته انا احمد النبي

اتصاله بأبي العشائر

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال من خمول وضعف حال في بلاد الشام حتى اتصل بأبي العشائر ومدحه بعدة قصائد اولها

اتراهــــا لكثرة العشاق	تحسب الدمع خلقة في المآقي
كيف ترثي التي ترى كل جفن	رآهـــا غير جفنها غير راقي
انت منا فتنت نفسك لكنك	عوفيت من ضنى واشتيـــاق
حلت دون المزار فاليوم لو زر	ت لحال النحول دون العناق

---

(١) انتهت الزيادة

ومنها في المديح

وتكاد الظبي لما عودوها تنتضي نفسها الى الاعناق
واذا اشفق الفوارس من و قع القنا اشفقوا من الاشفاق

ومنها القصيدة التي اولها

لا تحسبوا ربعكم ولا طلله اول حي فراقكم قتله
قد تلفت قبله النفوس بكم واكثرت في هواكم العذله

ومنها في المديح

مستحيا من ابي العشائر ان اسحب في غير ارضه حلله
اسحبها عنده لدى ملك ثيابه من جليسه وجله

وارد ابو العشائر سفراً فقال عند وداعه ارتجالا قصيدة اولها

الناس ما لم يروك اشباه والدهر لفظ وانت معناه
والجود عين وانت ناظرها والبأس باع وانت يمناه

ومنها

تنشد اثوابنا مدائحه بألسن ماهن افواه
اذا مررنا على الاصم بها اغنته عن مسمعيه عيناه

واصل هذا المعنى لنصيب حيث قال

فعادوا واثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وتبعه معوج الرقي في قوله

قد اتتني من ابي العباس يوم المهرجان
خلع تثني عليه الدهر من غير لسان

واذا تأمل المتأمل عرف الفرق بينهما وبين ابي الطيب : ومنها

سبحان من خار للكواكب با لبعد ولو نلن كن جدواه
لوكان ضوء الشموس في يده لضاعه جوده وافناه

يا راحلا كل من يودعه مودع دينه ودنياه
ان كان فيما نراه من كرم فيك مزيد فزادك الله

فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة .

اتصاله بسيف الدولة

ولما قدم سيف الدولة الى انطاكية قدم المتنبي اليه واثنى عنده عليه (وعرفه منزلته من الشعر والأدب) واشترط المتنبي على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا أنشده مديحه . لا ينشده الا وهو قاعد وانه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وتطلع الى مايرد منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فلما انشده قصيدته التي أولها

وفاؤ كما كالربع اشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمه
ومـا انا الا عاشق كل عاشق اعق خليليه الصفيين لائمه
وقد يتزيا بالهوى غير اهله ويستصحب الأنسان من لايلائمه
بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

قيل كان ابو العلاء المعري اذا ذكر الشعرآء يقول قال ابو النواس كذا قال البحتري كذا قال ابو تمام كذا فأذا أراد المتنبي قال قال الشاعر كذا تعظيما له فقيل له يوماً لقد اسرفت في وصفك المتنبي قال أليس هو القائل

بليت بلى الأطلال ان لم اقف بهـا وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم يقف اربعين يوماً فقيل له من اين علمت ذلك قال سليمان أبن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم اربعين يوماً فقيل له ومن أين علمت انه بخيل قال من قوله تعالى (وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي) وما كان عليه ان يهب الله لعباده اضعاف ملكه

ومنها

كثيراً توقاني العواذل في الهوى   كما يتوقى ريض الخيل حازمه

فني تغرم الأولى من اللحظ مهجتي   بثانية والمتلف الشيء غارمه

وهذا من قول الخبزارزي

الى كم أذل وأستعطف   وانت تجور ولا تنصف

أيا يوسف الحسن صل مدنفاً   مدامعه لم تزل تذرف

اعيذك من ظالم غاشم   سوى الخلف في الوعد لا يعرف

ولي مهجة انت اتلفتها   عليك غرامة ما تتلف

وبيت المتنبي فيه زيادة أكسبته حسناً

ومنها

سقاك وحيانا بك الله أنما   على العيس نور والخدور كمائمه

وما حاجة الاظعان حولك في الدجى   الى قمر ما واجد لك عادمه

وقال البحتري في هذا المعنى

اضرت بضوء البدر والبدر طالع   وقامت مقام البدر لما تغيبا

وتبعه الخبزارزي في قوله

وما حاجة الركب السراة اذا بدى   لهم وجهه ليلا الى طلعة البدر

وأنشد في مجلس المعتمد ابن عباد اللخمي صاحب أشبيلية (اعادها الله كما كانت) قوله منها

اذا ظفرت منك العيون بنظرة   اثاب بها معيي المطى ورازمه

وجعل المعتمد يردده استحساناً له وكان في مجلسه محمد بن عبد الجليل بن وهبون الأندلسي فأنشد ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فأنما   لاجل العطايا واللهى تفتح اللهى

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى   بأنك تروي شعره لتألها

ومنها في المديح

له عسكرا خيل وطير اذا رمى　بها عسكراً لم يبق الا جماجمه
أجلتها من كل طاغ ثيابه　وموطئها من كل باغ ملاغمه
فقد مل ضوء الصبح مما تغيره　ومل سواد الليل مما تزاحمه
ومل القنا مما تدق صدوره　ومل حديد الهند مما تلاطمه
سحاب من العقبان يزحف تحتها　سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

واعترض على هذا البيت ابو سعيد العميدي حيث قال لم يسمع بأن السحابة تسقي ما فوقها وجوابه ظاهر وهذا معنى حوى طرفي الأعجاب والأغراب وقد تجاذبته افكار الشعرآء فمما جآء به قول النابغة

اذا ما غزوا بالجيش حلق حقوقهم　عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن ان قبيله　اذا ما التقى الجمعان اول غالب

وقال ابو نواس

يتوخى الطير غدوته　ثقة باللحم من جزره

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها　فهن يتبعنه في كل مرتحل

وقال ابو تمام

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى　بعقبان طير في الدمآء نواهل
اقامت مع الرايات حتى كأنها　من الجيش الا انها لم تقاتل

وقد ذكر هذا المعنى قديماً وحديثاً وأوردوه بضروب من العبارات غير هؤلاء الا أنهم جاؤا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك ومن جهة الأيجاز في اللفظ ولم أر احداً غرب في هذا الطريق مع اختلاف مقصده اليها الا مسلم بن الوليد فقال

اشربت ارواح العدا وقلوبها　خوفاً فأنفسها اليك تطير
لو حاكمتك فطالبتك بدخلها　شهدت عليك ثعالب ونسور

وكذلك فعل ابو الطيب فأنه لما انتهى الأمر اليه سلك هذه الطريقة التي سلكها من تقدمه الا أنه خرج فيها الى غير المقصد الذي قصدوه فأغرب وأبدع وحاز الأحسان بجملته فصار كأنه المبتدع لهذا المعنى دون غيره فما قال فيه

يفدي أتم الطير عمراً سلاحه　　نسور الفلا أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب　　وقد خلقت أسيافه والقوائم

وقال في موضع آخر

وذي لجب لا ذو الجناح أمامه　　بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة　　تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة　　تدور فوق البيض مثل الدراهم

وهذه من أعاجيب ابي الطيب المشهودة ولو لم يكن له من الأحسان في شعره غيرها لأستحق بها فضيلة التقديم

(١) وقد تصرف في هذا المعنى ابو عامر بن ابي مروان بن شهيد الأندلسي فقال

وتدري سباع الطير ان كماته　　اذا لقيت صيد الكماة سباع
تطير جياعاً فوقه وتردها　　ظباه الى الأوكار وهي شباع

وكذلك اخذه ابو بكر العطار فقال

تظل سباع الطير عاكفة بهم　　على جثث قد سل انفسها النعر
وقدعوضتهم من قبور حواصلا　　فيامن رأى ميتاً يطير به القبر (٢)

وآخر القصيدة

تحاربه الأعداء وهي عبيده　　وتدخر الاموال وهي غنائمه
ويستكبرون الدهر والدهر دونه　　ويستعظمون الموت والموت خادمه
وان الذي سمى علياً لمنصف　　وان الذي سماه سيفاً لظالمه
وما كل سيف يقطع الهام حده　　وتقطع لزبات الزمان مكارمه

---

(١) ما بين القرسين من زيادات النسخة الخطية (٢) انتهت الزيادة

وحسن موقعه عنده فقربه وأجازه الجوائز السنية ومالت نفسه اليه واحبه فسلمه الى الرواض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة :

وحكى انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ومنهـــا غزوة العثآء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة انفار احدهم المتنبيء وأخذت عليهم الطرق الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على العسكروفرق الصفوف وبدد الألوف : وحكى الرقي عن سيف الدولة قال كان المتنبي يسوق فرسه فاعتلقت بعمامته طاقة من الشجر المعروف بأم غيلان فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامةوتخيل المتنبيء ان الروم قد ظفرت به فكان يصيح الأمان يا علج فقال سيف الدولةفهتفت به وقلت ايما علج هذه شجرة علقت بعمامتك فودان الأرض غيبته فقال له ابن خالو يه ايها الامير أليس انه ثبت معك حتى بقيت في ستة انفار تكـفية هذه الفضيلة

وحكى ان السري الرفآء حين قصد سيف الدولة انشده بديهاً

اني رأيتـــك جالساً في مجلس　　قعد الملوك به لديك وقـــاموا
فـــكأنك الدهر المحيط عليهم　　وكأنهم من حولك الايـــام

ثم انشده بعد ذلك ما كان قاله فيه من الشعر وبعد ثلاثة ايام انشده المتنبي قصيدة قافية فأمر له بفرس وجارية وأول القصيدة

ايدري الربع اي دم أراقـــا　　واي قلوب هذا الركب شاقـــا
لنـــا ولأهله أبـــداً قلوب　　تلاق في جسوم ما تـــلاقى
وما عفت الريـــاح له محـــلا　　عفاه من حدا(١)بهم وساقـــا
فليت هوى الأحبـة كان عدلا　　فحمل كل قلب ما اطاقـــا
نظرت اليهم والعين شكرى (٢)　　فصارت كلها للدمع ماقـــا
وقد اخذ التمـــام البدر فيهم　　واعطاني من السقم المحاقـــا

---

(١)حدا الابل وبالابل ساقها(٢)شكرى ملأى من الدمع

وبين الفرع والقدمين نور يقود بلا ازمتها النياقـــا
وطرف ان سقى العشاق كأساً بها نقص سقانيها دهاقـــا

فلما قال

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

فقال السري هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ومما يقال انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام فلا صحة له لان السري قد استعمـل هذا المعنى بقوله

احاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق

وحكى صاحب المفاوضة قال كان سيف الدولة يميل الى ابي العباس النامى الشاعر ميلا شديداً الى أن جاءه المتنبيء فمال عنه اليه فغاظ ذلك ابا العباس فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعاتبه وقال للأمير لم تفضل على ابن عيدان السقا فأمسك سيف الدولة عن جوابه فلج وألح عليه وطالبه بالجواب فقال لانك لاتحسن ان تقول كقوله

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغذ اليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً وأبو العباس هذا هو القائل .

كان قد بقي في الشعر زاوية دخلها المتنبيء وكنت اشتهي أن أكون سبقته الى معنيين قالهما ما سبق اليهما اما احدهما فقوله

رماني الدهر بالارزآء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتي سهـام تكسرت النصال على النصال

والاخر قوله

في جحفل ستر العيون غباره فكانما يبصرن بالاذان

وأستنشد سيف الدولة ابا الطيب يوماً قصيدته التي مدحه بها وقد سار لبناء

الحدث وذكر ايقاعه بالدمستق (١) عليها وكشفه له وقتله خلقا من اصحابه وأسره صهره وابن بنته وأقامته على الحدث الى ان بناها وذلك في يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

ومنها

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطي والدهر راغم
تفيت الليالي كل شيء اخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارم
اذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن أساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد ما لهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وامة ... فما يفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره ... فلم يبق ألا صارم أو ضبارم
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفر من الفرسان من لا يصادم

---

(١) في المطبوعة دمشق عوض عن الدمستق وهو تصحيف

(١) وهذه الابيات الأخيرة من احسن ما قيل في الجيوش الكثيرة وكذلك ورد قول ابي تمام من قصيدة يمدح بها المأمون

فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه   حسن اليقين وقاده الاقدام
متعنجر لجب ترى سلافه   ولهم بمنخرق الفضاء زحام
ملأ الملا عصياً فكاد بأن يرى   لا خلف فيه ولا له قدام

يقال اتعنجرت العين دمعاً واتعنجر دمعها وهو انصباب الدمع وتتابعه ولجب كثير الاصوات . والسلافة المتقدمون والملا مقصوراً ما اتسع من الارض وقال النابغة في عظم الجيش

بحر(٢) يظل به الفضاء معضلا   يذر(٢) الاكام كأنهن صحارى

ومعضل من قولهم عضلت المرأة عند الولادة اذا عسر خروج الولد

وقال مالك المازني

بجيش لهام يشغل الارض جمعه   على الطير حتى ما يجدن منازلا

وقال البحتري

بجمع ترى فيه النهار فبيلة   اذا سار فيه والظلام قبائلا

وقال سلم الخاسر

وكتائب يغشى العيون اذا جرى   ماء الحديد عليهم الرجراج
وتفرقت رزق الاسنة فيهم   تسقي الحنايا ما لهن مزاج
نزلت نجوم الليل فوق رؤسهم   ولكل رأس كوكب وهاج

وقال مسلم

في عسكر تشرق الارض الفضاء به   كالليل انجمه القضبان والاسل (٣)

ولما بلغ المتنبي الى قوله

---

(١) ما بين القوسين من زيادات الخطية

(٢) في ديوان النابغة لجب بدل بحر و يدع بدل يذر (٣) انتهت الزيادة

وقفت وما في الموت شك لواقف ... فأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطـــال كلمى هزيمة ... ووجهك وضـــاح وثغرك باسم

انتقاد سيف الدولة على المتنبي

قال سيف الدولة وقد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله

كأني لم اركب جواداً للذة ... ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد أجفال

فبيتـاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرىء القيس وكان ينبغي له ان يقول :

كأني لم اركب جواداً ولم اقل ... لخيلي كرى كرة بعد اجفـال
ولم اسبـــأ الزق الروى للذة ... ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

وكذلك كان ينبغي ان تقول

وقفت وما في الموت شك لواقف ... ووجهك وضـاح وثغرك باسم
تمر بك الابطـــال كلمى هزيمة ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي ان صح ان الذي استدرك على امرئ القيس هذا وهو اعلم بالشعر منه فقد اخطأ امرؤ القيس واخطأت انا ومولانا يعلم ان الثوب لا يعلمه البزاز كما يعرفه الحائك فأن البزاز يعلم جملته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس لذة النسآء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الاعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف وأنا كذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الاول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون احسن تلاؤماً ولما كـان وجه الجريح المنهزم عبوساً وعينه باكية قلت : (ووجهك وضاح وثغرك باسم)

لاجمع بيرن الاضـــداد

في المعنى فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار

(قال (١) ابن جنى حدثني ابوعلي الحسين بن احمد القسوي قال خرجت بحلب اريد دار سيف الدولة فلما برزت من السور اذا أنا بفارس متلثم قد اهوى نحوي برمح طويل وسدده الى صدري فكدت اطرح نفسي عن الدابة فحسر لثامه فـأذا المتنبي وأنشد

(٢) نثرت رؤوساً بالاحيدب منهم   كما نثرت فوق الرؤوس الدراهم

ثم قال كيف هذا القول أحسن هو

فقلت ويحك قد قتلتني يا رجل قال ابن جني فحكيت هذه الحكاية لابي الطيب بمدينة السلام فعرفها وضحك منها) (٣)

ماجرى بين المتنبي و بين ابن خالويه

قال ابن بابك حضر المتنبي مجلس ابي احمد بن نصر البازيار وزير سيف الدولة وهناك ابو عبدالله ابن خالويه النحوي فتماريا في اشجع السلمي وأبي نواس البصري فقال ابن خالويه اشجع اشعر اذ قال في هرون الرشيد رحمه الله تعالى

وعلى عدوك يـا ابن عم محمد   رصدان ضوء الصبح والأظـلام

فأذا تنبـه رعته واذا غفى   سلت عليـه سيوفك الأحلام

فقال المتنبي لأبي نواس ما هو احسن في بني برمك وهو

لم يظلم الدهر اذ توالت   فيهم مصيبـاته دراكا

كانوا يجيرون من يعادي   منه فعـاداهم لذاكا

(١) مابين القوسين منزيادات النسخة الخطية

(٢) وفيالديوان (نثرتهم فوق الاحيدب كلهم) الخ

(٣) انتهت الزياده

الاسباب التي اوجبت مفارقة سيف الدولة (١)

قال عبد المحسن علي ابن كوجك ان أباه حدثه قال كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي وأبو عبد الله بن خالو يه النحوي وقد جرت مسئلة في اللغة تكلم فيها ابن خالو يه مع ابي الطيب اللغوي والمتنبيء ساكت فقال له سيف الدولة ألا تتكلم يا أبا الطيب فتكلم فيها بما قوى حجة ابي الطيب اللغوي وضعف قول ابن خالو يه

فأخرج من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبيء فقال له المتنبيء اسكت ويحك فأنك اعجمي واصلك خوزي فما لك وللعربية فضرب وجه المتنبيء بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبيء لذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا فكان ذلك احد اسباب فراقه سيف الدولة قال ابن الدهان في المآخذ الكندية

قال ابو فراس لسيف الدولة ان هذا المتشدق كثير الأدلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاث آلاف دينار على ثلاثة قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبيء غائباً وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة وأنشد

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً   فداه الورى امضى السيوف مضاربا
ومالى اذا ما اشتقت ابصرت دونه   تنائف (٢) لا أشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه   احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤلا ولبيك داعيا   وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
أهذا جزآء الصدق ان كنت صادقا   أهذا جزآء الكذب ان كنت كاذبا
فأن كان ذنبي كل ذنب فأنه   محا الذنب كل الذنب من جآء تائبا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبيء من عنده متغيراً وحضر

(١) هذه القصة مشوشة في المطبوعة لا تكاد تفهم (٢) التنائف المفازة الواسعة

ابو فراس وجماعة من الشعرآء فبالغوا في الوقيعة بحق المتنبي. وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله

مالي اكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم

ان كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله وأعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في أنشاده الى قوله

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال ابو فراس مسخت قول دعبل وادعيته وهو

ولست ارجو انتصافا منك ما ذرفت عيني دموعا وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبي

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن انت يا دعي كندة حتى تأخذ أعراض الامير في مجلسه واستمر المتنبي في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الأعمى الى ادبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظا وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد في قوله

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً وأظهرت أغرابا وأبداعا

حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم أبصارا وأسماعا

ولما وصل الى قوله

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس وماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك

وتأخذ جوائز الامير أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن عريان العثماني

(١) اعاذلتي كم مهمه قد قطعته   اليف وحوش سا كناً غير هائب

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى   وجرد المذاكى والقنا والقواضب

(١) حليم وقور في البلاد وهيبتي   لها في قلوب الناس بطش الكتائب

فقال المتنبي

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظلم

قال ابو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلي

اذا لم اميز بين نور وظلمة   بعيني فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكى

اذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى   فما الفرق بين العمى والبصراء

وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها وضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي في الحال

ان كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس اخذت هذا من قول بشار

اذا رضيتم بان نجفى وسركم   قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومي

اذا ما الفجائع اكسبنني   رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الي ما قال ابو فراس وأعجبه بيت المتنبي ورضى عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بالف دينار ثم اردفه بالف اخرى فقال المتنبى

---

(١) هذا البيت ساقط في سياق هذه القصة في اليازجي وفي المتنبي للاستاذ جبري بك

جاءت دنانيرك مختومة | عاجلة الفاً على الف
اشبهها فعلك في فيلق | قلبته صفا على صف

وفي آخر القصيدة يقول

شر البـــلاد مكان لا صديق به | وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشــر ما قنصته راحتي قنص | شهب البزاة سواء فيه والرخم

البيت الاول مأخوذ من أبيات الصاحب العلوي الداعي بطبرستان وهو

انا من جناب سوالكفي مرعى ند | واقيم عندك في جناب مجدب
ان كنت ذا بصر فميز فضل ما | بين الفراء وبين صيد الارنب

فجعل موضع الفراء الباز الاشهب وموضع الارنب الرخم والثاني من قول محمد بن عيينة المهلبي من قصيدة أولها

دمية قفرة وربع جـــديب (١)
لاتثق بالكذوب واعلم يقينــا | ان شرالرجال عندي الكذوب
بي وفاء محض وكف جواد | وجلال بـــاد ورأي صليب
أخبث الارض ماخلت من صديق | واضر الافعال فعل معيب

وحكى ابو الفرج قال كان ابو الطيب يأنس بي ويشكو سيف الدولة ويأمنني على عيبته له وكانت الحال بيني وبينه عامرة دون باقي الشعراء وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه ويجفو عليه اذا كلمه والمتنبي يجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها قال ابو الفرج الببغاء واذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقهـــا بسكين الدواة فمد ابو عبدالله بن خالويه طيلســـانه فحثا فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيل دراعتي فحثالي جانباً والمتنبي حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه ، وركبوه وصـــارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة وانصرف فخاطب ابو عبد الله بن

(١) هنا بياض في المطبوعة والمخطوطة .

خالويه سيف الدولة في ذلك فقال يتعاظم تلك العظمة وينزل الى مثل هذه المنزلة لولا حماقته وحكي ان ابا الطيب المتنبي دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفا فلما نظر ابا الطيب نهض من مجلسه واجلسه في دسته

ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختار منها واحداً ثقيل الحلي واختار ابن العميد غيره فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته اجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد فبماذا نجربهما قال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم نضرب به فأن قدها فهو قاطع فاستدعى ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فأن احد الخدام يلتقطها ويأتي بها اليك فقال بل صاحب الحاجة أولى وحكى ابو بكر الخوارزمي ان المتنبي كان قاعداً تحت قول الشاعر

وأن احق الناس باللوم شاعر　　يلوم على البخل الرجال ويبخل

وانما اعرب عن طريقته وعادته بقوله

بليت بلى الأطلال ان لم أقف بها　　وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

قال وحضرت عنده يوما وقد احضر مالا بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشه فوزن واعيد الى الكيس وتخللت قطعة كأصغر ما يكون بين خلال الحصير فأكب عليها بمجامعه ليستنقذها منه واشتغل عن جلسائه حتى توصل الى اظهارها وأنشد قول قيس بن الحطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة　　بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها فقال له بعض جلسائه أما يكفيك ما في هذه الاكياس حتى أدميت اصبعك لأجل هذه القطعة قال انها تحضر المائدة

وحكى علي بن ابي حمزة البصري قال بلوت من ابي الطيب ثلاث خلال محمودة وتلك انه ما كذب ولا زنى ولا لاط وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة وتلك أنه

ما صام ولاصلى ولا قرأ القرآن وقال ابن فورجة في كتاب (التجني عن ابي العلاء المعري)عن رجل من اهل الشام كان يتوكل لأبي الطيب في داره يعرف بأبي سعيد قال دعاني ابو الطيب يوماً ونحن بحلب ولم أكن اعرف منه الميل الى اللهو مع النساء ولا الغلمان فقال لي أرأيت الغلام ذا الأصداغ الجالس الى حانوت كذا من السوق وكان غلاماً وسيماً لحاشاً فيما هو سبيله فقلت نعم أعرفه قال فأمض وأتني به واتخذ دعوة وأنفق واكثر وكنت استطلع رأيه في جميع ما أنفق فمضيت واتخذت له ثلاثة الوان من الاطعمة وعدة صفحات من الحلو واستدعيت الغلام فأجاب وأنا متعجب من جميع ما أسمع منه : اذ لم تجر له عادة في مثله فعاد أبو الطيب من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام وفرغ من اتخاذ الطعام فأكلا وأنا ثالثهما ثم جن الليل فقدمت له شمعة وأمر برفع دفاتره وكانت تلك عادته كل ليلة فقال احضر لضيفك شراباً وأقعد الى جانبه ففعلت ما أمرني به كل ذلك وعينه الى الدفتر يدرس ولا يلتفت علينا الا في حين بعد حين فما شربنا ألا قليلا حتى قال أفرش لضيفك وأفرش لنفسك وبت ثالثنا ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته ففعلت وهو يدرس حتى مضى من الليل اكثره ثم آوى لفراشه ونام فلما اصبحنا قلت له ما يصنع فقال احبه وأصرفه فقلت له وكم أعطيه فأطرق ساعة وقال أعطه ثلثمائة درهم فتعجبت من ذلك ثم جسرت نفسي فدنوت منه وقلت له انه ممن يجيب بالشيء اليسير وأنت لم تنل منه حظاً فغضب ثم قال أتظنني من أولئك الفسقه اعطه ثلثمائة درهم ولينصرف راشداً ففعلت ما أمرني به وصرفته قال ابن فورجه كان المتنبيء داهية مر اللسان شجاعاً حافظاً للأدب عارفا بأخلاق الملوك ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بخله وشرهه على المال قال ابو البركات ابن ابي الفرج المعروف بابن زيد التكريتي الشاعر قال بلغني أنه قيل للمتنبي قد شاع عنك من البخل في الآفاق ما قد صار سمراً بين الرفاق وانت تمدح في شعرك الكرم وأهله وتذم البخل وأهله ألست القائل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ٭ مخـــافة فقر فالذي فعل الفقر

ومعلوم ان البخل قبيح ومنك أقبح فأنك تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك . والبخل ينافي سائر ذلك فقال ان للبخل سببا وذلك اني أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد فأخذت خمسة دراهم بجانب منديلي وخرجت امشي في أسواق بغداد فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة فأستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي فتقدمت اليه وقلت بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ فقال بغير اكتراث اذهب فليس هذا من أكلك فتماسكت معه وقلت ياهذا دع ما يغيظ وأقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم فلشدة ما جبهني به ما استطعت ان اخاطبه في المساومة فوقفت حائراً ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل وأذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهبا الى داره فوثب اليه صاحب البطيخ من الدكان ودعاله وقال يا مولاي هذا بطيخ باكور بأجازتك احمله الى البيت فقال الشيخ ويحك بكم هذا قال بخمسة دراهم قال بل بدرهمين فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ودعا له وعاد الى دكانه مسروراً بما فعل فقلت يا هذا ما رأيت اعجب من جهلك استمت علي في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت قد اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار فعلمت ان الناس لا يكرمون احداً اكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة الف دينار وأنا لا أزال على ما تراه حتى اسمع الناس يقولون ان ابأ الطيب قد ملك مائة الف دينار : قلت قد وقع في شعر ابي الطيب الوصية بالحزم وضبط الاموال كقوله في قصيدته التي أولها

أود من الأيام مالا توده ... وأشكو اليها بيننا وهي جنده

يباعدن حباً يجتمعن ووصله ... فكيف بحب يجتمعن وصده

ابى خلق الدنيا حبيباً تديمه ... فما طلبي منها حبيباً ترده

الى أن قال :

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده

فلا ينتحل في المجد مالك كله ... فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذي المجد كفه ... اذا حارب الأعداء والمال زنده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يصف كافور بالبخل حيث حرمه وسلك في ذلك مسلك كثير عزه فأنه دخل على هشام بن عبد الملك وكان بخيلا فمدحه فلم يثبه فقال كثير يخاطبه

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... صنيعة تقوى أو خليلا توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة ... ومجد ولا يعنيك الا حقائقه

قيل لكثير ماحملك على أن تعلم امير المؤمنين البخل فقال انه منعني من رفده وآلمني برده فأردت أن أحبب اليه المال فيمنح غيري كما منعني فيتفق الناس على ذمه

وأحسن قصائد أبي الطيب في سيف الدولة وتراجع شعره بعد مفارقته وسئل عن السبب في ذلك فقال

قد تجوزت في قولي وأعفيت طبعي وأغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان وفيهم من يقول

تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل نعتها مثلي على حاله نكر

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى ... قتيلك قالت ايهم فهم كثر

فقلت لها لو شئت لم تتعنتي ... ولم تسئلي عنى وعندك بي خبر

فقالت لقد ازرى بك الدهر بعدنا ... فقلت معاذ الله بل انت لا الدهر

وما كان للأحزان لولاك مسلك ... الى القلب لكن الهوى للبلى جسر

وتهلك بين الجد والهزل مهجة ... اذا ماعداها البين عذبها الهجر

فأيقنت ان لاعز بعدي لعاشق ... وأن يدي مما علقت به صفر

وأني لنزال بكل مخوفة ... كثير الى نزالها النظر الشزر

وأني لجرار لكل كتيبة ... معودة ان لايخل بها النصر

وأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا ... واسغب حتى يشبع الذئب والنسر

وفيهم من يقول

صبور ولو لم تبق مني بقيــــة　　قئول ولو أن السيوف جواب
وقور وأحداث الزمان تنوشني　　والموت حولي جيئة وذهاب
متذكرا بأبي تميم ابن عامر　　وكعب على علاتها وكلاب
أنا الجار لازادي بطيء عليهم　　ولا دون مالي للحوادث باب

يعني أبا فراس : وفيهم من يقول :

وقد علمت بما لاقته منا　　قبائل يعرب وبني نزار
لقيناهم بأرمـــاح طوال　　تبشرهم بأعمار قصـــار

يعني أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان . وفيهم من يقول

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي　　والخيل من تحت الفوارس تنحط
لقرأت منها ما تخط يـــد الوغى　　والبيض تشكل والاسنـــة تنقط

يعني أبا العشائر قال أبو الفتح بن جني كنت قرأت ديوان المتنبي عليه، فلمـــا وصلت الى قوله :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب　　وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

فلما انتهيت الى قوله

لحا الله ذي الدنيا مناخا لراكب　　فكل بعيد الهم فيها معذب
الا ليت شعري هل أقول قصيدة　　ولا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عني أقله　　ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب
وأخلاق كافور اذا شئت مدحه　　وان لم أشأ تملى علي وأكتب
اذا ترك الانسان أهلا وراءه　　ويمم كـــافوراً فما يتغرب

فقلت له يعز علي ان يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع فيه الحذر ألست القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك　　ولا تعطين الناس ما أنـــا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسؤ تدبيره وقلة تمييزه وهذا البيت من قصيدة له يمدح سيف الدولة بها ويصف دخول رسول ملك الروم اليه، ولو لم يكن للمتنبي سوى هذه القصيدة لاستحق بها فضيلة التقدم على كل من تقدمه وهي

دروع لملك الروم هذي الرسائل   يرد بها عن نفسه ويشاغل

وهذا أحسن من قول أبي تمام

(غدا خائفا يستنجد الكتب مذعنا   اليك فلا رسل تفيد ولا كتب)

...

هي الزرد الضافي عليه ولفظها   عليك ثناء سائغ وفضائل

وأنى اهتدى هذا الرسول بأرضه   وما سكنت مذ سرت فيها القساطل

ومن اي ماء كان يسقي جياده   ولم تصف من مزج الدماء المناهل

وهذا أيضا أحسن من قول البحتري

(يغالب طعم الماء في ملتقاهم   حسى الدم حتى يلفظ الماء شاربه)

...

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه   وتنقد تحت الدرع منه المفاصل

يقوم تقويم السماطين مشيه   اليك اذا ما عوجته الافاكل(١)

تقاسمك العينين منه ولحظه   سميك والخل الذي لا يزايل

نصب العينين واللحظ والسمي والخل(٢)

وأبصر منه الرزق والرزق مطمع   وابصر منه الموت والموت هائل

وقبل كما أقبل الترب قبله   وكل كمي واقف متضائل

واسعد مشتاق واظفر طالب   همام الى تقبيل كمك واصل

(١) السماطين مثنى سماط وهو الصف من الناس والا فاكل جمع افكل وهو الرعدة من خوف أو برد

(٢) اجمع شراح الديوان على رفع سميك لانها فاعل تقاسمك

مكان تمناه الشفاة ودونه صدور المذاكى والرماح النوابل
فما بلغته ما أراد كرامة عليك ولكن لم يخب لك سائل
واكبر منه همة بعثت به اليك العدا واستنصرته الجحافل
فاقبل من أصحابه وهو مرسل وعاد الى أصحابه وهو عاذل

وهذا يشابه قول البحتري

لحظوك أول لحظة فاستصغروا من كان يعظم عندهم ويبجل
قد نافث الغير الحضور على الذي شهدوا وقدحسدالرسول المرسل

* * *

تحير في سيف ربيعة أصله وطابعه الرحمن والمجد صاقل
وما لونه مما تحصل مقلة وما حده مما تحس الأنامل
اذا عاينتك الرسل هانت نفوسها عليها وما جاءت به والمراسل
رجال الروم من ترجي النوافل كلها لديه ولا ترجى لديه الطوائل
فان كان خوف القتل والاسر ساقهم فقد فعلوا ما القتل والاسر فاعل
نخافوك حتى ما لقتل زيادة وجاؤوك حتى ما تراد السلاسل
أرى كل ذي ملك اليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول

أخذه من ابن المعتز

ملك تواضعت الملوك لعزه قسراً وفاض على الجداول بحره
اذا امطرت منهم ومنك سحائب فوابلهم طل وطلك وابل

هذا أيضاً كقول البحتري

انذرتكم عارضاً تبدو مخايله فالقطرة الغد منه وابل هطل
كريم متى استوهبت ما انت راكب وقد لقحت حرب فانك نازل

وهذا المعنى مأخوذ من خبر روي عن حاتم الطائي انه بارز عامر بن الطفيل

وفقد عامر رمحه فخافه عامر فقال ياحاتم لانجلنك (١) قال بمـــاذا قال أدفع إلى رمحك أقاتلك فيه فرمى اليه برمحه ورجع مولياً وقال بشار ما ينظر الى هذا المعنى

لو كان لي سيف غداة الوغى   طبت به نفساً لأعـــدائي

واحسن ما قيل في هذا المعنى قول البحتري

ماض على عزمه في الجود لو وهب الـ   شباب يوم لقـآء البيض مـــا ندما

قال ابن الاحمر

اني أقيد بالمأثور راحلتي   ولا ابالي وإن كنا على سفر

وما زال المتنبي بعد مفارقته لسيف الدولة يعرض بمدحه تارة ويصرح أخرى فمن ذلك قوله في أول قصيدة مدح بها كافوراً

فراق ومن فارقت غير مذمم

ومن ذلك ايضا قوله في قصيدة كافورية

عشية احفى الناس بي من جفوته   واهدى الطريقين الذي اتجنب

ما وجد من شعره في غير ديوانه (١)

ورأيت له قصيدتين في هجآء كافور ومدح سيف الدولة ونقلتهما من خط أبي منصور محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري . قـــال انهما وجدتا في رحله لما قتل وعملها بواسطة احداهما قوله

أفيقا خمـــار الهم بغضني الخمرا   وسكري من الايام جنبي السكرا

---

(١) نجله الشيء بالرمح طعنه

(٢) نقل هاتين القصيدتين عن الصبح المنبي الشيخ ابراهيم اليازجي في تكملته لشرح والده الشيخ ناصيف اليازجي ديوان المتنبي من صفحة ٦٤٦ الى ٦٥١

تسر خليلي المدامــــة والذي بقلبي يأبى أن أســـركما سرا

لبست صروف الدهر أخشن ملبس فعرقني نابا ومزقني ظفرا

وفي كل لحظ لي ومسمع نغمة يلاحظني شزراً ويسمعني هجرا

سدكت(١) بصرف الدهر طفلا ويافعا فأفنيته عزما ولم يفنني صبرا

أريد من الأيام مالا يريـــده سواي ولا يجري بخاطره فكرا

وأسألها ماأستحق قضــــاءه وما أنا ممن رام حاجته قسرا

ولي همة من رأي همتها النوى فتركبني من عزمها المركب الوعرا

تروق بني الدنيا عجائبهــــا ولي فؤاد ببيض الهند لا يبضها مغرى

أخـــوهم رحالة لا تزال في نوى تقطع البيدآء أو أقطع العمرا

ومن كان عزمي بين جنبيه حثه وخيل طول الارض في عينه شبرا

صحبت ملوك الأرض مغتبطاً بهم وفارقتهم ملآن من حنق صدرا

ولما رأيت العبد للحر مالكا أبيت أبآء الحر مسترزقا حرا

ومصر لعمري أهل كل عجيبة ولا مثل ذا المخصي أعجوبة بكرا

يعد اذا عد العجـائب أولا كما يبتدا في العد بالاصبع الصغرا

فياهرم الدنيا وياعبرة الورى ويا أيها المخصي من امك البظرا (١)

نوبية لم تدر أن بنيهـــا الـ نوبي دون الله يعبد في مصـــرا

ويستخدم البيض الكواعب كالدمى وروم العبدى والغطارفة الغرا

قضــــاء من الله العلي أراده ألا ربما كانت أرادته شرا

ولله آيات وليس كهذه أظنك(٢) يا كافور آيته الكبرى

لعمرك مادهر به أنت طيب أيحسبني ذا الدهر أحسبه دهرا

(١) سدك به لزمه

(٢) هذا البيت ساقط فى سياق القصيدة في اليازجي

(٣) في اليازجي فانك يا كافور الخ

وأكفر يا كافور حين تلوح لي ففارقت مذ فارقتك الشرك والكفرا
عثرت بسيري نحو مصر فلالعاً بها ولعا بالسير عنها ولا عثرا
وفارقت خير الناس قاصد شرهم وأكرمهم طراً لالأمهم طرا
فعاقبني المخصي بالغدر جازيا لان رحيلي كان عن حلب غدرا
وما كنت ألا فائل الرأي لم أعن بحزم ولا استصحبت في وجهتي حجرا (١)
وقد أري الخنزير أني مدحته ولو علموا قد كان يهجى بما يطرى
جسرت على دهياء مصر فقتها ولم يكن الدهياء الا من استجرا (٢)
سأجلبها أشباه ماحملته من أسنتها جرداً مقسطلة غبرا
وأطلع بيضا كالشموس مطلة اذا طلعت بيضا وأن غربت حمرا
فأن بلغت نفسي المنى فبعزمها وألا فقد أبلغت في حرصها عذرا

والاخرى قوله :

قطعت بسيري كل يهماء مفزع وجبت بخيلي كل صرماء بلقع
وثلمت سيفي في رؤوس وأذرع وحطمت رمحي في نحور وأضلع
وصيرت عزمي بعد رأيي (٣) رائدي وخالفت آراء توالت بمسمعي
ولم أترك أمراً أخاف اغتياله ولا طمحت نفسي الى غير مطمع
فارقت مصراً والاسيود عينه حذار مسيري تستهل بأدمع
ألم يفهم الخنثى مقالي وانني افارق من اقلي بقلب مشيع (٤)

---

(١) الحجر العقل

(٢) يقال داهية دهياء اي شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها وفتها جاوزتها واستجرا من الجرأة وهي الشجاعة والاقدام يقول جسرت على اقتحام الداهية بمصر يعني ماحاق به من خطر الهلكة ثم نجوت منها فكنت أنا الداهية (٣) في اليازجي : وصيرت رأي بعد عزمي رائدي

(٤) المشيع : الجريء

ولا ارعوي الا الى من يودني ولا يطبيني(١) منزل غير ممرع
ابا النتن قد قيدتني بمواعد مخـــافة نظم للفؤاد مروع
وقدرت من فرط الجهالة انني اقيم على كذب وصيف مصنع
اقيم على عبد خصي منـــافق لئيم رديء الفعل للجود مدع
واترك سيف الدولة الملك الرضى كريم المحيا اروعا وابن اروع
فتى بحره عذب ومقصده غنى ومرتع مرعى جوده خير مرتع
تظل أذا ما جئته الدهر آمنا بخير مكان بل بأشرف موضع

مكاتبة سيف الدولة للمتنبي

قال ابن سعيد ان سيف الدولة كان يكاتب المتنبي ويهاديه فقال يمدحه وأنفذها اليه من الكوفة وكان سيف الدولة قد كاتبه اليه بأجمل مكاتبة وأنفذ اليه كسوة وبراً وعرض له بالعود

مالنا كلنا جو يارسول أنا أهوى وقلبك المتبول

الى أن قال

نحن ادرى وقد سألنا بنجـــد أقصير (٢) طريقنا أم طويل
وكثير من السؤال اشتيـــاق وكثير من رده تعليل
لا أقمنا على مكان وان طا ب ولا يمكن المكان الرحيل
كلما رحبت بنا الروض قلنـــا حلب قصدنا وأنت السبيـــل
فيك مرعى جيادنا والمطايـــا واليهـــا وجيفنـــا والذميل
والمسمون بالأمير كثير والأمير الذي بها المـــأمول
الذي زلت عنه شرقاً وغربـــاً ونداه مقـــابلي ما يزول
ومعي اينما سلكت كاني كل وجه له بوجهي كفيـــل

(١) يطبيني يدعوني (٢) في اليازجي : أطويل طريقنا أم يطول

وأذا العذل في الندى زار سمعاً ... فقـــداه العذول والمعذول
وموال تحييهم من يديـــه ... نعم غيرهم بهـــا مقتــول
فرس سابح ورمح طويـــل ... ودلاص زغف (١) وسيف صقيل

وأرسل اليه من بغداد قصيدة جواب كتاب ورد منه في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وهي

فهمت الكتاب أبر الكتب ... فسمعـــاً لأمر امير العرب

الى أن قال:

وما لاقني بـــلد بعدكم ... ولا اعتضت من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجواد ... أنكر أظلافه والغبب (٢)
وما قست كل ملوك البلاد ... فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم بـــاسمه ... لكان الحديد وكانوا الخشب
أفي الرأي يشبه أم في السخآ ... ء أم في الشجاعة أم في الادب

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست وأربعين وثلثمائة لم يجد بلداً اقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة فسار الى الشام والقى بها عصا تسياره وكان بدمشق يهودي من اهل تدمر (٣) يعرف بأبن ملك من قبل كافور ملك مصر فالتمس من المتنبيء ان يمدحه فثقل عليه فغضب ابن ملك وجعل كافور الأخشيدي يكتب في طلب المتنبيء من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال لم اقصد العبد وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ونبت دمشق بابي الطيب فسار الى الرملة فحمل اليه اميرها الحسين بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلى وكان كافور الاخشيدي يقول لاصحابه اترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا واخبر المتنبيء انه واجد عليه ثم كتب

(١) الدلاص الدرع البراقة والزغف: اللينة المحكمة النسج (٢) الغبب اللحم المتدلي تحت حنك البقرة (٣) في المطبوعة: مصر

كافور يطلبه من امير الرملة فسار اليه وكافور هذا عبد اسود خصي الشفة السفلى بطين قبيح القدمين ثقيل البدن لافرق بينه وبين الأمة وقد سئل عنه بعض بني هلال فقال رأيت أمة سوداء تأمر وتنهى وكان هذا الأسود لقوم من اهل مصر يعرفون ببني عياش يستخدمونه في مصالح السوق وكان ابن عياش يربط في رأسه حبلا اذا اراد النوم فاذا اراد منه حاجة جذبه بالحبل لانه لم يكن ينتبه بالصياح وكان غلمان ابن طغج يصفعونه في الاسواق كلما رأوه فيضحك فقالوا هذا الاسود خفيف الروح وكلموا صاحبه في بيعه فوهبه لهم فاقاموه على وظيفة الخدمة ومات سيده ابو بكر ابن طغج وولده صغير وتقيد الاسود بخدمته واخذت البيعة لولد سيده وتفرد الاسود بخدمته وخدمة والدته فقرب من شاء وبعد من شاء فنظر الناس اليه من صغر هممهم وخسة انفسهم فسابقوا الى التقريب اليه وسعى بعضهم ببعض حتى صار الرجل لايأمن اهل داره على اسراره وصار كل عبد بمصر يرى انه خير من سيده ثم ملك الامر على ابن سيده وامر ان لايكلمه أحد من مماليك أبيه ومن كلمه اتلفه فلما كبر ابن سيده وتبين مما هو فيه جعل يبوح بما هو في نفسه في بعض الاوقات على الشراب ففزع منه الأسود وسقاه سماً فقتله وخلت مصر له

قدوم المتنبي على كافور

ولما قدم أبو الطيب عليه امر له بمنزل ووكل به جماعة واظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال ابو الطيب في سنة ست واربعين وثلثمائة بمصر يمدحه بقصيدته التي اولها

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن امانيا

الى آخرها وكان وعده ان يبلغه مافي نفسه فأنشد قصيدته التي اولها

من الجآذر في زي الأعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقوفه بين يدي كافور

وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفـــان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق وكان (١) لايجلس بمجلس كافور فأرسل اليه من قال له قد طال قيامك ياابا الطيب في مجلسه يريد ان يعلم مافي نفسه

فقال ارتجالا

يقل له القيام على الرؤوس   وبذل المكرمات من النفوس
اذا خانته في يوم ضحوك   فكيف تكون في يوم عبوس

قلت ينبغي التعجب لايرضى ابوالطيب ان ينشد قائما عند سيف الدولة وهو على ما كان عليه وبعد اشتهاره في اقطار الارض ومعرفة ماوسمهـــا بفضله فعل ماسمعته . ورأيت له قصيدة ليست في ديوانه (٢) يرثي بها ابا بكر بن طغج الاخشيدي اولها

هو الزمان مشت بالذي جمعا   في كل يوم ترى من صرفه بدعا
ان شئت مت أسفاً أو فابق مضطرباً   قد حل ما كنت تخشاه وقد وقعا
لو كان ممتنع تغنيه منعته   لم يصنع الدهر بالاخشيد ما صنعا

وهي طويلة لم يحضرني منها الا هذه الابيات وسأل ابو الطيب كافور ان يوليه صيدآء من بلاد الشام او غيرها من بلاد الصعيد فقال له كافور انت في حال الفقر وسؤ الحال وعدم المعين سمت نفسك الى النبوة فان اصبت ولاية وصار لك اتباع فمن يطيقك ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه العيون والارصاد خوفا من ان يهرب وأحس المتنبي بالشر قال الوحيدي كنت بمصر وبها ابو الطيب ووقفت من

(١) هكذا في الاصلين . المطبوع والمخطوط والذي نقله شراح الديوان (دس اليه الاسود من قال له قد طال قيامك في مجلس كافور يريد أن يعلم ما في نفسه له

(٢) نقل هذه الابيات ابن اليازجي عن الصبح المنبي

امره على شفا الهلاك ودعتني نفسي لحب اهل الادب الى ان احثه على الخروج من مصر فخشيت على نفسي ان يشيع ذلك عني وكان هو مستعداً للهرب وانما فات اظافير الموت ومخالب المنية من قرب وهو جنى ذلك على نفسه لانه ترك مدح ابن حرابة وهو وزير كافور والمقرب منه وهو مع ذلك من بيت شريف اهل وزارة ورياسة ومن العلم والادب بموضع جليل وهو باب الملك فأتى من غير باب وانشده القصيدة اليأيية واولها مما يتطير منه كيف لا وبراعتها

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن امانيا

تمنيتها لما تمنيت ان ترى   صديقا فأعيا او عدواً مداجيا

قلت تذكرت بهذا البيت حكاية وهي ماحدث محمد بن الحسن الخوارزمي قال مررت بمحمد ابن موسى الملقب بسيبويه بن الموسى وهو يقول مدح الناس المتنبي على قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى   عدواً له مامن صداقته بد

ولو قال مامداراته او مداجاته بد لكان احسن واجود قال واجتاز المتنبي به فوقف عليه وقال ايها الشيخ أحب أن اراك . فقال له رعاك الله ، وحياك فقال له بلغني انك انكرت علي قولي عدواً له مامن صداقته بد فما كان الصواب عندك فقال له ان الصداقة مشتقة من الصدق في المودة ولا يسمى الصديق صديقا وهو كاذب في مودته فالصداقة اذن ضد العداوة ولا موقع لها في هذا الموضع ولو قلت مامن مداراته او مداجاته لاصبت . هذا رجل منا يريد نفسه قال

اتاني في قميص اللاذ يسعى   عدو لي يلقب بالحبيب

فقال المتنبي أمع هذا غيره قال نعم

وقد عبث الشراب بوجنتيه   فصير خده كسنا اللهيب

فقلت له متى استعملت هذا   لقد اقبلت في زي عجيب

فقال الشمس اهدت لي قميصاً   مليح اللون من نسج المغيب

فثوبي والمدام ولون خدي   قريب من قريب من قريب

فتبسم المتنبي وانصرف وسيبويه يصيح عليه : ابكم الرجل وجلائل الله وكان المتنبي يذكر قول سيبويه في هذا البيت قال الواحدي وهذا الابتداء مما تمجه الأسماع فقبح ابن حرابة اثره ثم لم يزل يذكر سواد كافور : ووراءه من ينبـــه على عيوبه كقوله في قصيدته التي اولها

انما التهنئات للاكفاء   ولمن يدني من الاعداء

الى ان قال

انما يفخر الكريم ابو المسـ   ـك بما يبتني من العلياء

وبأيامه التي انسلخت عنـ   ـه وما داره سوى الهيجاء

وبما أثرت صوارمه البيـ   ـض له في جماجم الاعداء

وبمسك يكنى به ليس بالمـ   ـسك ولكنه اريج الثناء

ومنهـــا

نزلت اذ نزلتها الدار في احـ   ـسن منهـا من السنا والسناء

حل في منبت الرياحين منها   منبت المكرمات والآلاء

تفضح الشمس كلما ذرت   الشمس بشمس منيرة سوداء

ان في ثوبك الذي المجد فيه   لضياء يزري بكل ضيـــاء

انما الجلد ملبس وابيضاض الـ   ـنفس خير من ابيضاض القباء

كرم في شجاعة وذكاء   في بهـــاء وقدرة في وفاء

من لبيض الملوك ان تبـدل   اللون بلون الاستاذ والسحناء

يا رجاء العيون في كل ارض   لم يكن غير ان اراك رجائي

فكان يقول ابن حرابة انه هزيء بكافور في هذه الابيـات ويسهل على الناس في أمر لونه ويحسنه له قال الوحيدي كان المتنبي يعلم ان ذكر السواد على مسـامع كافور أمر من الموت فاذا ذكر لون السواد بعد ذلك فقد اساء الى نفسه وعرضها للقتل

والحرمان وكان من أحسان الصنعة وأجمال الطلب ان لا يذكر لونه وله عنه مندوحة ولكن الرجل كان سيء الرأي وسوء رأيه اخرجه من حضرة سيف الدولة وشدة تعرضه لعداوة الناس وقد ذكر سواد كافور في عدة مواضع وكان اللائق ان لايذكره الا كقوله

فجاءت بنا انسان عين زمانه   وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وهذا في اعلا طبقات الاحسان لكونه كنى عن سواده بانسان عين الزمان ومن هذه القصيدة

فتى ماسرينا في ظهور جدودنا   الى عصره الا نرجي التلاقيا

ومنها

أبا المسك ذاالوجه الذي كنت تائقا   إليه وذا الوقت الذي كنت راجيا

أباكل طيب لا أبا المسك وحده   وكل سحاب لا أخص الغواديا

يدل بمعنى واحد كل فاخر   وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ومن قول سام لو رآك لنسله   فدى ابن اخي نسلي ونفسي وماليا

قال ابو الفتح بن جنى لما قرأت قوله في كافور على ابي الطيب

وما طربي اني رأيتك بدعة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له لم تزد على ان جعلته ابازنه (١) فضحك ابو الطيب فانه بالذم اشبه منه بالمدح وبعد هذا البيت

وتعذلني فيك القوافي وهمتي   كأني بمدح قبل مدحك مذنب

ومن هذه القصيدة

واخلاق كافور اذا شئت مدحه   وان لم أشأ تملي علي وأكتب

اذا ترك الانسان اهلا ورآءه   ويمم كافوراً فما يتغرب

---

(١) وهي كنية القرد

ومنها

إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه   تبينت أن السيف بالكف يضرب
تزيد عطاياه على اللبث كثرة   وتلبث أمواه السحاب فتنضب
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله   فأني اغنى منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفي زماننا   ونفسي على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية   فجودك يكسوني وشغلك يسلب
يضاحك في ذا العيد كل حبيبه   حذائي وأبكي من أحب وأندب
أحن الى أهلي وأهوى لقاءهم   وأين من المشتاق عنقاء مغرب
فان لم يكن الا ابوك المسك اوهم   فانك أحلى في فؤادي وأعذب

الى ان قال في اثنائها

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً   لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المنعم يحسد المنعم عليه ولذلك ورد قوله في كافور

فان نلت ماأملت منك فربما   شربت بماء يعجز الطير ورده

فانه اذا أخذ بمفرده من غير نظر الى ما قبله فانه بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد وصدر البيت مفتتح بان الشرطية وقد اجيبت بلفظ رب التى معناها التعليل أي ليست من نوالك على يقين فان نلته فقد وصلت الى مورد لايصل اليه الطير لبعده وكثيراً مايقصد المتنبي هذا القسم في كافورياته كقوله

عدوك مذموم بكل لسان   ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في علاك وانما   كلام العدى ضرب من الهذيان

الى ان قال في آخرها

قضى الله يا كافور أنك أول   وليس بقاض أن يرى لك ثان
فما لك تختار القسي وإنما   عن السعد يرمى دونك الثقلان

ومالك تعنى بالأسنة والقنا   وجدك طعان بغير سنان
ولم يحمل السيف الطويل نجاده   وانت غني عنه بالحدثان

وهذا مايدل على براعة البليغ وقدرته على المعاني ومثله ورد في الحديث النبوي من كلام النبوة الاولى (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) فهذا الحديث على ضدين ومثله قول الفرزدق

اذا جعفر مرت على هضبة الحمى   فقد اخزت الاحياء منها قبورها

فأنه يدل ايضا على معنيين أحدهما ذم الاموات والاخر مدح الاموات وقوله ايضاً في كافور

فدى لأبي المسك الكرام فانها   سوابق خيل يهتدين بأدهم
اغر بمجد قد شخصن وراءه   الى خلق رحب وخلق مطهم

ومن رام معرفة مراد ابي الطيب في هذين البيتين فعليه بقول ابن الرومي

هم الغرة البيضاء من آل مصعب   وهم بقعة التحجيل والناس أدهم

وكان ابو الطيب يأنس بمصر بفاتك الاخشيدي المعروف بالمجنون ومدحه بالقصيدة التي اولها

لاخيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق ان لم تسعد الحال
واجز الامير الذي نعماه فاجئة   بغير قول ونعمى الناس اقوال

فتوفى فاتك ورثاه المتنبي وهجا كافورا بقصيدة اولها

الحزن يقلق والتجمل يردع   والدمع بينهما عصي طيع

ومنها

تصفوا الحياة لجاهل أو غافل   عما مضى فيها وما يتوقع

ومنها

كنا نظن دياره مملوءة   ذهبا فمات وكل دار بلقع
المجد اخسر والمكارم صفقة   من ان يعيش لها الهمام الاروع

ومنها

يامن يبدل كل يوم حلة   اني رضيت بحلة لا تنزع
لازلت تخلعها على من شأها   حتى لبست اليوم مالا يخلع

ومنها

من للمحافل والجحافل والسرى فقــدت بفقدك نيراً لايطلع

ومن اتخذت على الضيوف خليفة ضاعوا ومثلك لايكاد يضيع

قبحاً لوجهك يازمانــ فأنه وجه له من كل لؤم برقع

أيموت مثل ابي شجـاع فاتك ويعيش حاسده الخصي الأوكع

وله فيه ايضاً من قصيدة قالها بعد رحيله من مصر

من لا تشابهه الاحياء في شيم امسى تشابهه الاموات في الرمم

عدمته و كأني ســـرت اطلبه فما تزيدني الدنيــــا على العدم

مازلت أضحك ابلي كلما نظرت الى من اختضبت اخفافها بدم

أسيرها بين أصنام اشاهدهـــــا ولا أشاهد فيها عفة الصنم

حتى رجعت واقلامي قوائل لي المجد للســـــيف ليس المجد للقلم

اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به فأنما نحن للاسياف كـــالخدم

اسمعتني ودوآئي ما اشرت به فان غفلت فدائي قلة الفهم

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

وآخر مامدح به كافوراً قصيدته التي اولها

منى كن لي أن البياض خضاب فيخفى بتبيض القرون شباب

ليـــالي عند البيض فوداي فتنة وفخر وذاك الفخر عندي عاب

فكيف أذم اليوم ما كنت أشتهي وأدعو بما أشكوه حين أجاب

جلا اللون عن لون هدى كل مسلك كما انجاب عن ضؤ النهار ضباب

وفي الجسم نفس لاتشيب بشيبه ولو أن مافي الوجه منه حراب

لهـا ظفر إن كل ظفر أعده وناب اذا لم يبق في الفم ناب

يغير مني الدهر ماشاء غيرها وأبلغ اقصى العمر وهي كعاب

واني لنجم تهتدي صحبتي به اذا حال من دون النجوم سحاب

غني عن الأوطـــان لايستفزني الى بلد سافرت عنه أياب

ومنها

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

وانقطع ابو الطيب بعد انشاد هذه القصيده لا يلقى الاسود الا ان يركب فيسير معه في الطريق وعمل على الرحيل وقد اعد كلا يحتاج اليه على مر الايام بلطف ورفق ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين وقال في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاثمائة قبل سيره من مصر بيوم

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى ام لأمر فيك تجديد

ومنها

اني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ومنها

اكلما اغتال عبد السوء سيده او خانه فله في مصر تمهيد
صار الخصي امام الابقين بها فالحر مستعبد والعبد معبود

وآخرها

اولى اللئام كويفير بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

وفي يوم العيد سار من مصر هارباً واخفى طريقه فلم يؤخذ له اثر حتى قال بعض أهل الباديه هبه سار فيها فمحا اثره وقال بعضهم أنما عمل طريقا تحت الارض وتبعته البادية والحاضرة من سائر الجوانب وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغايب وكتب الى عماله من سائر أعماله ودخل ابو الطيب الى موضع يعرف بنخل بعد ايام وسار حتى قرب من النقاب فرأى رائدين لبني سليم على قلوصين فركب الخيل وطردهما حتى

اخذهما فذكر له أن اهلهما أرسلوهما رائدين فاستبقاهاورد عليهما القلوصين وسلاحهما وسارا معه حتي توسط بيوت بني سليم آخر الليل فضرب له ملاعب خيمة بيضاء وذبح له وسار الى اليفع فنزل ببادية معن فذبح له وسار الى اندخل حسمى وهي ارض كثيرة النخل وطابت له حسمى فأقام بها شهراً وكان نازلا بها عند وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى عبيده وأجلسهم مع امرأته فكانوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله . وكاتب الأسود سائر قبائل العرب في طلبه وظهر لابي الطيب فساد عبيده وكان وردان الطائي يرى عند ابي الطيب سيفا مستوراً فسأله ان ينظره فابى لانه كان على قائمته مئة مثقال من الذهب وكان السيف ثميناً فجعل الطائي يحتال على العبيد بأمرته طمعاً في السيف لأن بعضهم أعطاه خبره فلما انكر أبو الطيب أمر العبيد ووقف على مكاتبة الاسود ترك عبيده نياماً وتقدم الى الجمال فشد عليها أسبابه وسار والقوم لا يعلمون برحيله وطرح عبيده على الأبل وهم لا يعلمون وأخذ في المسير وأخذ بعض العبيد السيف في الليل فدفعه الى عبد آخر مع فرسه وجاء ليأخذ فرس ابي الطيب فتنبه له فقال الغلام اخذ العبد الفرس يغالطه وعدا نحو الفرس ليقعد في ظهره فالتقى هو وأبو الطيب عند الحصان وسل العبد السيف وكرر سنه فضرب ابو الطيب وجهه بدوامر الغلمان بقتله وكان هذا العبد اشد من معه فقال أبو الطيب القطعة التي اولها

اعددت للغادرين أسيافاً ... أجدع منهم بهن آنافا

وقال ايضاً يهجو وردان

اذا كانت بنو طيْ لئاما ... فالأمهـا ربيعة او بنوه

وان كانت بنو طيْ كراما ... فوردان لغيرهم أبوه

مررنا منه في حسمى بعبد ... يمج اللؤم منخره وفوه

أشذ بعرسه عني عبيدي ... فأتلفهم ومالي أتلفوه

فان شقيت بأيديهم جيادي ... لقد شقيت بمنصلي الوجوه

ثم لما توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة رأى بعض عبيده ثوراً (١) فقال هذه منارة الجامع ونظر آخر الى نعامة فقال هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار (٢) عليك المنارا
فأمسك صحبي بأكوارهم وقد قصد النوم (٣) فيهم وجارا

وسار ابو الطيب حتى دخل الكوفة في شهر جمادى (٤) الآخرة سنة احدى وخمسين وثلثماية ونظم المقصورة التي اولها

ألا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى (٥)

وصف فيها مصيره عن مصر وذكر المنازل التي قطعها وهجا كافوراً وعرض بجعفر بن الفرات ثم توجه الى مدينة السلام

مناظرة الحاتمي والمتنبي

قال ابو علي الحاتمي كان أبو الطيب عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة يخيل له أن العلم مقصور عليه وأن الشعر لايغترف عذبه غيره ولا يقطف نواره سواه ولا يرى احداً الا ويرى لنفسه مزية عليه حتى اذا تخيل أنه نسيج وحده وانه مالك رق العلم دون غيره وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينة السلام وطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه واطمأن على التسليم جأشه وتخيل أبو محمد المهلبي أنه لا يتمكن أحد من مساجلته ومقارعته ولا يقوم لمجادلته والتعلق

(١) رواها الاستاذ جبري نوراً
(٢) الصوار القطيع من البقر
(٣) في اليازجي الضحك بدل النوم
(٤) في المحفوظة ربيع الآخر
(٥) الخيزلي مشية للنساء فيها تثاقل وتفكك والهيذبى ضرب من مشي الخيل فيه جد

بشيء من مطاعنه وساء معز الدولة أن يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولم يكن بمملكته أحد يماثله فيما هو فيه ولا يساويه في منزلتـــه يبدي لهم عواره ويكفي آثاره ويهتك أستاره ويمزق جلابيب مساويه فتوخيت أن يجمعنا مجلس : أجري أنا وأياه في مضماره ليعرف السابق من المسبوق فلما لم يتفق ذلك قصدت مجلســـه فوافق مصيري اليه حضور جماعة يقرؤن عليه شيئاً من شعره فحين استؤذن لي من مجلسه ودخل بيتاً الى جانبه ونزلت عن بغلتي وهو يراني ودخلت الى مكانه فلماخرج الي نهضت اليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في ذلك وكان سبب قيامه من مجلسه لئلا يقوم لي عند الدخول اليه ولبس سبع أقبية ملونة وكان الوقت احر ما يكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس فجلس وأعرض عني ساعة لا يعيرني طرفاً ولا يكلمني حرفاً فكدت اتميز غيظاً واقبلت استخف رأيي في قصده وأعاتب نفسي في التوجه الى مثله وهو مقبل على تكبره ملتفت الى الجماعة الذين بين يديه وكل واحد منهم يومىء اليه ويوحي بطرفه ويشير الى مكاني ويوقظه من سنة جهله فما يزداد الا ازوراراً ونفاراً جرياً على مشا كلة خلقه ثم توجه الي فما فوالله ما زادني على قوله اي شيء خبرك فقلت ما جنيته على نفسي من قصدك وكلفت نفسي من السعي الى مثلك ثم انحدرت عليه انحدار السيل وقلت ابن لي عافاك الله ما الذي يوجب ما انت عليـــه من العظمة والكبرياء هل هنا نسب يورثك الفخر أو شرف توجت به دون ابناء الدهر أو علم أصبت فيه علماً يقع الايماء اليه أو مورد تقف الهمم عليـــه وهل أنت الا وتد بقاع في اشر البقاع واني لا أسمع جعجعة ولا طعن (١) فامتقع لونه وجعل يعتذر عن جنايته وأقول له ياهذا أذا أتاك شريف في نسبه تجاهلت عليه أو عظيم في أدبه صغرت قدره أو مقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه هل العز تراث لك دون غيرك كلا والله ولكنك مددت الكبر سرداقا وضربته رواقا دون جهلك فعاد الى الاعتذار واخذت

---

(١) في المخطوطة (طحن) واصله . المثل . أسمع جعجعة ولا أرى طحناً

الجماعة في تليين جانبي والرغبة في قبول عذره وأعمال مياسرته ومساعته ويحلف بالله أنه لم يعرفني فأقول ياهذا ألم يستأذن عليك بأسمي ونسبي أما كان في هؤلاء الجماعة من يعرفك بي أن كنت جهلتني وهب كان ذلك أفلم ترتحتي بغلة رائقة يعلوها مركب ثقيل وبين يدي عدة غلمان أما شاهدت لباسي أما شممت نشري اما راعك شيء من امري أتميز به عن غيري وهو خافض جناح الذل وقد زال عنه ما كان فيه وأقبل علي واقبلت عليه

انتقاد الحاتمي على المتنبي

ثم قلت له يا هذا يختلج في نفسي أشيآء من شعرك أريد أن أسألك عنها وأراجعك فيها قال وما هي قلت أخبرني عن قولك

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك وعن قولك

خف الله واستر ذا الجمال المبرقعا ... فأن لحت حاضت(١) في الخدور العواتق

أهكذا يتشبب بالمحبوب وعن قولك

ولا من في جنازتها تجار ... يكون وداعها نفض النعال

أهكذا رثآء أخت الملك (٢) والله لو قلت هذا في أدنى عبيد ه لكان قبيحاً وعن قولك

سلام الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

أما استحييت من سيف الدولة

وعن قولك في هجآء ابن كيغلغ

واذا أشار محدثاً فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما كان في أفانين الهجآء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام

(١) في الديوان ذابت موضع حاضت (٢) في الديوان رثاء والدة سيف الدولة

الذي تنفر عنه الأسماع ويمجه كل طبع واخبرني ايضاً عن قولك في صفة الكلب

وصار ما في جلده في المرجل ولم يضرنا معه فقد الاجدل(١)

اي شيء أعجبك من هذا الوصف أعذوبة عبارته أم لطف معناه أما قرأت رجز الحسن بن هانيء وطردية ابن المعتز اما كان في المعاني التي ابتدعها هذان الشاعران ما تتشاغل به عن بنيات فكرك من اللفظ اللئيم واخبرني عن قولك

أرق على أرق ومثلي يـأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

أهكذا تكون الافتتاحات

وعن قولك

أحبك أو يقولوا جرنحـل ثبيراً أو ابن ابراهيم ريعـا

اهكذا تكون المخالص

وعن قولك(٢)

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل عيسى كلهن قلاقـل

قال أبو علي الحاتمي فأقبل علي وقال اين انت من قولي

كأن الهام في الهيجاء عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن الافي الفؤاد

واين انت عن قولي في وصف جيش

في فيلق من حديد لو قذفت بـه صرف الزمان لما دارت دوائره

واين انت من قولي

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محيية اليك الأغصنا

واين انت من قولي ايضا

اينفع (٣) في الخيمة العذل وتشمل من دهره يشمل

فما اعتمد الله تقويضهـا ولـكن اشار بما تفعـل

(١) الاجدل الصقر (٢) لعل الصواب قولي (٣) في الديوان ايقدح

وقولي ايضا فيها

وملمومة زرد ثوبهـــا ولـكنه بالقنا تحمل (١)

واين انت من قولي

الناس مالم يروك اشبـــاه والدهر لفظ وانت معناه

واين انت من قولي

وما شرقي بالماء الا تذكراً لماء به اهل الحبيب نزول
يحرمه لمع الاسنـــة فوقه فليس لظمآن اليه سبيـــل

اما يكفيك احساني في هذه وتغفر عن اسآتي في تلك قلت ماعرف لك احسانا في جميع ما ذكرت وانما انت سارق متبع وآخذ مقصر وفيما تقدم عن هذه المعاني مندوحة عن التشاغل بهما فأما قولك كأن الهام فمنقول من منصور النميري

فكأنما وقع الحسام بهامه وخز الأسنة او نعاس الهاجع

واما قولك في فيلق « البيت » فانما نقلته نقلا لم تحسن فيه وهو قول الناجم

ولي في احمد امل بعيـــد ومدح قد مدحت به طريف
مديح لو مدحت به الليالي لما دارت لها على صروف

والناجم نقله من قول ارسطو وهو

كلم اذا ما كنت ممتدحا بها ذا الدهر ما دارت علي صروفه

واما قولك لو تعقل الشجر : فهذا معنى مبتذل قد تجاذبته الشعرآء واول من نطق به الفرزدق بقوله

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

ثم تكرر على السنة الشعرآء الى ان قال ابو تمام

لو سعت بقعة لأعظام اخرى لسعى نحوها المكان الجديب

(١) في الديوان محمل وهو الصحيح

واحذ هذا المعنى البحتري فقال

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما　　في وسعه لسعى اليك المنبر

وأما قولك . ما اعتمد الله تقويضها . فهذا مأخوذ من قول رجل مدح بعض أمرآء الموصل وقد عزم على المسير فاندق لوآؤه فقال

ما كان مندق اللواء لريبة　　تخشى ولا امر يكون مرتلا

ألا لأن العود صغر متنه　　صغر الولاية فاستقل الموصلا

واما قولك . الناس ما لم يروك . فمنقول من قول منصور بن بسام

قد استوى الناس ومات الكمال　　وصاح صرف الدهر اين الرجال

هذا ابو العباس في نعشه　　قوموا انظروا كيف تسير الجبال

واما قولك . وملمومة . فمنقول من قول ابي نواس

امام خميس ارجوان كأنه　　قميص محوك من قنا وجياد

وقال بعض الحاضرين ماأحسن قوله

قوموا انظروا كيف تسير الجبال .

فقال أبو الطيب اسكت مافيه من حسن انما سرقه من قول النابغة وهو

يقولون حصن ثم نأبى نفوسهم　　وكيف بحصن والجبال جنوح

قال الحاتمي وأما قولك: (والدهر لفظ وأنت معناه)

فمنقول من الاخطل وهو

وإن أمير المؤمنـــين وفعله　　لكالدهر لاعار بما فعل الدهر

ثم قلت أتراه أخذه من احد فأطرق هنيهة ثم قال ماتصنع بهذا قلت ليستدل به على موضعك وموضع أمثالك من سرقة الشعر فقال الله أكبر سأفهمك ثم قال ألا قلت أخذه من قول النابغة الذبياني وهو أول من ابتكره فقال

وعيرتي بنو ذبيـان خشيته　　وهل علي بأن أخشاه من عار

وأخذه أبو تمام فقال وأجاد

خشعوا لصولتك التي هي فيهم　　كالموت يأتي ليس فيه عـــار

وأما قولك .وما شرقي بالمآء. فهو من قول عبدالله بن داره

ألم تعلمي ياأحسن الناس انني　　وأن طال هجري في لقائك حاهد

فلا تعذلينا في التنائي فأننـــا　　واياك كالظمآن والمآء بـــارد

يراه قريباً دانيـــا غير انه　　تحول المنايا دونه والمراصـــد

فقال أبو الطيب ألست القائل

ذي المعالي فليعلون من تعالى　　هكذا هكذا والا فـــلا لا

شرف ينطح النجوم بروقيه　　وعز يقلقل الأجيـــالا

قلت بل أخذت البيت الأول من قول بكر بن النطاح

يتلقى النـــدى بوجه حيي　　وصدور القنـــا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي　　طرق المجد غير طرق المزاح

وأخذت الثاني من بيت أبي تمام وأفسدته

همة تنطح النجوم وحـــظ　　ألف للحضيض فهو حضيض

قال فأي شيء افسدته قلت جعلت لشرف الرجل قرنين قال هي استعارة قلت استعارة خبيثة قال أقسم بالله اني لم أقرأ شعراً قط لابي تمامكم فقلت هـذه سوءة لو سترتها كان اولى قال السؤة قراءة شعر مثله أليس هو القائل

خشنت عليه أخت بني الخشين　　وانجح فيك قول العاذلين

وهو الذي يقول

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت　　جلودهـا قبل نضج التين والعنب

وهو الذي يقول

اقول لقرحان من البين لم يصب　　رسيس الهوى بين الحشا والترائب

ماقرحان البين أخرس الله لسانه مفقلت ياهدا قد كذبت نفسك هذا من أدل

دليل على أنك قد قرأت شعر الرجل بنعتك مســاويه ثم قلت يتسم أبو تمام بميسم النقيصة وهو الذى يقول

نوالك رد حسادي فلولا وأصلح بين حسادي وبيني

هلا اعتبرت بهذا البيت الذي لايستطيع أحد أن يأتي بمثله

وأما قوله تسعون ألفا البيت فله خبر لو عرفته وتقصيته لما قلت ماقلت ثم قصصت عليه سبب إيراده ثم قلت له وفي هذه القصيدة مالا يستطيع أحد من متقدمي الشعراء وامراء الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله قال وما هو قلت لو قال قائل لم يبدأ أحد بأوجه ولا أحسن ولا أحصر من قوله

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

لما عنف في ذلك وفيها يقول

رمى بك الله برجيها فهدمهـــا ولو رمى بك غير الله لم تصب

ومنها

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب

وفيها

فتح تفتح أبواب السمـــآء له وتبرز الأرض في أتوابها القشب

غادرت فيهم بهيم الليل وهوضحى بسلة وسطهـــا صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها وكأن الشمس لم تغب

أجبته معلما بالسيف منصلتـــا ولو أجبت بغير السيف لم تجب

وأما قوله . أقول لقرحان من البين البيت فأنه يريد رجلا لم يقطعه احبابه ولم يناؤا عنه وفي هذه التصيدة من المعاني الرائعة والتشبيهات العجيبة والاستعارات البارعة مايغتفر معه هذا البيت وأمثاله فمن ذلك

اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطع مـــا بيني وبين النوائب

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسته يد المأمول حلة خائب

واحسن من نور يفتحه الندى بياض العطايا في سواد المطالب

وقد علم الأفشين وهو الذي به يصان رداء الملك عن كل جاذب

بأرشق أذ سالت عليهم غمامة جرت بالعوالي والعتاق الشواذب

بأنك لما استحنك الامر واكتسى إهابي تسعى في وجوه التجارب

وفيها يقول

ولو كان يفنى الشعر أفناه ماقرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه فيض العقول اذا انجلت سحائب منها اعقبت بسحائب

فبهره ماأوردته عليه وأمسك عنان عبارته وحبس بنيات صدره وعقل عن الاجابة لسانه وكاد ان يسغب لولا ماخاف من عاقبة سغبه ومعرفته بمكاني في تلك الأيام وأن ذلك لايتم له فما زاد على أن قال أكثرت من ابي تمام فلا قدس الله روح ابي تمام فقلت لاقدس الله روح السارق منه الواقع فيه ثم قلت ماالفرق في لغة العرب بين التقديس والقداس والقادس قال أي أشيء غرضك في هذه المذاكرة بل المهامرة ثم قال التقديس التطهير ولذلك سمي القدس قدسا لأشتماله على الذي يكون فيه الطهور وكل هذه الأحرف تؤول اليه فقلت له ماأحسبك أمعنت النظر في كتب اللغة وعلوم العرب ولو تقدم منك مطالعة لها ماجمعت بين معاني هذه الكلمات مع تباينها لأن القداس (بتشديد الدال) حجر يلقى في البئر ليعلم غزارة مافيه من قلته حكى ذلك ابن الاعرابي والقداس يشبه الجمان يعمل من الفضة حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله (كنظم قداس سلكه متقطع)

والقادس السفينة فلما علوته بالكلام قال ياهذا اللغة مسلمة لك فقلت كيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقها والكلام على أفانينها وما أجد أولى بأن يسئل عن غريبها منك وشرع الجماعة يسألونني العفو عنه وقبول عذره وكنت بلغت شيئا كان في صدري وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهت اليه ضرب من الأشر والبغي ولا أراه في مذهبي ورأيت له حق التقدم في صنعته

فطأطأت له كتفي واستأنفت من وضعه ونهضت فنهض لي مشيعا الى باب الدار حتى ركبت وأقسمت عليه أن يعود الى مكانه وتشاغلت بقية يومي بشغل عن لي عن حضرة الوزير المهلبي وانتهى اليه الخبر

فأتتني رسله ليلا فسرت اليه وقصصت عليه القصة بتمامها فحصل له من السرور والابتهاج بما جرى ما بعثه علي مباكرة معز الدولة واخبره بكل ما اخبرته واخبرني الرئيس ابو القاسم محمد بن العباس انه بجرد دخوله على معز الدولة قال اعلمت ما كان من ابي علي الحاتمي والمتنبي فأنه شفى منه صدراً قال أبو علي الحاتمي وشاهدت من فضيلته وصفاء ذهنه وجودة حذقه ما حداني على حمل الحاتمية(١) وتأكدت بيني وبينه الصحبة وصرت أتردد اليه أحيانا قال الخالديان كان ابو الطيب المتنبي كثير الرواية جيد النقد ولقد حكى بعض من كان يحسده انه كان يضع من الشعراء المحدثين وبعض البلغاء المفلقين وربما قال انشدوني لابي تمامكم شيئا حتى اعرف منزلته من الشعر فتذاكرنا ليلة في مجلس سيف الدولة بميا فارقين وهو معنا فأنشد احدنا لمولانا ايده الله شعراً له قد ألم فيه بمعنى لابي تمام استحسنه مولانا ادام الله تأييده فاستجاده واستعاده فقال أبو الطيب هذا يشبه قول ابي تمام وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى فقلنا قد سررنا لابي تمام اذ عرفت شعره فقال أو يجوز للاديب ان لايعرف شعر ابي تمام وهو استاذ كل من قال الشعر فقلنا قد قيل انك تقول كيت وكيت فانكر ذلك وما زال بعد ذلك اذا التقينا ينشدنا بدائع ابي تمام وكان يروي جميع شعره وكان من المكثرين في نقل اللغة والمطلعين على غريبها ولا يسئل عن شيء الا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من المجموع على وزن فعلى قال في الحال حجلي وظربي (١)

---

(١) نوه الاستاذ جبري بالمناظرة الحاتمية في كتابه المتنبي صفحة ١٣٣ وذكر ابن خلكان مقدمتها ص ٧٢٨ — ٧٣١ ج ١ وفيها اختلاف عن رواية الصبح ولا يصح الاخذ برواية أحد الخصمين كما ذكرنا ذلك بصفحة (٢٣)

قال الشيخ ابو علي الفارسي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لها ثالثاً فلم أجد وحسبك منه بقول مثل ابي علي في حقه ذلك . ولما استقر بدار السلام وترفع عن مدح الوزير المهلبي ذاهباً بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فأغرى به شعرآء العراق حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه فلم يجبهم ولم يفكر فيهم فقيل له في ذلك فقال أني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هو ارفع طبقة في الشعر منهم

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الدآء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقوله

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاومني قصير يطاول
لساني بنطق صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
واتعب من ناداك من لا تجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبعي فيهم غير انني بغيض الى الجاهل المتغافل

وقولي

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما بلغ الحسن بن لكنك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعرآء العراق فيه . استخفاهم به كقولهم فيه

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع بالكوفة المـاء وحيناً يبيع مـاء المحيا

وكان ابن لكنك حاسداً له طاعناً عليه هاجياً أياه زاعماً ان اباه كان يسقي المآء بالكوفة فشمت به وقال

قولوا لأهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
اعطيتموا المتنبي فوق منيتـه فزوجوه برغم امهاتـكم

لـكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم

ومن قوله

متنبيكم ابن سقاء كوفاني ويوحى من الكنيف اليـــه

كان من فيه يسلخ الشعر حتى سلخت فقحة الزمان عليا

وقوله فيه

مـــا اوقح المتنبي فيما حــكاه وادعـــاه

أبيح مالا عظيمـــاً لمـــا اباح قفـــاه

يا سائلي عن غاه من ذاك كان غناه

اـــ كان ذاك نبيا فالجـــاثليـق اله

ثم ان ابا الطيب اتخذ الليل جملا ,فارق بغداد متوجهاً الى حضره ابي الفضل بن العميد قيل ان الصاحب بن عباد طمع في زيارة المتنبي إياه بأصفهان وأجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان,وهو اذ ذاك شاب والحال حويلة والبحرجيلة ولم يكن استوزر بعد فكتب يلاطفه في استدعائه ,يضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه عن كتابه وقيل ان المتنبي قال لاصحابه ان غليماً معطاءاً بالري يريد ان ازوره وامدحه ولا سيل الى ذلك فصيره الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعي عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته وأحفظهم وأكثرهم استعمالا لها وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته وكان أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد يسمع باخبار ابي الطيب وكيفية اشتهاره في الأقطار وترفعه عن مدح الوزراء فسمع أنه خرج من مدينة السلام متوجها الى بلاد فارس وكان يخاف أن لا يمدحه ويعامله معاملة المهلبي فيتكره من ذكره ويعرض عن سماع شعره قال الربعي قال لي بعض أصحاب ابن العميد قال دخلت عليه يوما قبل دخول المتنبي فوجدته واجما وكانت قد ماتت اخته عن قريب فظننته واجداً لاجلها

فقلت لايحزن الله الوزير فما الخبر قال ؟انه ليغيظني أمر هذا المتنبي راجتهادي في أن أخمد ذكره وقد ورد علي نيف وستون كتابا في التعزية مامنها الا وقد صدر بقوله

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الي الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى اخماد ذكره فقلت القدر لايغالب والرجل ذو حظ من اشاعة الذكر واشتهار الاسم فالاولى ان لاتشغل فكرك بهذا الامر. وهذان البيتان من قصيدة للمتنبي يرثي بها اخت سيف الدولة وأنفذها اليه من بغداد سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وأول القصيدة

ياأخت خير أخ يابنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

وفي الشطر الثاني من هذا البيت نقد للمتأمل وفي صفر سنة أربع وخمسين ورد على ابي الفضل بن العميد وهو بأرجان فحسن موقعه منه وأنشده

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

قيل سئل ابو الطيب عن نصب تصبرا فقال سلوا الشارح يعني ابن جني

كم غر صبرك وابتسامك صاحباً لما رآك وفي الحشـــا مالايرى

قال ابو عبدالله كان ابن العميد كثير الانتقاد على ابي الطيب فأنه لما أنشده هذا البيت قال ياأبا الطيب تقول بادهواك ثم أتقول بعده غر صبرك ماأســـرع مانقضت ماابتدأت به قال تلك حال رهذه حال

أمر الفوآد لســـانه وجفونه فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا
تعس المهاري غير مهري غدا بمصور لبس الحرير مصورا
نافست فيه صورة في ستره لوكنتها لخفيت حتى يظهرا
لاتترب الأيدي المقيمة فوقه كسرى مقام الحاجبين وقيصرا
يقيان في أحد الهوادج مقلة رحلت فكان لها فؤادي محجرا

وقد استعمل أبو الطيب هذه الطريقة في وصف الخيمة

وأحسن من ماء الشبيبة كله حيا بارق في فازة أنا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحا بها يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتدأي ضراغمه
وفي صورة الرومي للتاج ذلة لأبلج لاتيجان الا عمائمه

و كذلك أوردها أبو عبادة البحترى في قصيدته التي أولها

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

الى ان قال في وصف ايوان كسرى

وهو ينبيك عن عجائب قوم لايشاب البيان فيهم بلبس
فاذا مارأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد أحياء لهم بينهم أشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس

والسابق اليها أبو نواس في قوله

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدريها بالقسي الفوارس

ومن قصيدة المتنبي وهي

أرجان ايتها الجياد فأنه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا
لو كنت أفعل مااشتهيت فعاله ماشق كوكبك العجاج الاكدرا
أمي أبا الفضل المبر أليتي لايممن جل بحر جوهرا

أقتي برؤيته الأنام وحاش لي ... من أن أكون مقصراً أو مقصرا
صغت السوار لأي كف بشرت ... يابن العميد واي عبد كبرا

ومنها

يتكسب القصب الضعيف بكفه ... شرفاً على صم الرماح ومفخرا
ويبين فيما مس منه بنانه ... تيه المدل فلو مشى لتبخترا
يامن اذا ورد البلاد كتابه ... قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا
أنت الوحيد اذا ارتكبت طريقة ... و ن الرديف وقد ركبت غضنفرا
قطف الرجال القول وقت نباته ... وقطفت انت القول لما نورا
فهو المشيع بالمسامع ان مضى ... وهو المضاعف حسنه ان كررا
واذا سكت فأن ابلغ خاطب ... قلم لك اتخذ الأنامل منبرا
ورسائل قطع العداة سحاءها ... فرأوا قناً واسنة وسنورا
فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ... ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا
خلفت صفاتك في العيون كلامه ... كالخط يملأ مسمعي من ابصرا
ارأيت همة ناقتي في ناقة ... نقلت يداً سرحا وخفا مجمرا
تركت لدخان الرمث في أوطانها ... طلباً لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك ... تقعان فيه وليس مسكا آزفرا

لايخفى مافي هذا البيت

ومنها

من مبلغ الأعراب أني بعدها ... جالست رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني ... من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكا متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الاله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

ورأيت في نسخة قديمة (وأتت فذلك) ومن تأمل هذه الابيات علم أن أبا الطيب قد ملك رقاب الكلام واستعبد كرائمها واستولد عقائمها وفي ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس ومنها

يا ليت باكية شجاني دمعها ... نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

وترى الفضيلة لاترد فضيلة ... الشمس تشرق والسحاب كنهورا

وتنازع ندمان ابن العميد في البيت الاخير فقال أثبتوه حتى أتأمله فأثبت البيت ووضع بين يديه فأطرق ملياً يفكر فيه ثم قال هذا يعطلنا عن المهم وما كان الرجل يدري مايقول وقد أشار المتنبي الى أن ابن العميد ينتقد شعره

هل لعذري عند الهمام أبي ... الفضل قبول سواد عيني مداده

أنا من شدة الحياء عليل ... مكرمات المعله عواده

ما كفاني تقصير ماقلت فيه ... عن علاه حتى ثناه انتقاده

انني أصيد البزاة ولكن ... ن اجل النجوم لاأصطاده

رب مالا يعبر اللفظ عنه ... والذي يضمر الفواد اعتقاده

ماتعودت أن أرى كابي الفضـ ... ـل وهذا الذي أتاه اعتياده

أن فى الموج للغريق لعذراً ... واضحاً ان يفوته تعداده

وهذه الابيات من قصيدته التي يمدح بها ابن العميد ويهنئه بالنوروز وأولها

جاء نيروزنا وأنت مراده ... وورت بالذي أراد زناده

هذه النظرة التي نالها منـ ... ـك الى مثلها من الحول زاده

ينثني عنك آخر اليوم منه ... ناظر أنت طرفه ورقاده

نحن في أرض فارس في سرور ... ذا الصباح الذي نرى ميلاده

عظمته ممالك الفرس حتى ... كل ايام عامه حساده

ما لبسنا فيه الاكاليل حتى ... لبستها تلاعه ووهاده

وكان من عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا الي ملوكهم فقال في آخرها

كثر الفكر كيف نهدى كما أهـ ـدت الى ربها الرئيس عباده
والذي عندنا من المال والخيـــل فمنه هباته وقيـــاده
فبعثنا بأربعين مهـــاراً كل مهر ميدانه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه أربا لايراه فيما يزاده
فأرتبطها فأن قلباً نماهـــا مربط تسبق الجياد جياده

وهذا من احسان ابي الطيب واحتج عن تخصيص أبياته بالاربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة وهي انه جعلها كعدد السنين التي يرى الانسان فيها من القوة والثبات وقضاء الاوطار مالا يراه في الزيادة عليها واعتذر بألطف اعتذار في انه لم يزد القصيدة عن هذه العدة ونسخت القصيدتان وأنفذتا من أرجان الى أبي الفضل بن العميد بالري فعاد الجواب يذكر شوقه الي أبي الطيب وسروره به وأنفذ أبياتاً نظمها طعن فيهـــا على المتعرضين لقول الشعر فقال أبو الطيب والكتاب بيده ارتجالا

بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد
يعبر عمـــاله عندنا ويذكر من شوقه ما نجد
فأخرق رائيه ما رأى وأبرق ناقده ما انتقـــد
اذا سمع النـــاس الفاظه خلقن له في القلوب الحسد
فقلت وقد فرس الناطقين كذا يفعل الأسد بن الأسد

وأبو الفضل بن العميد هذا هو الذي ورد عليه ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي

وامتدحه بالقصيدة التي اولها قوله

برح شوقي وادكاري ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها تر فض عن نوم مطار
لله قلبي ما يجن مـ ـن الهموم وما يواري

لقد انقضى سكر الشباب ... وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا ... ر وما سلوت عن الكبار
سقياً لتغليسي الى ... باب الرصافة وابتكاري
أيام أخطر في الصبا ... نشوان مسحوب الأزار
حجي الى حجر الصرا ... ط وفي حدأيقها اعتماري
ومواطن اللذات أو ... طاني ودار اللهو داري
لم يبق لي عيش يلذ ... سوى معاقرة العقار
حتى بألحـــان ترا ... ءت بين ألحان القماري
واذا استهل ابن العمد ... تطاولت ريم القطار
مولى صفت اخلاقه ... صفو السبيك من النضار
فكأنمـــا ردفت موا ... هبه بأمواج البحـــار
وكأن نشـر حديثه ... نشر الخزامي والعرار
وكأنما تمـــا تفر ... ق راحتاه في نثار
كلف بحفظ السر تحسـ ... ـب صدره ليل السرار
ان الكبار من الامور ... تنال بالهمم الكبار
والى ابي الفضل انبعث ... ن هواجس الشعر السواري

فتاخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى واتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بـــابه فتوسل الى أن دخل عليه المجلس وهو حافل بأعيان الدولة ومقدمي أصحاب الديوان فوقف بين يديه وأشار بيده اليه وقال ايها الرئيس أني قد لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك فوالله مابي شيء من الحرمان الأشماتة قوم نصحوني فأغششتهم وصدقوني فأتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة اقاومهم ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الاعلى ندم مؤلم ويأس مسقم فأن كان للنجح علامة فأين هي وما

هي أن الذين تحسدهم على مامدحوا به كانوا من طينتك وأن الذين هجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكبيك أعظمهم سناماً وأنورهم شعاعاً واشرفهم يفاعاً فحار ابن العميد ولم يدر مايقول فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا مادفعناه اليك استأنفنا ماتتحامد عليه قال ابن نباته ايها الرئيس هذه نفثة صدر قد زوى منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغني اذا مطل يستلأم واستشاط ابن العميد وقال قد والله مااستوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله ولقد نافرت العميد من دون هذا حتى دفعنا الى فري عاتم ولجاج قاتم . ولست ولي نعمني فأحتملك ولا صنيعتي فأغضي عنك وان بعض ماأوقرته في مسامعي ينقض مرة الحلم ويبدد شمل الصبر ولا استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مديحي ولا كلفتك تقريضي فقال ابن نباته صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني قريضك ولكنك جلست في صدر أيوانك بأبهتك وقات لايخاطبني أحد الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق ي أحكام السياسة فأني وزير ركن الدولة وزعيم أولياء الحضرة والقيم بمصالح المملكة فكأنك دعوتني بلسان الحال وان لم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو مار في صحن الدار يقول والله أن سف التراب والمشي على الجمر أهون لنا من هذا فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا له ومشتريه مما كسا فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل أثر ما كان منه فكأنما غاص في سمع الارض وبصرها فكانت حسرة في قلب ابن العميد وسار أبو الطيب من بعد ماودع ابن العميد بمدحه بالقصيدة التي أولها

نسيت وما أنسى عتابا على الصد ... ولا خفراً زادت به حمرة الخد

قاصداً ابا شجاع عضد الدولة وهو بشيراز وأنشده القصيدة التي أولها

أوه بديل من قولتي واهـــا لمن نأت والبديل ذكراهـــا
وقد رأيت الملوك قـــاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

قيل لما سمع سيف الدولة هذا البيت قال أتراه أدخلنا في هذه الجملة

ومن منايـــاهم براحته يأمرها فيهم وينهاهـــا
أبا شجاع بفارس عضد الد ولة فناخسر وشهنشاها
أسامياً لم تزده معرفـة وانما لذة ذكرناهـــا

تذكرت بهـذا البيت ما نقله بعض أئمة الادب أن رجلا من مدينة السـلام كان يكره أبا الطيب المتنبي فآلى على نفسه ألا يسكن مدينة يذكر بها أبو الطيب وينشد كلامه فهاجر من مدينة السلام وكان كلما وصل بلداً سمع بها ذكره يرحل عنها حتى وصل الى أقصى بلاد الترك فسأل أهلها عن أبي الطيب فلم يعرفوه فتوطنها فلما كان يوم الجمعة ذهب الى صلاتها بالجامع فسمع الخطيب ينشد بعد ذكر أسماء الله الحسنى

أسامياً لم تزده معرفة وأنما لذة ذكرناهـــا

فعاد الى دار السلام ومن القصيدة

لو فطنت خيله لنـــائله لم يرضها أن تراه يرضاها

هذا البيت له معنيان أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه لما رضيت له أن تكون من جملتها لانها أنفس منها والثاني لم ترض لانه اذا ملكها وهبها ومنها :

تشرق تيجـــانه بغرته اشراق ألفاظه بمعناها
دان له شرقها ومغربهـــا ونفسه تستقل دنياهـــا
تجمعت في فـؤاده همم ملء فؤاد الزمان احداها

حكى عبد العزيز بن يوسف الجرجاني وكان كاتب الانشاء عند عضـــد الدولة عظيم المنزلة منه قال لما دخل أبو الطيب المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه

أتبعه بعض جلسائه وقال له سله كيف شاهد مجلسنا وأين الامراء الذين لقيهم منا قال فامتثلت أمره وجاريت المتنبي في هذا الميدان وأطلت معه عنان القول فكان جوابه عن جميع ما سمع مني ان قال ماخدمت عيناي قلبي كاليوم ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه وكان ذلك منه أوكد الاسباب التي حظي بها عند عضد الدولة وكان أبو علي الفارسي اذ ذاك بشيراز وكان ممر المتنبي الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي وكان اذا مر به أبو الطيب يستثقله على قبح زيه ومـا يأخذ به نفسه من الكبرياء وكان لابن جني هوى في أبي الطيب كثير الاعجـاب بشعره لايبالي بأحد يذمه أو يحط منه وكان يسوؤه أطناب ابي علي في ذمه واتفق أن قال أبو علي يوماً اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه فبدأ ابن جني وأنشد

حلت دون المزار فاليوم لوزر ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو علي واستعاده وقال لمن هذا البيت فأنه غريب المعنى فقـال ابن جنى للذي يقول

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقال والله هذا أحسن : بديع جداً فلمن هما قال للذي يقول

امضى أرادته فسوف له قد واستقرب الاقصى فثم لهاهنا

فكثر اعجاب ابي علي واستغرب معناه وقال لمن هذا فقال ابن جني للذي يقول

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

فقال وهذا أحسن والله لقد أطلت ياأبا الفتح فأخبرنا من القائل فقال هو الذي لايزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيه وفعله وما علينا من القشور اذا استقـام اللب قال ابو علي اظنك تعني المتنبي قلت نعم

قال والله لقد حببته الي ونهض ودخل على عضد الدولة فأطال في الثناء على ابي الطيب ولما اجتاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً من الشعر قـال الربعي

كنت يوماً عند المتنبي بشيراز فقيل له أبو علي الفارسي بالباب وكانت تأكدت بينهما المودة قال بادروا اليه فأنزلوه فدخل أبو علي وأنا جالس عنده قال ياأبا الحسن خذ هذا الجزء وأعطاني جزءاً من كتاب التذكرة وقال أكتب عن الشيخ البيتين الذين ذكرتك بهما وهما

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ماالتثموا مرد
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

ومن مدائح ابي الطيب في عضد الدولة القصيدة التي يذكر فيها شعب بوان واولها

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

فلما وصل الى قوله

فسرت وقد حجبن الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البنان

فقال عضد الدولة والله لأقرنها وفعل ومنها

لها ثمر تشير اليك منه بأشربة وقفن بلا أوان
وأمواه نصل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني

ومنها

تحل به على قلب شجاع وترحل منه عن قلب جبان
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان
يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

ألى أن قال

فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان
ولم ار قبله شبلي هزبر كشبليه ولا مهري رهان
اشد تنازعاً لكريم اصل واشبه منظراً بأب هجان
وأكثر في مجالسه استماعاً فلان دق رمحا في فلان
واول رأية رأيا المعالي فقد علقا بها قبل الاوان
وأول لفظة فهما وقالا إغاثة صارخ اوفك عاني
وكنت الشمس تبهر كل عين فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشا عيشة القمرين يحيا بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادي ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه له ياءي حروف أنيسيان

اي زيادة اولاد عدوك كزيادة التصغير فانه زيادة نقص وقد ابتدع هذا المعنى

دعاء كالثناء بلا رئاء يوءديه الجنان الى الجنان

ومن قصائده في عضد الدولة القصيدة التي اولها

اثلث فانا ايها الطلل نبكي وترزم تحتنا الابل

ومنها

قالت ألا تصحو فقلت لها أعلمتني ان الهوى ثمل

ومنها

قدروا عفوا وعدوا وفوا سئلوا اغنوا علوا أعلوا ولو عدلوا
فوق السماء وفوق ما طلبوا فاذا أرادوا غاية نزلوا

اخذه من قوله ابن الرومي وهو قوله

نزلتم على هام المعالي اذا ارتقى اليها اناس غيركم بالسلالم

وذاك بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لانه قال انكم نزلتم على هام

المعالي وأن غيركم يرقى اليها رقيا وأما المتنبي فانه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم وأما قوله فوق السماك فأنه يغني عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي أذ المعالي فوق كل شيء لانها مختصة بالعلو مطلقا وقال يعزي عضد الدولة بعمته وقد توفيت ببغداد وورد عليه الكتاب بشيراز بالقصيدة التي اولها

آخر ما الملك معزى به ... هذا الذي أثر في قلبه
لا جزعا بل أنفا شابه ... ان يقدر الدهر على غصبه
لو درت الدنيا بما عنده ... لاستحيت الأيام من عتبه
لعلها تحسب أن الذي ... ليس لديه ليس من حزبه
نحن بنوا الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه
لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه
يموت راعي الضأن في جهله ... ميتة جالينوس في طبه
استغفر الله لشخص مضى ... كان نداه منتهى ذنبه
تحسبه دافنه وحده ... ويجده في القبر من صحبه
ما كان عندي أن بدر الدجى ... يوحشه المفقود من شهبه

وقال يودعه وهي آخر شعره وفي اثنائها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي نفسه وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع أولها

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فلا ملك اذاً الا فداكا

الى ان قال

اروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك ان يحل به سواكا
وقد حملتني شكرا طويلا ... ثقيلا لا اطيق به حراكا
أحاذر ان يشق على المطايا ... فلا تمشي بنا الا سواكا
لعل الله يجعله رحيلا ... يعين على الاقامة في ذراكا

لما نجحت سفرته ونجحت تجارته بحضرة عضد الدوله وصل اليه منه صلاته

اكثر من مائتي الف درهم استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود اليها فأذن له وامر بان يخلع عليه الخلع الخاصة وتعاد صلته بالمال الكثير فامتثل امره وأنشد هذه القصيدة وفي اثنائها كلام ينعي فيه نفسه وان لم يقصده كما قدمنا. فمنه قوله

فلو أني استطعت خفضت طرفي　　فلم أبصر به حتى اراكا

وهذه لفظة يتطير منها ومنها

أرى أسفي وما سرنا شديداً　　فكيف اذا غدا السير ابتراكا

وهذا الشوق قبل البين سيف　　وها انا ماضربت وقد أحاكا

أذا التوديع أعرض قال قلبي　　عليك الصمت لاصاحبت فاكا

وهذا أيضا من ذاك

ولولا أن اكثر ما تمنى　　معاودة لقلت ولا مناكا

أي لولا ان اكثر ماتمنى قلبي ان يعاودك لقلت له ولا بلغت مناك . ومنه

قد استشفيت من داء بداء　　واقتل ما أعلك ما شفاكا

اي قد اضمرت ياقلب شوقاً الى اهلك وكان ذلك داء لك فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ومفارقته داء لك ايضاً اعظم من داء شوقك الى اهلك فكانك تداويت من فراقه بما هو اقتل لك من مكابدة الشوق الى اهلك وهذا يشبه قول النبي ﷺ (كفى بالسلامة داء) ومنها

فأستر منك نجوانا وأخفي　　هموما قد اطلت لها العراكا

اذا عاصيتها كانت شداداً　　وان طاوعتها كانت ركاكا

ومنه ايضاً

وكم دون الثوية من حزين　　يقول له قدومي ذا بذا كا

الثوية من الكوفة يقول له قدومي ذابذا كا اي هذا القدوم بتلك الغيبة ولك هذا السرور بذلك الحزن ومنه

ومن عذب الرضاب اذا أنخنا　　يقبل رحل تروك والوراكا

تروك اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة امرله بها والورك شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه ومنه

يحرم ان يمس الطيب بعدي　　وقد عبق العبير به وصاكا

وهذا ايضاً منه

ويمنع ثغره من كل صب　　ويمنحه البشامة والأراكا

يحدث مقلتيه النوم عني　　فليت النوم حدث عن نداكا

وما أرضى لمقلته بحلم　　اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

ولا الا بأن يصغي وأحكى　　فليتك لا يتيمه هواكا

ومنه ايضاً

وفي الاحباب مختص بوجد　　وآخر يدعي معه اشتراكا

اذا اشتبهت دموع في خدود　　تبين من بكى ممن تباكى

فزل يا بعد عن ايدي ركاب　　لها وقع الأسنة في حشاكا

وهذه استعارة حسنة لانه خاطب البعد وجعل له حشا ومنه

وأيا شئت يا طرقي فكوني　　اذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال فلما فارق اعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة فقتل كما سنشرحه ومنها

اذمت مكرمات ابي شجاع　　لعيني من نواى على أولاكا

ومن اعتاض عنك اذا افترقنا　　وكل الناس زور ما خلاكا

وما انا غير سهم في هوآء　　يعود ولم يجد فيه امتساكا(١)

(١) أورد المؤلف هذه القصيدة بصورة غير متتابعة فبينا يذكر بيتا من آخرها يعود فيذكر بيتا من غضونها وهكذا دواليك

مقتل المتنبي

قال الخالديان كنا كتبنا الى ابي نصر محمد الجبلي نسأله عما صدر لابي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة وكيف قتل وابو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل وادب جزل وحرمة وجاه فأجابنا عن كتابنا جوابا طويلا يقول في اثنائه. واما ماسألتما عنه من خبر مقتل ابي الطيب المتنبي فأنا اسوقه لكما واشرحه شرحاً بينا اعلما ان مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقتل بضيعة تقرب من دير العاقول ليلتين بقيتا من شهر رمضان والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بني اسد يقال له فاتك بن ابي جهل بن فراس بن بداد وكان من قوله لما قتله وهو متعفر قبحا لهذه اللحية ياسباب. وسبب ذلك ان فاتكا هذا خال ضبه اخو والدته وضبه هو ابن يزيد العيني الذي هجاه أبو الطيب بقوله

ماانصف القوم ضبه	وامه الطرطبه
وانما قلت ماقلت	رحمة لامحبه
وما عليك من القتل	انما هي ضربه
وما عليك من العار	ان امك قحبه
وما يشق على الكلب	ان يكون ابن كلبه
ماضرها من اتاها	وانما ضر صلبه
ولم ينكها (١) ولكن	عجانها ناك زبه
ياالطيب الناس نفسا	والين الناس ركبه
وارخص الناس أما	تبيع الفا بحبه
كل الايور (٢) سهام	بأمه وهي جعبه

(١) هذا ماقاله المتنبي ونقله البديعي ورضيا ان ينسب اليهما وما نحن الارواة نأتي بما قيل كما قيل لانعبث بامانة الرواية فمعذرة (٢) رواها الاستاذ البرقوقي (الفعول)

وما على من به الداء　　　من لقــاء الاطبه

فيقال ان فاتكا داخلته الحمية لما سمع ذكرها بالقبح في هذا الشعر وما للمتنبي اسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً . فكان مع سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وغلمانه وذهاب ماله وأما شرح الخبر نأن فاتكا صديق لي وهو كما سمي فاتك لسفكه الدماء واقدامه على الاهوال في مواقف القتال فلما سمع الشعر الذي هجى به ضبة اشتد غضبة ورجع على ضبة باللوم وقال له كان يجب ان لا تجعل لشاعر عليك سبيلا واضمر غير مــا اظهر واتصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبي مثل رأيه . من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد وكان فاتك خائفاً ان يفوته وكان كثيراً ما ينزل عندي فقلت له يوما وقد جاءني وهو يسأل قوما مجتازين على المتنبي فقلت له اكثرت المسئلة عن هذا الرجل

فاي شيء تريد منه اذا لقيته فقال ما أريد الا الجميل وعنله على هجاء ضبه فقلت له هذا لا يليق بأخلاقك فتضاحك ثم قال يا أبا نصر والله لئن اكتحلت عيني به أو جمعتني واياه بقعة لاسفكن دمه ولأمحقن حياته قلت له كف عافاك الله عن هـذا القول وارجع الى الله وأزل هذا الرأي من قلبك فأن الرجل شهير الاسم بعيــد الصيت ولا يحسن منك قتله على شعر قاله وقد هجت الشعراء الملوك في الجــاهلية والخلفاء في الاسلام فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه وقد قال الشاعر

هجوت زهيراً ثم إني مدحتــه　　　وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

ولم يبلغ جرمه ما يوجب قتله فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف ولم يمض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والالات . لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهما ولا شيئا يساويه . وكان اكثر اشفاقه على دفاتره لانه كان قد انتخبهــا واحكمها قراءة وتصحيحا قال أبو نصر فتلقيته وأنزلته داري وسألته عن أخباره

وزعمن لقي فعرفني من ذلك ماسررت له وأقبل يصف ابن العميد وعلمـــه وكرمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الأدب وميله الى أهله فلماأمسينا قلت له ياأبا الطيب عل اي شيء انت مجمع قال على أن اتخذ الليل مركباً فأن السير فيه يخف علي. فقلت هذا هو الصواب رجاء ان يخفيه الليل ولا يصبح الا وقد قطع بلداً بعيداً وقلت له والرأي أن يكون معك من رجالة هذه البلدة الذين يعرفون هـذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد فقطب وجهه وقال لم قلت هـــذا القول فقلت لتستأنس بهم فقال أما والجزار في عنقي فما بي حاجة الى مؤنس غيره قلت الأمر اليك والرأي في الذي أشرت عليك فقال تلويحك ينبئي عن تعريض وتعريضك ينبي عن تصريح فعرفني الامر وبين لي الخطب قلت ان هذا الجاهل فاتكا الاسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن اخته ضبه وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ومعه أيضاً نحو العشرين من بني عمه قولهم مثل قوله فقال غلام ابي الطيب وكان عاقلا : الصواب مارآه أبو نصر خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك الى بغداد فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديـــداً وشتمه شتماً قبيحاً وقال والله لاأرضى ان يتحدث عني الناس بأني سرت في خفـارة احد غير سيفي. قال ابو نصر فقلت ياهذا أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك فقال والله لافعلت شيئاً من هذا ثم قال ياأبـا نصر : بخرء الطير تخوفني ومن عبيد العصا تخاف علي والله لو أن مخصرتي هذه ملقـــاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيـــات ماجسر لهم خف ولاظلف أن يرده معاذ الله ان أشغل فكري بهم لحظة عين فقلت له قل ان شاء الله تعالى فقال هي كلمة مقولة لاتدفع مقضياً ولا تستجلب آتيـــاً ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً هذا هو الصحيح من خبره وقيل سبب قتله انه لمـا ورد على عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مســـرجة محلاة

ثم دس له من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة تطبعاً فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز أليه قوما من بني ضبه فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ثم انهزم فقال له غلامه اين قولك

الخيل والليل والبيدآء تعرفني (والحرب والضرب) والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل وقيل ان الخفرآء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه ووقع به ما وقع ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن علي المظفر بن علي الطبستي

لا رعى الله سرب هذا الزمان اذ دهانا بمثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المتنبي اي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيش وفي الكبريآء ذا سلطان
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

ورثاه ايضاً ثابت بن هارون الرقي النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك الاسدي وهي :

الدهر أخبث والليالي أنكد	من أن تعيش لأهلها يا أحمد
قصدتك لما أن رأتك نفيسها	بخلا بمثلك والنفائس تقصد
ذقت الكريهة بغتة وفقدتها	وكريه فقدك في الورى لا يفقد
قل لي إن استطعت الخطاب فأنني	صب الفؤاد الى خطابك مكمد
أتركت بعدك شاعراً والله لا	لم يبق بعدك في الزمان مقصد
أما العلوم فأنها يا ربها	تبكي عليك بأدمع لا تجمد
يا ايها الملك المؤيد دعوة	ممن حشاه بالأسى يتوقد
هذي بنو اسد بضيفك أوقعت	وحوت عطاك اذ حواه الفرقد
وله عليك بقصده ياذا العلى	حق التحرم والذمام الأوكد

فارع الذمام وكن لضيفك طالباً ان الذمام على الكريم مؤيد

ورثاه أبو الفتح ابن جنى بقصيدة اولها

غاض القريض وأودت نضرة الادب وصوحت بعد ري دوحة الكتب

ومنها

سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه كما تخطفت بالخطية السلب
وقد حلبت لعمري الدهر اشطره تمطو بهمة لا وان ولا نصب
من للهوا جل يحيي ميت أرسمها بكل جائلة التصدير والحقب
ام من لسرحانها تقريه فضلته وقد تضور بين الباس والسغب
ام من لبيض الظبا يوماً وفهن دم ام من لسمر القنا والزغف واليلب
ام لدعارك يرمي جمر جاحمها حتى تقربها عن ساطع اللهب
ام للمحافل اذ تبدو لتعمرها بالنظم والنثر والامثال والخطب
ام للمناهل والظلماء عاكفة مواصل الكرتين الورد والقرب
ام للملوك تحليها وتلبسها حتى تمايس في ابرادها القشب
باتت وشادي اطرابي يؤرقني لما غدوت لقى في قبضة النوب
عمرت خدن المساعي غير مطهد ومت كالنصل لم يدنس ولم يعب
فاذهب عليك سلام المجد ما قلقت خوص الركايب بالاكوار والشعب

اراء علماء الادب في شعر المتنبي

وعلماء الادب في شعره مختلفون فمنهم من يرجحه على ابي تمام والبحتري ومنهم من يرجحهما عليه ومنهم من يرجح ابا تمام عليهما ومنهم من يرجح البحتري والكلام في هذا المكان يحتاج الى ارخاء العنان في حلبة البيان فنقول قد اجمع اعلام العلم وفرسان النظم والنثر على ان هؤلاء الثلاثة ذللوا جموح الادب وشموسها . واطلعوا قمارها وشموسها . وهم اصول الادب وفروعه . ومعدنه وينبوعه .

والى كلامهم تميل الطباع وعلى اياتهم تقف الخواطر والاسماع وثمرات البدايع منهم تجتنى وذخاير البراعةمن غرائبهم تقتنى .قال ابن الاثيرفي المثل السائر هؤلاء الثلاثه لات الشعر وعزاه ومناته . الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته وجمعت بين الأمثال السائره وحكمة الحكماء وقد حوت اشعارهم غرابةالمحدثين الى فصاحة القدماء اما ابو تمام فانه رب معان وصيقل الباب واذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على اثر فهو خير مدافع عن مقام الاغراب الذي برز فيه على الاضراب ولقد مارست فيه من الشعر كل اول وأخير ولم اقل ما اقوله الا عن تنقيب وتنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه اطاعته اعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ماقالت حرام واما أبو عبادة البحتري فانه احسن في سبك اللفظ على المعنى واراد ان يشعر فغنى ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق فبينما يكون فيتنظف نجد اذاتشبث بريف العراق وسئل ابوالطيب عنه وعن ابي تمام وعن نفسه فقال انا وابو تمام حكيمان والشاعر البحترى ولعمري لقد انصف في حكمه واعرب بقوله عن متانة علمه فان ابا عبادة اتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك في ذلك بعد المرام مع قربه الى الافهام وما اقول الا انه اتى في معانيه باخلاط الغالية ورقى في ديباجة لفظه الى الدرجة العالية واما ابو الطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ماعطاه ولكنه حظى في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال وانا اقول فيه قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقته بذلك ان يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان بشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اداه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس يتداولون فيه عن التوسط فاما مفرط في وصفه واما مفرط وهو ان

انفرد بطريق صار ابا عذره فان سعادة الرجل كانت اكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ولقد صدق في قوله من ايياب يمدح بها سيف الدولة

• لا تطلبن كريمـــا بعد رؤيته ان الكرام باسخاهم يداً ختموا

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد افسد القول حتى احمد الصمم

ولقد وقفت علي اشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم يبق ديوان لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظري فلم اجد اجمع من ديواني ابي تمام وابي الطيب للمعاني الدقيقه ولا اكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض ولم اجد احسن تهذيبا للالفاظ من ابي عباده ولا انفس ديباجه ولا ابهج سبكا. وقال الشريف الرضي في هذا المقام وكلام الشريف شريف الكلام اما ابو تمام فخطيب منبر واما البحتري فواصف جؤذر واما ابو الطيب المتنبي فقائد عسكر قال ابن الاثير الالفاظ تجري من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتخيل كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتخيل كاشخاص ذي دماثة ولين اخلاق ولطافة مزاج ولهذا ترى الفاظ ابي تمام كأنها (رجال قد ركبوا خيولهم واستلموا سلاحهم وتأهبوا للطراد) وترى الفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين باصناف الحلى قال ابن شرف القيرواني في مقامته التي ذكر فيها الشعراء واما ابو تمام الطائي فمتكلف الا انه مصيب ومتعتب لكن له في الراحة نصيب وشغله الى المطابقة والتجنيس جزل المعاني . مرصوص المباني . مدحه ورثاؤه . لا غزله وهجاؤه . فهما طرفا نقيض. وسماء وحضيض. وفي شعره علم جم. من النسب .وجملة وافرة من ايام العرب .وطارت له الامثال وحفظت له الاقوال وديوانه مقروء وشعره متلو. قال ابن بسام اما صفته هذه لابي تمام فصفة لم يثن عطفها حميه ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة واعتمدها ملة قال ابن شرف واما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودرر جراج ومعناه سراج وهاج على اهدى منهـــاج يسبقه شعره الى

مايجيش به صدره بيسير مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته اوراك طبع لاتكلف يعنيه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكره غزيره واما المتنبي فقد شغلت به لالسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والغائص في بحره والمفتش عن جمانه ودره وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج تتعب في جرحه والذي اقول ان له حسنات وسيآت وحسناته أكثر عدداً واقوى مدداً وغرائبه طائرة وامثاله سائرة وعلمه فسيح ومبزه صحيح يروم فيقدر ويدري مايورد ويصدر والذي يشعر به كلام بن شرف تقديم البحتري كما انه يشعر كلام الشريف بتقديم ابي تمام وكان الشيخ ابو سعد محمد بن احمد العميدي عن ابي الطيب في غاية الانحراف حايداً في التمييز عن سنن الانصاف

ونحن نورد كلامه ونرد في نحره سهامه فانه تجاوز الحد. واكثر الرد وسعى جهده لكن تجاوز حده . واعجاب المرء بنفسه يشرع اليه اسنة الطاعنين وتطاوله على ابناء جنسه يجمع عليه السنة الشانئين فلا نقيصة عندي اقبح سمة من اغترار الانسان بجهله . ولا رزيله ابلغ وصمة من انكار فضيلة من يقع الاجماع على فضله ولا منقبة اجلب للشرف من الاعتراف بالحق اذا وضحت دلائله . ومن الانحراف عن الباطل . اذا استقبحت مجاهله ولا دلالة على الحزم ابين من التوقف عند الشبهات حتى ينجلي ظلامها . والتصرف على احكام النصفة حتى تهديك اعلامها . وما احسن اثر الحاكم اذا عدل . وانصف واقبح ذكره اذا مال عن الحق وجنف . والظلم قبيح . وهو من الحكام اقبح . واشنع . وجحود الفضل سخيف . وهو من الفضلاء اسخف واقطع ومن لم يتميز عن العوام بمزية تقديم وتخصيص ساء المحسنين بلسان ذم وتنقيص ومن عدم محاسن التمييز والتحصيل نظر الى المميزين بعين التقصير والتحميل وا . كثر آفات كتاب زماننا وشعرائه لا يهتدون لتعليل الكلام وتشقيقه ويتبعون الهوى فيضلهم عن منهج الحق وطريقه فاذا سمعوا فصلا من كتاب او بيت شعر ممن لا يكاد يجيل في الادب قدحا ولا يعرف هجاء ولا مدحا فهو يحكم على

قائلة بالسبق والتفخيم والاجلال والتعظيم وليس يدري ماروواه وانتحله أسليم اللفظ أو مختله صحيح المعنى او منحله وهل ترتيبه مستحسن أو مستهجن وتقسيمه مطبوع او مصنوع ونظامه مستعمل او مسترزل وكلامه مستعذب او مستصعب وهل سبقه الى ذلك المعنى احد قبله او هو مبتدع واورد نظيره سواه او هو مخترع استبدعوا كلامه واتبعوا احكامه واعتمدوا على الاعتقاد دون الانتقاد وقبلوه بالتقليد لا بالاختيار وقابلوه بالامتثال دون الاعتبار والاختبار الى ان بينت لهم عوار ما رووه وزلله وخطأ ما حكوه وخطله التزموا نصرة خطئه واقفين موقف الاغترار ومائلين عن طريقة الانصاف الى الانتصار وليست هذه الخصلة من خصال الادباء الذين هذبتهم الآداب فصاروا قدوة واعلاما ودر بتهم العلوم فاصبحوا بين الناس قضاة وحكاما وانما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة قليل الصناعة صفر وطاب الادب. ضيق مجال الفضل قصير باع الفهم جديب رباع العقل فأما من رزق من المعرفة ما يستطيع ان يميز به غث الكلام وسمينه ويفرق بين سخيفه ومتينه وأوتي من الفضل ما يحسن ان يعدل به في القضية غير عادل عن الانصاف ويحكم بالسوية غير مائل الى الاسراف والاجحاف فالاولى به ان لا ينظر الى احد الا بعين الاستحقاق والاستيجاب ولا يحل احداً من رتب الجلالة الا بقدر محله من الاداب ولا يعظم شأن الجاهلية لتقدمهم اذا اخرتهم معايب اشعارهم ولا يستحقر المحدثين لتأخرهم اذا قدمتهم محاسن آثارهم ويطرح الاحتجاج بالمحال طرحا ويضرب عن استشعار الباطن صفحا ويحل من يشهد بفضائله شهود عدول ويذل من كلامه عند التأمل منحول معلول ولقد جرى يوما حديث المتنبي في بعض مجالس احد الرؤساء فقال احد حاملي شعره سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من الشعراء واكرمه وجمع له من المحاسن مافضل به كل من تقدمه ولو انصف لعلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة ولقدم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة ولكن حرفة الادب لحقته وقلة الانصاف محت اسمه من جرائد المتقدمين

ومحقته والا فهاتوا لأى شاعر شئتم جاهلي او إسلامي مثل قوله في صفة الفرس

رجلاه في الركض رجل واليدان يد   وفعله ماتريد الكف والقدم

اليس هذا ابلغ من قول القائل

درير كخذروف الوليد أمره   تتابع كفيه بخيط موصل

لقد ابدع المتنبي ماشاء واغرب وافصح عن الغرض واعرب . فقلت للأقيشر ما يقارب هذا المعنى في نعت فرسه وهو قوله

يجري كما أختاره فكأنه   بجميع ما أبغيه منه عالم

رجلاه رجل واليدان يد اذا   احضرته والمتن منه سالم

فصاح وقال ياقوم هذا شعر انسان له مسكة من عقل او بلغة من فضل والله ان للمتنبي غلمانا واتباعا اجل من هذا البليد المجهول من اي قبيلة هذا العاجز الذي تكلم بمثل هذه الفضول فقلت عافاك الله : حديثنا في الابداع لا في الاتباع . وفي الآداب لا في الانساب ليس يغني المتنبي جلالة نسبه عن ضعف ادبه ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذكره ولقد تأملت اشعاره كلها فوجدت الابيات التي يفتخر بها اصحابه وتعتبر فيها آدابه من اشعار المتقدمين منسوخة ومعانيها من معانيهم مسلوخة . واني لاعجب من جماعة يغلون في حديث المتنبي وأمره ويدعون الاعجاز في شعره ويزعمون أن الابيات المعروفة له هو مبتدعها ومخترعها ومحدثها ومفترعها لم يسبقه الى معناها شاعر ولم ينطق بامثالها باد ولا حاضر

وهاؤلاء المتعصبون له . المفتخرون باللمع التي يزعمون انه استنبطها وأثارها والمعتدون بالفقر التي يدعون انه افتض ابكارها والمترنمون له بابيات صائرة يذكرون انه انفرد بالفاظها ومعانيها واغرب في أمثلتها ومبانيها والمتمثلون بها في مجالسهم ونواديهم والمستعملون لها في خلواتهم ومغانيهم كيف لا يقولون بعصمته ويتهالكون في الدلالات على حكمته وكيف يستخيرون لنفوسهم ويستحسنون في عقولهم ان يشهدوا شهادة قاطعة ويحكموا حكماً جزماً بانها له غير مأخوذة ولا مسروقة وان طريقها

هو الذي ابتدأ بتوطئتها غير مسلوكة لغيره ولا مطروقة فليت شعري هل احاطوا علماً بنصف دواوين الشعراء للجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمحدثين فضلا عن جميعها ام هل فيهم من يميز بين مستعملها وبديعها حتى يطلقوا القول غير محتشمين ان المتنبي من اولئك الشعرآء ابدع معاني لم يفطن لها سواه ولم يعثر بها احد ممن يجري مجراه ولقد قال المرزباني فيما حكاه عنه انه لما صنف كتابه على حروف المعجم باسماء الشعراء جمع دواوين الف شاعر حتى اختار من عيون ما اراد وامتاز من متونها ما ارتاد وذكر القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ان البحتري على ما بلغه احرق خمسمائة ديوان للشعراء في ايامه حسداً لهم لئلا تشتهر اشعارهم وتنشر محاسنهم واحبارهم فمن اين لهؤلآء المتعصبين للمتنبي انه سبق جماعتهم في مضماره ولم يقتبس من بعضها محاسن اشعاره وهل للذين يتدينون بنصرته بصائر بحسن المأخذ ولطف المتناول وجودة السرقة ووجوه النقل واخفاء طرق السلب وتغميض موضع القلب وتغيير الصنعة والترتيب وابدال البعيد بالقريب واتعاب الخاطر في التثقيف والتهذيب حتى يدعوا علم الغيب في تنزيهه عن السرقات التي لا تخفى صورها على ناقد وتبريته عن المعايب التي يشهد عليه فيها الف شاهد ولست يعلم الله اجحد فضل المتنبي وجودة شعره وصفاء طبعه وحلاوة كلامه وعذوبة الفاظه ورشاقة نظمه ولا انكر اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ اذا لحظ المعنى البعيد لحظا واستيفاءه حدود الحذق اذا سلخ المعنى وكساه من عنده لفظاولا أشك في حسن معرفته بحفظ التقسيم الذي يعلق بالقلب موقعه وايراد التجنيس الذي يملك النفس مسمعه ولحاقه في احكام الصنعة ببعض من سبقه وغوصه على ما يستصفي ماؤه ورونقه وسلامة كثير من أشعاره من الخطل والخلل والزلل والدخل والنظام الفاحش الفاسد والكلام الجامد البارد والزحاف القبيح المستبشع واللحن الظاهر المستشنع واشهد انه عن درجة امثاله غير نازل ولا واقع واعرف انه مليح الشعر غير مدافع غير اني مع هذه الأوصاف الجميلة لا اراه ممن نهب وسرق ولا أرى ان اجعله وابا تمام

رب المعاني ومسلم بن الوليد واشباههما في طبقةواحدة . ولالحقه في عذوبةالالفاظ وسهولتها ورشاقة المعرض ومجانبة التصنع والتكلف بالبحتري ولا اقيسه في امتداد النفس وعلم اللغة والاقتدار على ضروب الكلام وتصوير المعاني العجيبة والتشبيهات الغريبة والحكم البارعه والاداب الواسعة بأبن الرومي ولا اتهالك في مدحته الك مع من يتعصب له تقليداً ويغلو فيجعل بينه وبين هؤلآء الفضلاء امداً بعيدا الى ان قال ولولا انه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى اساميهم في محافل الرؤسآء ويزعم انه لايعرف الطائيين وهو على اشعارهم يغير ولم يسمع بابن الرومي وهو من اشعاره يمير ويسبهم اذا قيل في اشعارهم ابداع ويعيبهم متى انشد لهم مصراع لكان الناس يغضون عن معايبه ويغطون على مساويه ومثالبه ويعدونه كسائر الشعرآء الذين لاينبش عظامهم أنسان ولا يجري بذمهم لسان ولقد حدثني من اثق به انه لما قتل المتنبي وجد معه ديوان ابي تمام والبحتري بخطه وعلى الحواشي علامة كل بيت اخذ معناه وسلخه فهل يحل له ان ينكر اسماء الشعراء وكناهم ويجحد فضائل اولاهم واخراهم الى ان قال وانا بمشيئة الله تعالى اورد ماعندي من الابيات الذي اخذ الفاظها ومعانيها وادعى الاعجاز لنفسه فيها ليشهد باؤم طبعه في انكار فضيلة السابقين ويوسم بما نهبه من اشعارهم بسمة السارقين قلت ليعلم انه لا بد من تقديم مقدمتين قبل ايراد ما سرقه ابو الطيب المتنبي ليصير العاذل عاذراً والمحجوج مفاخراً : (المقدمة الاولى) من المقرر عند ارباب هذا الشان وفرسان هذا الميدان ان من المعاني ما يتساوى فيه الشعراء ويشترك فيه المحدثون والقدماء لانه كضيآء القمر لا يخفى على من اوتي فضيلة النظر كما اذا قلنا في مولانا (نجل الحسام له عزمة امضى من الحسام) وهو كالليث يوم جداله وكالغيث وقت نواله أو اذا قلنا وجهه كالبدر الزاهر وكفه كالبحر الزاخر أو اذا قلنا كلماته كبرد الشباب والفاظه كبرد الشراب أو اذا قلنا لا اشبه وجه مولانا الا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه او اذا قلنا مولانا كالبدر في ارتفاع قدره وكالبحر في اتساع صدره

لو أن البحر لا يتغير ماؤه والبدر لا ينقص ضياؤه أو اذا قلنا لمولانا خلق هو المسك لولا سواده وكف هو البحر لولا نفاده ووجه هو الشمس لولا كسوفه والقمر لولا خسوفه أو اذا قلنا مولانا كالدهر لولا صروفه والجبل لولا وقوفه وقد شاهدت من مساطر كلامه ومقاطر اقلامه روضات حزن وجنات عدن وكقولهم: عفت الديار وما عفت اثارها من القلوب . وكقولهم : ان الطيف يجود بما يبخل به صاحبه وان الواشي لو علم بزار الطيف لساءه وأشباه ذلك وكقولهم في المراثي ان هذا الرزء اول حادث وانه استوى فيه الاباعد والاقارب وان الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة ويجري هذا الأمر في سائر انواع الشعر فان امثال هذه المعاني الظواهر تتوارد عليها جميع الخواطر وتستوي في ايرادها . ومثل ذلك لا يطلق على المتأخر اسم السرقة وانما يطلق اسمها في معنى مخصوص كقول ابي الطيب

بناها علي والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو الطيب وكذلك قوله في عضد الدولة وولديه

وكان ابنا عدو كاثراه له يائي حروف انيسيان

وهذا المعنى لأبي الطيب وهو الذي ابتدعه فمن اتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فانه يكون سارقاً له وزعم بعض اهل الأدب ان أبن الرومي ابتدع قوله

تشكو المحب وتلقى الدهر شاكية كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وليس الامر كما زعم فانه من المثل المضروب وهو (تلدغ وتصيح) ويضرب لمن يبدأ بالأذى ثم يشكو وزعم كثير ان أبن الخياط ابتدع قوله

أغار اذا آنست في الحي أنة حذار عليه ان تكون لحبه

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب

لو قلت للدنف الحزين فديته مما به لأغرته بفدائه

وهو ادق معنى من قول أبن الخياط

السرقات الشعرية وانواعها

(المقدمة الثانيه) في السرقات الشعرية والمحمود منها والمذموم وهي على خمسة عشر ضرباً

(الاول) ان يأخذ الثاني من الاول المعنى واللفظ جميعاً كقول الفرزدق

اتعدل احسابا لئاماً حماتها باحسابنا انى الى الله راجع

وكقول جرير

اتعدل احسابا كراما حماتها باحسابكم اني الى الله راجع

فتخالفهما في لفظة واحدة وهذا الضرب مذموم والمتأخر ملوم ومن هذا الضرب قول ابي نواس الحكمي

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما اصابهم الا بما شاؤا

اخذه من معبد

لهفي على فتية ذل الزمان بهم فما اصابهم الا بما شاوا

(الضرب الثاني) ان يأخذ المعنى واكثر اللفظ وهذا الضرب ينقسم قسمين مذموم ومحمود فالاول كقول ابي تمام

محاسن اصناف المغنين جمة وما قصبات السبق الا لمعبد

اخذه من قول بعض المتقدمين يمدح معبداً صاحب الغنأ

اجاد طويس والشريحي بعده وما قصبات السبق الا لمعبد

والثاني كقول ابي الشيص

اجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم

اخذه ابو الطيب فقال

أأحبه واحب فيه ملامة ان الملامة فيه من اعدائه

وتسمية هذا مبتدعاً اولى من تسميته سرقة وهذان الضربان يسميان نسخاً

(الضرب الثالث) ان يأخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه وهذا من ادقها مذهباً

وأحسنها صورة فمن ذلك قول الحماسي

لقد زادني حباً لنفسي انني بغيض الي الجاهل المتعارف

اخذه المتنبي واستخرج منه معنى شبيهاً فيه فقال

وإذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ومن هذا الضرب قول ابي تمام

رعته الفيافي بعد ماكان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

اخذه البحتري واستخرج منه ما يشابهه فقال

شيخان قد ثقل السلاح عليهما وعداهما رأي السميع المبصر

ركبا القنا من بعد ما حملا القنا في عسكر متحامل في عسكر

ومن هذا الضرب قول ابي تمام ايضا

لا أظلم الناس قد كانت خلائقها من قبل وشك النوى عندي نوقذنا

اخذه البحتري فقال

اعانك ماكان الشباب مقربي اليك فألحى الشيب اذ هو مبعدي

(الضرب الرابع) ان يأخذ المعنى مجرداً من اللفظ وهذا لا يكاد يأتي الا قليلا

ومنه قول جرير

ولا يمنعك من أرب لحاهم سوآء ذو العمامة والخمار

اخذه المتنبي فقال

ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

(الضرب الخامس) ان يأخذ المعنى ويسيراً من اللفظ وذلك من اقبح السرقات

واظهرها شناعة على السارق فمن ذلك قول البحتري

فوق ضعف الصغار إن وكل الامر اليه ودون كيد الكبار

اخذه من قول ابي النواس

لم يجف من كبر عما يراد به من الأمور ولا ازرى به الصغر

وكذلك قول البحتري ايضا

كل عيد له انقضاء وكفي كل يوم من جوده في عيد

أخذه من قول علي بن جبلة

للعيد يوم من الأيام منتظر والناس في كل يوم منك في عيد

وكذلك قول البحتري ايضاً

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منا السؤال جاد ابتداء

اخذه من قول علي بن جبلة

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها

وكذلك قول أبو تمام

قد قلصت شفتاه من حفيظته فخيل من شدة التعبيس مبتسما

اخذه من ديك الجن

واذا شئت أن ترى الموت في صورة ليث في لبدتي رئبال

فالقه غير انما لبدتاه ابيض صارم واسمر عال

تلق ليثا قد قلصت شفتاه فيرى ضاحكاً لعبس الصيال

ومن هنا اخذ المتنبي قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث مبتسم

لكنه ابرزه في صورة حسنة فصار اولى به وكذلك قول ابي تمام

ولم أمدحك تفخيما بشعري لكني مدحت بك المديحا

اخذه من قول حسان في النبي ﷺ

ما إن مدحت محمداً بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد

وكذلك قول ابن الرومي

وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي وكفى به متقاضياً ووكيلا

اخذه من قول ابي تمام

واذا المجد كان عوني على المرء   تقاضيته بترك التقاضي

و كذلك قول ابن الرومي

ومالي عزاء عن شباب علمته   سوى انني من بعده لا اخلد

اخذه من قول منصور النمري

قد كنت اقضي على فوت الشباب اسى   لولا التعزي بأن العيش منقطع

(الضرب السادس) ان يأخذ المعنى فيقلبه وذلك محمود. ويخرجه حسنه عن حد السرقة فمما جاء منه قول ابي تمام

كريم متى امدحه امدحه والورى   معي واذا ما لمته لمته وحدي

اخذه من تأخر عنه فقال

مدحتهم وحدي فلما هجوتهم   هجوتهم والناس كلهم معي

(الضرب السابع) ان يأخذ بعض المعنى وهذا الضرب محمود فمن ذلك قول امية ابن أبي الصلت

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته   ببذل وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه   اليك كما بعض السؤال يشين

اخذه أبو تمام فقال

تدعى عطاياه وفراً وهي ان شهرت   كانت فخاراً لمن يعفوه مؤتنفا

مازلت منتظراً اعجوبة زمناً   حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة

وأثل ما لم يحوه متقدم   وان نال منه آخر فهو تابع

اخذه المتنبي فقال

ترفع عن عون المكارم قدره   فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والمتنبي وأبو تمام أبرزا مااخذاه هنا في صورة حسنة وكذلك قال أبو تمام

كلف برب الحمد يعلم انه   لايبتدي عرف اذا لم يتمم

اخذه البحتري فقال

ومثلك ان ابدى الفعال اعاده وان صنع المعروف زاد وتمما

(الضرب الثامن) ان يأخذ المعنى فيزيد عليه معنى آخر وهذا الضرب لا يكون الا حسناً فمن ذلك قول جرير

غرائب الاف اذا حان وردها اخذن طريقاً للقصائد معلما

اخذه أبو تمام فقال

غرائب لاقت في فنائك انسها من المجد فهي الان غير غرائب

فهذا أحسن من قول جرير للزيادة التي فيه . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي . وهي من امهات قصائده واولها

على مثلهـــا من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

اقول لقرحان من البين لم يضف رسيس الهوى بين الحشى والترائب

اي اقول لرجل لم يقطعه احبابه ولم تبعد عنه اصحابه . واصل القرحان الذي لم يخرج عليه الجدري ويروى لفرحان بالفاء

أعني افرق شمـــل دمعي فانني اري الشمل منهم ليس بالمتقارب

يقول قد اجتمع دمعي لاني لم ابكي رجاء ان يقرب الشمل والان فقد رأيته ليس بالمتقارب فأعني بوقفة على منازلهم حتى ابكيهم فاستريح

فما كان في ذا اليوم عذلك كله عدوي حتى صار جهلك صاحبي

وما بك اركابي من الرشد مركبا ألا انما حاولت رشد الركائب

يخاطب الرجل القرحان الذي لم يصب بالمصائب وعذله على الرحيل يقول ليس بك رشدي ولكنك تريد ان تريح الركائب واريد ان اتعبها بالمسير

فكلني الى شوقي وسرى يسر الهوى الى حرقاتي بالدموع السوارب

يقول أنا لا اطاوعك على ماتريده فسر وكلني الى شوقي فان هواي يبعث دمعي ثم خاطب ديار احبابه فقال

اميدان لهوي من اتاح لك الردى فاصبحت ميدان الصبا والحبائب
اصابتك ابكار الخطوب فشققت هواي بابكار الظبـــاء الكواعب
وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب

هذا مثل يقول : يسكرون ويسكرون المطي من التعب فكأنهم سقوها زجاجة ولم تقصد لها كف قاطب اي ليس هي على الحقيقة زجاجة فيها شراب يتأولها الساقي

فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى فصارت لها اشباحهم كالغوارب
يقود نواصيها جذيل مشـــارق اذا آبه هم عذيق مغـــارب

ويروى يصرف مسراها يقول يسير بهذه الأبل رجل عالم بالشرق والغرب يريد نفسه وهذا من المثل الذي قالهالحباب بن المنذر انا جذيلهـا المحكك وعذيقها المرجب ويضرب لمن يستشفى برأيه والجذل خشبة تحتك بها الأبل الجربى والعذق النخلة والتصغير فيها للتفخيم

يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر وبالعرمس الوجناء غرة آيب

يقول يصرف هذه الركاب رجل محبب اليه السفر في طلبالعلى فاذا رأىالكاعب من النساء رأى بها طلعة ثائر دنا لينـال منه لبغضه الكاعب وحبه السفر ليبلغ مراده واذا رأى الناقة السريعة السير فكأنه رأي غرة انسان مقبل عليه

كأن به ضغنا على كل جـــانب من الارض أو شوقا الى كل جانب

يقول من حبه للسير في البلاد كأن به ضغنا على كل مكان حتى يفارقه او شوقا الى كل مكان حتى يبلغه وكل ما ذكره من حبه للسير : حتى قال

اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطعْ ما بيني وبـــين النوائب

وهذه الجملة معترضة جمح بها القلم في ميدانه ونعود الى مانحن بصدد بيانه ومن هذا الضرب قول مسلمة بن عبد الملك

ذل الحياة وكره الممات وكـ ـلا أراه طعـــاما وبيلا

فان لم يكن غير احداهما فسيراً الى الموت سيراً جميلا

أخذه أبو تمام فقال :

مثل الموت بين عينيه والذ ل وكلا رآه خطباً عظيما

ثم سارت به المنية قدماً فأمات العدى ومات كريما

وقول أبي تمام أحسن وكذلك ورد قول الطغرأي

يا من اذا اجتمع الكتاب كان له فضل الامارة مقتاداً كتيبتها

شكت اليك دواتي شيب لمتهـا وأنت أخلق من يطوي شبيبتها

وقال مولانا السيد الأمجد أحمد (أفندي) ابن النقيب دامت معاليه

لدواة داعيكم مداد شاب من جور اليراع وقد رثت لمصابه

وأتت تؤمل فضلكم وتروم من احسانكم تجديد شرخ شبابه

ففي قوله أيده الله زيادة حسنة وهي جور اليراع وقد رثت الى مصابه وكذلك ورد قول أبي نواس

قل لمن يدعي سليمى سفاهاً لست منها ولا قلامة ظفر

انما انت (ملصق مثل، واو الحقت في الهجاء ظلما بعمرو

أخذه البحتري فقال

خل عنا فانمـا انت فينا واو عمرو أو كالحديث المعاد

فالبحتري زاد على أبي نواس الحديث المعاد وأحسن من قولهما قول ماجد الديار الشامية مولانا أحمد (افندي) الشاهيني أطال الله بقاه وهو

انمـا البهنسي احمد خطب لا خطيب ولا جليل بقدر

زيدت الياء فيه ظلما وعدوانـاً كواو غدت بآخر عمرو

ووجه حسنه المناسبة فيه بين الحرفين وكذلك ورد قول الشريف الرضي

ولو ان لي يوماً على الدهر امرة وكانت لي العدوى على الحدثان

خلعت على عطفيك برد شبيتي جوادا بعمري واقتبال زماني

فقال الشاهيني حرس الله بيقائه الفضل والكرم . ولا برحت اياديه التمائم من العدم . يخاطب شيخه أبا العباس أحمد بن محمد المقري المغربي في آخر قصيده . وأرسل اليه هدية وخمسين قرشا ولا يخفى مافي هذا البيت الثاني من الحسن

لو كان لي امر الشباب خلعته بردأ على علياك ذا أردان

لكن تعذر بعث اول غايتي فبعثت نحوك غاية الامكان

وكذلك ورد قول ابي تمام

يصدع الدنيا اذا عن سؤدد ولو برزت في زي عذراء ناهد

اخذه من قول المعذل

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وكذلك ورد قول البحتري

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا جذلان يبدع في السماح ويغرب

اخذه من قول مسلم بن الوليد

ركبت اليه البحر في ماخراته فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر

الا انه زاد عليه جذلان يبدع في السماح ويغرب وكذلك ورد قول ابي نواس

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

اخذه من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

يحكى عن ابي تمام انه دخل على ابن ابي داود فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال وانما يعتب على واحد وانت الناس جميعا فقال من اين هذه يا ابا تمام فقال من قول الحاذق ابي نواس وانشده البيت السابق وفي بيت ابي نواس زيادة حسنة قد ملكته رق هذا المعنى وذلك ان جريراً جعل الناس كلهم في تميم وابا نواس جعل العالم كله في واحد وذلك ابلغ

(الضرب التاسع) ان يأخذ المعنى فيكسبه عبارة احسن من الأولى وهذا هو

المحمود الذي يخرجه حسنه عن باب السرقة وعليه قول أبي نواس

يدل على مافي الضمير من الهوى   تقلب عينيه الى شخص من يهوى

اخذه المتنبي فاجاد حيث قال

واذا خامر الهوى قلب صب   فعليه لكل عين دليـــل

(الضرب العاشر) ان يأخذ المعنى ويسبكه سبكا موجزا وذلك من احسن السرقات فمن ذلك قول بعض المتقدمين

امن خوف فقر تعجلته   واخرت انفاق ماتجمع

فصرت الفقير وانت الغني   وما كنت تعدو الذي تصنع

اخذه المتنبي فقال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكذلك ورد قول أبي تمام

كانت مسائلة الركبان تخبرني   عن أحمد ابن سعيد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت   اذني بأحسن مما قد رأى بصري

اخذه أبو الطيب فقال

واستكبر الاخبار قبل لقائه   فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وقال أبو تمام

كم صارم عضب اناف على فتى   شهم لاعباء الوغى حمـــال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه   وطن النهى من مفرق وقذال

اخذه المتنبي فقال وأحسن

يسابق القتل فيهم كل حادثة   فما يصيبهم موت ولا هرم

(الضرب الحادي عشر) أن يكون المعنى عاما فيجعله خاصا او بالعكس وهذا من السرقات التي يسامح فيها صاحبها ومنه قول الاخطل

لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

اخذه أبو تمام فقال

أألوم من بخلت يداه واغتدى للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وكذلك قول أبي تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها ولكن منعت الدر والضرع حافل

اخذه المتنبي فقال

وما يؤلم الحرمان من كف حارم كما يؤلم الحرمان من كف رازق

(الضرب الثاني عشر)ان يزيد المعنى بياناً مع المساوات في اصله ومنه قول أبي تمام .

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث فللريث في بعـــض المواطن انفع

اخذه المتنبي فأوضحه بمثال فقال

ومن الخـــير بطء سيبك عني اسرع السحب في المسير الجهام

(الضرب الثالث عشر) وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فمن ذلك قول بعضهم

كأنه غنى لشمس الضحى فنقطته طربا بالنجوم

اخذه مولانا الشاهيني ادام الله سودده فقال واحسن غاية الاحسان

وقـــائلة والشمس أعني وقد رأت قروحاً على خـــد يفوق على الورد

اما تغتدي تهدي لحبك عودة فقلت وهل تغنى الرقا من اخ الوجد

فجائته ولهي والنجوم تمـــائم فادهشهـــا حتى نثرن على الخد

وعلماء الادب يسمون هذا الضرب سلخاً

(الضرب الرابع عشر) قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة وهذا الضرب يسمى مسخاً فما ورد منه قول ديك الجن

نحن نعزيك ومنك الهدى مستخرج والصبر مستقبل

نقول بالعقل وانت الذي نأوي اليه وبه نعقل

اذا عفى عنك واردى نالـ ـدهر فذاك المحسن المجمل

اخذه المتنبي فقال

ان يكن صبر ذي الرزيه فضلا تكن الافضل الأعز الاجلا

انت يافوق انتعزعنالاحباب فوق الذي يعزيك عقلا

وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا

(الضرب الخامس عشر) قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة ولا يسمى هذا الضرب مسخاً وان سموهلانه محمود والمسخ مذموم فمن ذلك قول المتنبي

اني على شغفي بما في خمرهـا لأعف عما في سراويلاتهـا

اخذه الشريف الرضى فقال

احن الي تضمن الخمر والحلا واصدف عما في ضمان المآزر

وهنا ضرب آخر وهو ان ينقل المعنى من غير اللغة العربية اليها وهذا يجري مجرى الابتداع كقول المرحوم البوريني

يقولون في الصبح دعاء موثر فقلت نعم لوكان ليلي له صبح

وكذلك قوله

انظر الى ورق الغصون فانها مشحونة بادلة التوحيـد

واذا كانت المقدمة الاولى على ذكر منك . ولم تذهب ضروب الثانية عنك . فيجب ان نورد عليك ماقاله العميدي وأبانه . وما شنع على المتنبي في الابانه . ومن انصف بعد الوقوف عليها . ورد ماأورده اليهما . علم ان العميدي دعاه الحسد الى ان جعل محاسن ابي الطيب عيوباً . وحسناته ذنوباً قال العميدي قال ديك الجن

دعص يقل قضيب بان فوقه شمس النهار تقل ليلا مظلما

قال المتنبي

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار تقل ليلا مظلما

قال العميدي مثل هذا البيت تسميه اصحابه التوارد واخصامه النسخ وانا اعرف أنه تعب في نظم هذا البيت فله فضيلة التعب قلت كل من البيتين ليس فيه معنى

مخصوص حتى يحكم بالسرقة . وتشبيه القد بالقضيب وما تحويه المآزر بالكثيب والوجه بالشمس والشعر بالظلام مما تتوارد عليه الافهام وبيت المتنبي وان كان هو الاخير فانه سالم من التكرير وقد قال اهل الفضل انه من الوجوه المنقصه لقول العرب القتل أنفى للقتل فتنبه لا ناله ولا تحفل بمقاله قال العميدي قال العلوي الكوفي المعروف بالجماني في برية

تيهآء لا يتخطاها الدليل بها الا وناظره بالنجم معقود

قال المتنبي

عقدت بالنجم طرفي في مفاوزه وحر وجهي بحر الشمس اذ أفلا

قلت بيت المتنبي احسن لما فيه من التجنيس والزيادة في المعنى قال العميدي ذكر ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار لبعض الاعراب

لي همــــة فوق السمآء وباب رزقي الدهر مغلق
هل ينفع الحرص الكثير لصاحب الرزق المضيق
ان امرء امن الزمان لمستغر العقل احمــــق

قال المتنبي

فالموت آت والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمق

قلت الفرق بينهما كما بين السراب والشراب لمن يهتدي مناهج الصواب قال العميدي قال ابن الرومي

شكواي لو انا اشكوها الي جبل اصم ممتنع الاركان لانفلقا

قال المتنبي

ولو حملت صم الجبال الذي بنـــا غداة افترقنا اوشكت تتصدع

قلت لو لم يكن في بيت المتنبي الاما تراه من الرقة والانسجام لكفاه العدول عن الانفلاق الى التصديع في هذا المقام فقال العميدي قال ابو تمام

له منظر في العين ابيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع

وقال العطوي

ابعدك الله من بيـــاض بيضت مــن عيني السوادا

قال المتنبي

ابعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت اسود في عيني من الظلم

قال العميدي قوله اسود في النحو ركيك لم يسمع الا في ابيات شواذ نوادر قلت نا مندوحه على الوجه الذي يرد عليه الاعتراض بان تكون من للتبعيض قال العميدي

قال نصر الخبزارزي

واسقمني حتى كأني جفونه واثقلني حتى كأني روادفه

وقال محمد بن ابي زرعة الدمشقي

اسقمني طرفه وحملني هواه ثقلا كأنني كفله

قال المتنبي

اعارني سقم عينيـــه وحملني من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

قلت لو سمع هذا ابو الطيب لانشد قول البحتري

اذا محاسني اللاتي اتيت بها كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

قال العميدي قال البحتري

جل عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاء

وقال نصر الخبزارزي

ومن قلة ما أثني عليه صرت كالهاجي

قال المتنبي

وعظم قدرك في الافاق أوهمني اني بقلة مـــا أثنيت اهجوك

قلت حسن بيت المتنبي لا يخفى على ذي مسكة قال العميدي قال ابن الرومي

اقسمت بالله ما استيقظتم لخنا ولا وجدتم عن العليا بنوام

وقال بشار بن برد

وسهرتم في المكرمات وكسبها سهراً بغير هوى وغير سقام

قال المتنبي

كثير سهاد العين من غير علة　　يؤرقه فيما يشرفه الذكر

قلت بيت المتنبي اشرف لشرف الذكر قال العميدي قال ابن الرومي

وقد ساد شعري الارض شرقاً ومغرباً　　وغني به الحضر المقيمون والسفر

قال المتنبي

هم الناس الا انهم من مكارم　　يغني بهم حضر ويحدو بهم سفر

قلت اصاب شاكلة الصواب بقوله :ويحدو قال العميدي انشد ابن قتيبة الي بعض الاعراب

بصير باعقاب الامور برأيه　　كأن له في اليوم عيناً على غد

قال المتنبي

ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد　　بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

قال المتبولي الجزري

يجود مالا على العافي سحابهم　　وتمطر الدم اسياف لهم قضب

وقال ابو الحسن النحاس

اذا اروت الارض اسيافهم　　من الدم خلت سحابا همع

وقال ابن الرومي

سمآء أظلت كل شيء واعملت　　سحائب شتى صوبها المال والدم

وقال المتنبي

قوم اذا امطرت موتا سيوفهم　　حسبتها سحباً جادت على بلد

قال ابن الرومي

يغدو فتكثر باللحاظ جراحنا　　في وجنتيه وفي القلوب جراحه

قال المتنبي

ما باله لاحظته فتضرجت　　وجناته وفوأدي المجروح

قال ابو القوافي

ردت صنائعه عليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

وقال مؤنس بن عمران البصري

طوته المنايا والثناء كفيله   برد حياة ليس يخلقها الدهر

قال المتنبي

كفل الثناء له برد حياته   لما انطوى فكأنه منشور

قال بشار بن برد

واذا أقل لي البخيل عذرته   ان القليل من البخيل كثير

وقال بعض المتقدمين

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لا يقال له قليل

وقال المتنبي

وقعت باللقيا واول نظرة   ان القليل من الحبيب كثير

وقال ابن الرومي

واعوام كأن العام يوم   وايام كأن اليوم عام

وقال ابو تمام

اعوام وصل كاد ينسي طولها   ذكر النوى فكأنها ايام

ثم انبرت ايام هجر اعقبت   نجوى أسى فكانها اعوام

ثم انقضت تلك السنون واهلها   فكأنها وكأنهم احلام

قال المتنبي

ان ايامنا دهور اذا غبت   وساعاتنا القصار دهور

وقال ابو تمام

فما تترك الأيام من انت آخذ   ولا تأخذ الايام من انت تارك

وقال معوج الرقي

ما يفسد الدهر شيئاً انت تصلحه ... وليس يصلح شيئاً انت تفسده

قال المتنبي

ولا تفتق الايـــام ما انت راتق ... ولا ترتق الايام مـــا انت فاتق

وقال ابن العتاهية

قد كنت صنت دموعي قبل فرقته ... فاليوم كل مصون فيه مبتذل

وقال معوج الرقي

هـــان من بعد بعدك الدمع والصبر وكــان اعز خلق مصون

قال المتنبي

قد كنت اشفق من دمعي على بصري ... فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

قال معقل العجلي

ما في الملابس مفخر لذوي النهى ... ان لم يزنها الجود والاحسان

ليس اللئيم تزينه اثوابـــه ... كالميت ليس تزينه الاكفان

قال المتنبي

لا يعجبن مضيماً حسن بزته ... وهل تروق دفينا جودة الكفن

قال جابر السنيسي

خيل شواذب امثال الصقور لهـا ... فوارس لا يخافون الردى بسل

كأنهم خلقوا والخيل تحتهم ... وهم اسود وفي انيابهـــا الاجل

قال المتنبي

وكـأنها نتجت قيامـــا تحتهم ... .كأنهم خلقوا على صهواتها

وقال السيد الحميري

قوم نبـــالهم ليست بطـائشة ... وفيهم لفساد الدين اصلاح

ويفصحون عن المعنى بالسنة ... كـأنما هي اسياف وارمـــاح

وقال البحتري

واذا تــالق في الندأ كلامه الـ صقول خلت لسانه من عضبـه

قال المتنبي

كأن السنهم في النطاق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصانا

قال امرء القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تطيب

وقال الخليع الاول

. وزائرة ما ضمخت قط ثوبهــا بمسك ومن اثوابها المسك يسطع

ينم عليهــا ريقها وحليها وغرتها في الليل والليل أدرع

وقال بشار بن برد

وزائرة ما مسها الطيب برهــة من الدهر لكن طيبها الدهر فائح

قال المتنبي

أتت زائراً ماخامر الطيب ثوبها وكالمسك من اردانهـا يتضوع

وقال ابن الرومي

لو أبى الراغبون يوماً نداه لدعاهم اليـــه بالترغيب

قال المتنبي

وعطاء مال لوعداه طالب انفقته في أن تلاقي طالبا

قال التنوخي الكاتب

أنت في الدهر كالطري من الورد وفي الشعر كالبـــديع الغريب

فيك بشر يدني النجاح من الرا جي ويقضي بالنيل للمطلوب

قال المتنبي

ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

قال العوني

مضى الربيع وجاء الصيف يقدمه جيش من الحر يرمي الأرض بالشرو

كأن بالجو ما بي من جوى وهوى ومن شحوب فلا يخلو من الكدر

قال المتنبي

كأن الجو قاسى ما أقاسي فصار سواده فيه شحوبا

قال بعض المتقدمين (وهو جميل بن معمر)

ونغص دهر الشيب عيشي ولم يكن ينغصه اذ كنت والرأس اسود

نخص زمان الشيب بالذم وحده وأي زمان يا بثينة يحمد

قال المتنبي

من خص بالذم الفراق فانني من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد

قال محمد بن كناسة الأسدي

ترى خيلهم مربوطة بقبابهم وفي كل قلب من سنابكها وقع

قال المتنبي

قيام بأبواب القباب جيادهم واشخاصها في قلب خائفهم تعدو

قال ديك الجن

اخا الرأي والتدبير لا تركب الهوى فان الهوى يرديك من حيث لا تدري

ولا تثقن بالغانيات وان وفت وفاء الغواني بالعهود من الغدر

قال المتنبي

اذا غدرت حسناء اوفت بعهدها ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد

قال علي بن يحيى المنجم من ابيات يغني بها

وجه كأن البدر ليلة تمه منه استعار النور والاشراقا

وأرى عليه حديقة أضحى لها حدقي وأحداق الانام نطاقا

قال المتنبي

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

قال بشار بن برد

اذا ابتسمت جادت دموعي بوابل من الغيث أجرتــه بروق المباسم

وقال الخبزارزي

فوا عجبــا حتــام بمطر ناظري اذا هو ابدى من ثناياه لي برقـــا

قال المتنبي

تبل خدي كلمـــا ابتسمت من مطر برقـــه ثناياها

قال عبد الصمد بن معذل

يعطيك فوق المنى من فضل نـــائله وليس يعطيك الا وهو يعتـــذر

قال المتنبي

يعطيك مبتديـــا فان اعجلته اعطاك معتذراً كمن قد اجرما

قال صالح بن حيان الطائي

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألذ وأحلى من جنى النحل في الفم

قال المتنبي

فثب واثقا بالله وثبة مـــاجد تري الموت في الهيجاء جنى النحل في الفم

قال ابو تمام

لو حار مرتاد المنية لم يجد الا الفراق على النفوس دليلا

قال المتنبي

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا

قال أبو مسلم محمد بن صبيح

فعيش ذي الهم في هم وفي نكد وذو الجهالة في خصب وفي فرح

وقال أبو الفتح الأسكندراني

اختر من الكسب دونا فان دهرك دون

زج الزمان بحمق ان الزمان زبون

لا تكذبن بعقـــل ما العقل الا جنون

ولمحمد البجلي الكوفي

هذا زمان مشوم	كما تراه غشوم
والجهل فيه جميل	والعقل غب ملوم
والمال طيف ولكن	على اللئام يحوم

قال المتنبي

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله	وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقال محمد البيدق الشيباني

اني لانصف من أخائك دائماً	حاشاك من ظلم فلم لاتنصف
الظلم طبعك والعفاف تكلف	والطبع اقوى والتكلف اضعف

قال المتنبي

والظلم من (خلق) النفوس فان تجد	ذا عفـــة فلعلة لايظلم

قال أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي

لم أنس يوم تعانقنا وعللني	من ريقه صافيا ماشابه كدر
ابصرته فرأيت الشمس طالعة	تغشى العيون فيعشى دونها البصر
هذا على ان حول الشمس من شعر	ليل يقال له الاصداغ والطرر
انا القتيل وطرفي قاتلي ودمي	مابين قلبي ومن علقته هدر

وقال دعبل

لاتأخذوا بظلامتي أحـــداً	طرفي ودمعي في دمي اشتركا

قال المتنبي

وانا الذي اجتلب المنية طرفه	فمن المطالب والقتيل القاتل

قال العتكي

هدانا الله بالقتلى نراها	مصلبة بافواه الشعاب

قال المتنبي

اذا سلك السماوة غير هاد　　فقتلاهم لعينيه منـــار

قال أبو تمام

ولطالما أمسى فؤادك منزلا　　ومحلة لظبـــاء ذاك المنزل

وقال أيضاً

وقفت واحشأي منازل للأسى　　بها وهي قفر قد تعفت منازله

وقال معوج الرقي

كم وقفنا على الطلول وجدنا　　بسحاب من الدموع يهل

يامحل الآرام والعين اهلا　　لك في القلب منزل ومحل

قال المتنبي

لك يامنازل في القلوب منازل　　اقفرت انت وهن منك او اهل

وقال أبو تمام

ورحب صدر لو انالارض واسعة　　كوسعه لم يضق عن اهله بـــلد

وقال المتنبي

تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت　　كصدره لم يضق فيها عساكره

وقال الناشئ

لما عطفن رؤوسهن الى الظـ　　ـــأن في الكلل

قدرتهن لعشقهن طلا　　بن منهن القبل

قال المتنبي

ويغيرني جذب الزمام لقلبها　　فمها اليك كطـــالب تقبيلا

قال البحتري

تلقاه يقطر سيفه وسنانه　　وبنان راحته دماً ونجيءا

قال المتنبي

ملك سنان قناته وبنـــانه　　يتباريان دماً وعرفاً ساكبا

قال أبو العتاهية

واذا الجبان رأى الاسنة شرعاً   عاف الثبات فان تفرد اقدمـــا

قال المتنبي

واذا ماخلا الجبان بارض   طلب الطعن وحده والنزالا

قال مسلم بن عياش العامري

وخيل مؤدبة لاتزال   قوائمها عالكات اللجم
تحن الى الحرب من غيران   تقاد وما اقلقتها الحزم
وقد ستر النقع اعرافها   فآذانها كرؤوس القلم

قال المتنبي

قاد الجياد الى الطعان ولم يقد   الا الى العادات والاوطان
ان خليت ربطت بآداب الوغى   فدعاؤها يغني عن الأرسان
في جحفل ستر العيون غباره   فكأنما يبصرن بالاذان

قال محمد بن مسلم المعروف بأبن المولى

مازلت تقرعهم في كل معترك   ضرباً يحل محل الشيب في اللمم
ترى الجماجم منه غير آمنـــة   وسائر الجسم منها صار في حرم

قال المتنبي

خص الجماجم والوجوه كأنما   جاءت اليك جسومهم بامان

قال على بن هارون المنجم

كريم نهته النفس عن شهواتها   ووفته اقساط المعالي بلا بخس
اذا لم تكن نفس ابن آدم حرة   تحن الى العليا فلا خير في النفس

قال المتنبي

تلك النفوس الغالبات على العلى   والمجد يغلبها على شهواتهـــا

قال ابو تمام

تمتع من سهـــاد او رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثـــالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وقال زريق البصري

فلا تحسبوا الاقتار عاراً عليكم وأعداؤكم مثرون بين المحافل
كذا عادة الدهر الخؤن ولم يزل يخلط في الاحكام حقاً بباطل
رأيت الغنى عند الاراذل محنة على الناس مثل الفقر عند الافاضل

قال المتنبي

والغنى في يد اللئيم قبيح مثل قبح الكريم في الاملاق

قال الناشيء

يا اكرم الناس أخلاقاً وأوفرهم عقلا وأسبغهم فيه الى الأمد
أصبحت افضل من يمشي على قدم بالرأي والعقل لا بالبطش والجلد
لئن ضعفت وأضناك السقام فلم يضعف قوى عقلك الصافي ولم يمد
لو كان أفضل ما في الخلق بطشهم دون العقول لكان الفضل للاسد
وانمـــا العقل شيء لا يجود به للناس غير الجواد الواحد الصمد

قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

قال ادريس الاعور يرثي عبد الله بن طاهر

أجيل طرفي فما القى سوى جدث وأرى محاسن ذاك المنظر البهج
وتربة مـــا رأتها عين غانية الا سخت بدم بالدمـــع يمتزج
وسودتها بنقس بعـــد غالية وبدلت حمرة التفـــاح بالثبج

قال المتنبي

وابرزت الخدور مخبأة يضعن النقس أمكنة الغوالي

قال أبو تمام

تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

وقال ابن الرومي

تعودت المواهب والعطايا انامل فيض راحته انسجام

فليس لها عن الحد انفراج وليس لها على المال انضمام

قال المتنبي

عجباً له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الاشياء من عاداتها

قال ابو العكوك

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق

واعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تورق

وقال ابو البيدا

هو المشتري الحمد الكثير بماله وفي يده للسائلين سحاب

ولو مطرت كفاه ارضاً لأخصبت وأورق صفوان عليه تراب

قال المتنبي

وعجبت من ارض سحاب اكفهم من فوقها وصخورها لا تورق

قال ابو تمام

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم فاني لم اخدمك الا لاخدما

قال المتنبي

وما رغبتي في مسجد استفيده ولكنها في مفخر استحده

قال ابن المعتز

وارى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت في ثياب حداد

وقال معوج الرقي

كان بنات نعش حين لاحت نوائح واقفات في حداد

قال المتنبي

كأن بنات نعش في دجاها خرائد سافرت في حداد

قال بشار

وظن وهو مجد في هزيمته ما لاح قدامه شخصاً يسابقه

قال ابو نواس

فكل كف رآها ظنها قدحاً وكل شيءٍ رآه ظنه الساقي

قال المتنبي

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

قال المتورد

حل المشيب بمفرقي فكأنه سيف صقيل
اقبح بضيف قال لي لما اتي قرب الرحيل

وقال البحتري

وددت بياض السيف يوم لقيتني مكان بياض الشيب حل بمفرقي

قال المتنبي

ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف احسن فعلا منه باللمم

قال الخليع الاكبر

وخير بلاد الله عندي بلدة انال بها عزاً وأحوي بها حمدا

وقال البحتري

واحب اقطار البلاد الى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

قال المتنبي

وكل امرئٍ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقال النابغة

وتنكر يوم الروع الوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا

قال أبو المهاجر البجلي

وخاضت عتاق الخيل في حومة الوغى دماء فصارت شهب الوانهـا دهما

قال المتنبي

جفتني كأني لست أنطق قومها وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

قال قدامة بن موسى الجمحي

شجاع يرى الاحجام كفراً فيتقي وسمح يرى الأفضال فرضاً فيفضل

وما يتناهى القول في وصف مدحه ولكنني أبغي اختصـاراً فأجمل

قال المتنبي

هو الشجاع يعد البخل من جبن وهو الجواد يعد الجبن من بخل

قال ابراهيم البنديجي الكاتب

أحاول امراً والقضاء يعوقه فبيني وبين الدهر فيه طراد

ولولا الذي حاولت صعبا مرامه لساعدني فيه عليه شداد

قال المتنبي

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد

وحيد من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

قال الناشيء

اليكم بني العباس عني فانني الى الله من ميل اليكم لتائب

تركتم طريق المجد بعد اتضاحه واقصتكم عنه ظنون كواذب

سيظعن أهل الحق بالحق عاجلا وتبعدكم سمر القنا والقواضب

أترضون أن تطوى صحائف عصبة كرام لهم فى السابقين مراتب

ألم تعلموا أن التراث تراثهم وهم اظهروا الاسلام والكفر غالب

فلا تذكروا منهم مثالب انما مثالب قوم عند قوم مناقب

قال المتنبي

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي　　المجد للسيف ليس المجد للقلم

اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به　　فانما نحن للاسياف كالخدم

قال البحتري

اضرت بضوء البدر والبدر طالع　　وقامت مقام البدر لما تغيبا

وقال نصر الخبزارزي

وماحاجة الركب السراة اذا بدا　　لهم وجهه ليلا الى طلعة البدر

قال المتنبي

وما حاجة الاظعان حولك في الدجى　　الى قمر ماواجد لك عادمه

قال علي ابن جبيلة

قمر نم عليه نوره　　كيف يخفي الليل بدراً طلعاً

وقال الشغباني

فاذا جزعت من الرقيب فلا تزر　　فالبدر يفضح كل ليل مظلم

قال المتنبي

امن ازديارك في الدجا الرقباء　　اذ حيث كنت من الظلام ضياء

قال ابو تمام

مقيم الظعن عندك والاماني　　وان قلقت ركابي في البلاد

قال المتنبي

واني عنك بعد غد لغاد　　وقلبي عن فنائك غير غاد

قال أبو تمام

وما سافرت في الافاق الا　　ومن جدواك راحلتي وزادي

نبي

، حيث مااتجهت ركابي　　وضيفك حيث كنت من البلاد

ولم ار في رونق الصري مورداً   فحاولت ورد النيل عند احتفاله

وقال الكسروي

وما أنـــا تارك بحراً نميراً   واطمع في الجداول والسواقي

(اذا لجحدت مـــاوليتنيه   من النعمى ومت من النفاق)

وقال العطوي

أأمتاح من بين قليل معينها   واقعد عن بحر زلال مشاربه

قال المتنبي

قواصـــد كافور توارك غيره   ومن قصد البحر استقل السواقيا

قال ابراهيم بن عيسى في معرض العتاب

ياوارث المجد التليـــ   ـد وباني الكرم الاصيل

مـــالي اراك قبلت اقـ   ـوال الوشاة بلا دليل

قد كنت أحسب انني   احظى بنـــائلك الجزيل

حتى رأيت وســـائلي   خلقت وضاعت في السبيل

فعلمت اني قد غلطت   وتهت في خطب طويل

ولقد أتيتك آنفـــاً   ارجوك في امر قليل

انصف فانك منصف   الا لخـــادمك الذليل

امـــا ازاحـــة علة   فيها الشفاء من الغليل

امـــا فقوت ماأعيـ   ـش يصون وجهي عن بخيل

امـــا فاذن استقـ   ـل به على وجه جميل

من لم يعنك على المقـــام   فقد أعان على الرحيل

قال العميدي لمح المتنبي جميع هذه الابيات وسلخ البيت الاخير في قوله

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   ان لاتفارقهم فـــالراحلون هم

قال ابن هفان المهروي

جلست فقــــام الدهر فيما تريده ونمت عن الاشغال والجد ساهر
وانت لارباب المـــكارم كلهم امام وأن غــابوا فانك حاضر

قال المتنبي

ودانت له الدنيا فاصبح جالسا وايامه في مايريد قيـــام
وكل اناس يتبعون امـــامهم وانت لأهل المكرمات امام

قال العميدي اترى يخفى على النساء دون الرجال هذا وما يجري مجراه انه سرقة

قال عبد الله بن محمد الرقي المكنى بابن عمران

صينت ظهور مطايانا لغيبته فليس يركبها من بعده احد
من يصحب الدهر لم يأمن تقلبه يعيش حيران حتى ينفد الابد

قال المتنبي

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنا ان نلم به ركبـــا
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

قال اسماعيل بن محمد الراداني يمدح الحسن بن وهب

كأنما الناس مخلوقون من ظلم وانت وحدك مخلوق من النور
تهتز كالغصن عند الجود من طرب وتستقير بقلب غير مذعور

قال المتنبي

فلو خلق الناس من دهرهم لكانوا الظلام وكنت النهارا
اشدهم في النـــدى هزة وابعدهم في عدو مغـــارا

قال الهرمزي

سقم المجد مذ سقمت ويبرا حتى تبرا وبالاعادي السقام
واذا ماسلمت فالناس طراً سلموا مثل ماسلمت وقاموا

قال المتنبي

المجد عوفي مذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الألم

قال سعيد الخطيب

وما كنت ادري انفي كفك الغنى وانك قد اصبحت للمجد عنصرا
وقد كنت في ليل من الشك مظلم الى ان بدا صبح اليقين فاسفرا
تبرعت بالاموال من غير كلفة وحزت بها عني الثناء المحبرا

قال المتنبي

وعادى محبيه لقول عـــداته واصبح في ليل من الشك مظلم

قال المستهل بن الكميت

واني وان ألبثت ثوب خصاصة فلست لعمري للبخيل بمادح
ومن رام مدح الباخلين فانه ضعيف اساس العقل بادي القبائح
نصحتك لا تكرم عدواً ولا تهن صديقا لك الخيرات فاقبل نصائحي
وما ارني في العيش لولا محبتي لنفع محب او مضرة كاشح

قال المتنبي

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها سرور محب او إساءة مجرم

قال البحتري

اذا ما الجرح رم على فساد تبين فيه تفريط الطبيب

قال المتنبي

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد

قال أبو العتاهية

ياجامع المال والأيام تخدعه خوفا من الفقر هذا الفقر والعدم
اسأت ظنك بالله الذي خضعت له الرقاب فشابت قبلك الظلم

قال ابن الرومي

ومن راح ذا فقر وبخل فانه فقير اتاه البخل من كل جانب

قال المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله　　مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قال أحمد بن مهران الكاتب

اتاني كتاب منك فيه بلاغة　　يعظمها عجباً به كل كاتب

معان كاخلاق الكرام حميدة　　صحاح بالفاظ كزهر الكواكب

قال المتنبي

كأن المعاني في فصاحة لفظها　　نجوم الثريا او خلائقك الزهر

قال أبو محمد الخراساني

وليس يضرني ضعف وفقر　　اذا انفقت مالي في المعالي

رأيت العار في بخل وكبر　　ولست أراه في فقر الرجال

قال المتنبي

غثاثة عيشي ان تغث كرامتي　　وليس بغث ان تغث المآكل

قال العميدي لقد صار هذا غثا لاجتماع الغثاثات فيه قال ابن وهب الفزاري

ارى الموت في الحرب مثل الحيا　　ة لتبليغي النفس فيها الأمل

واعلم اني امرؤ لا اذوق　　لطعم الممات بغير الاجل

قال المتنبي

فموتي في الوغى عيشي لأني　　رأيت الموت في ارب النفوس

قال تميم بن خزيمة

وليس يضرني قومي اذا ما　　غزاهم في ديارهم كلاب

زنادي غير مصلدة وسيفي　　عليه من دمائهم قراب

فلا تستحقروني لانفرادي　　فان التبر معدنه التراب

قال المتنبي

وما انا منهم بالعيش فيهم　　ولكن معدن الذهب الرغام

قال بشار بن برد

اذا اعتذر الجاني إلي عذرته   ولا سيما ان لم يكن قد تعمدا
فمن عاتب الجهال اتعب نفسه   ومن لام من لا يعرف اللوم افسدا

قال المتنبي

وما كل بمعذور ببخل   ولا كل على بخل يلام

قال العميدي متهكما: هذه الالفاظ اذا سمعها الصوفية تواجدوا عليها لمجانستها كلامهم قال ابو سعيد المخزومي

لم يترك الجود فيه غير عادته   ولم يشن وعده كذب ولا خلف
فلا يلام على اتلافه كرما   امواله والذي لم يعطه تلف
حفظ المروءة يؤذي قلب صاحبها   والحب مغرى به المستهتر الكلف

قال المتنبي

تلذ له المروءة وهي تؤذي   ومن يعشق يلذ له الغرام

قلت بيت المتنبي اشرف من بيت ابي سعيد المخزومي لمن تأملها الا ان لفظة توذي اذت البيت لضعف تركيبها فيه وبيان ذلك ان هذه الفظة اذا أوردت في كلام فينبغي ان تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها ليحسن موقعها كما وردت في قوله (ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم) وجاءت في بيت المتنبي منقطعة وقد جاءت هذة اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف لها كاف الخطاب فازال ما بها من الضعف والركة وذاك انه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام فقال (بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك) فانه لما زيد فيها اصلحها وحسنها ولهذا تزاد الهاء في بعض المواضيع كقوله تعالى (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) وهذا الموضع غامض يحتاج الى امعان نظر وربما ينكر هذا من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف اسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها فكم من لفظة واحدة وردت في موضعين زانت أحدهما وشانت الاخر وذلك من خاصة التركيب كما ورد في القران الكريم (ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) فلفظة لي مثل تؤذي وقد جاءت في

الاية مندرجة متعلقة فيما بعدها واذا جاءت منقطة لأ تجيء لائقة كقول ابي الطيب المتنبي

تمـ بي الأماني صرعى دون مبلغه   فما يقول لشيء ليس لي ذاك

فهذه اللفظة وقعت في الاية في غاية الحسن بخلاف وقوعها في البيت ونظير ذلك انك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد الا انه لا يحسن استعمال هذه في موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما وهذا لا يدركه الا من دق فهمه فمن ذلك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وقوله تعالى (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) فاستعمل الجوف في الاولى والبطن في الثانية ولم يستعمل احداهما مكان الاخرى وكذلك قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما راي) وقوله (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) والقلب والفؤاد سواء ولم يستعمل احدهما في مكان الاخر وعلى هذا ورد قول الحماسي

نحن بنو الموت اذا الموت نزل   لا عار بالموت اذا حم الاجل

والموت احلى عندنا من العسل

وقال ابو الطيب

اذا شئت حفت بي على كل سابح   رجال كأن الموت في فمها شهد

فلفظة الشهد في بيت ابي الطيب احلى من العسل وقد وردت لفظة العسل في القرآن الكريم دون لفظة الشهد فوقعت احسن من الشهد وكثيراً ما تجد ذلك في قوال الشعراء المفلقين وبلغاء الكتاب ومصاقع الخطباء ماتحته دقائق ورموز رجع الى ما قاله العميدي قال قال ضمضم الكلابي

ومعترك ضنك المجال شهدته   ولم اخش اسباب المنايا هنا لكا

شفيت جوى صدري وصنت عشيرتي   وغادرت وجه المجد ابيض ضاحكا

فمن شاء ان يبقى له العز خالداً   نفى الضيم واستسقى السيوف البواتكا

اذا لم يكن عن قبضة الموت مخلص   فعجز وجبن ان تخاف المهالكا

قال المتنبي

واذا لم يكن من الموت بد　　فمن العجز ان تكون جبانا

قال ابو العتاهية

إني اكاثر أعـــدائي مغالطة　　وفي الحشا لهب من غيظهم ضرم

ولج في العذل اقوام مقتهم　　كأن في اذني عن عذلهم صمم

قال المتنبي

كأن رقيباً منك سد مسامعي　　عن العذل حتى ليس يدخلها عذل

قال بشار بن برد

كأن جفوني كانت العيس فوقها　　فسارت وسالت بعدهن المدامع

قال المتنبي

كأن العيس كانت فوق جفني　　مناخات فلما ثرن ســـالا

قال هرون بن علي بن يحي منصور المنجم

ارى الصبح فيها منذ فارقت مظلما　　فان ابت صار الليل ابيض ناصحا

قال المتنبي

فالليل حين قدمت فيها ابيض　　والصبح منذ رحلت عنها اسود

قال العوني

ان دهراً سخا بمثلك سمح　　ولقد كان قبل ذاك بخيلا

قال المتنبي

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به　　ولقد يكون به الزمان بخيلا

قال الخطيب في تلخيص المفتاح وان كان الثاني دون الاول فالثـــاني مذموم كقول أبي تمام

هيهات لا يأتي الزمان بمثله　　ان الزمـــان بمثله لبخيل

وقول ابي الطيب — ولقد يكون به الزمان بخيلا — وميز الشارح بيت ابي تمام بعدة

وجوه منها أنقول المتنبي « ولقد يكون » لم يصب محله اذ المعنى على المضي. ومنها ان المضارع اذا كان على معناه اي يكون الزمان بهلاكه بخيلا لعلمه بانه سبب لصلاح الدنيا ونظام العالم فيرد أنه اذا سخـا به فقد بذله فلم يبق له في تصرفه حتى يسمح بهلاكه او يبخل . ومنها انه على تقدير مضاف ولا قرينة تدل عليه . ونقل عن أبي علي الفارسي ان في بيت أبي تمام تقصيراً لان الغرض في هذا النحو نفي المثل . وان يقال انه يعز وانه لايكون فاذا جعل سبب فقد مثله بخل الزمان به فقد اخل بالغرض وجوز وجود المثل ولم يمنعه من حيث هو بل من حيث بخل الزمان بان يجود بمثله قال أبو الشمقمق

المرء ليس بمـدرك ... من دهره مـا يبتغيه
يسقي العليل من الدواء ... خلاف ماهو يشتهيه

قال المتنبي

ماكل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

قال محمود بن حسين الوراق

لاتلح شيبي وما شاهدت من كبري ... مادمت أغدو صحيح العقل والبصر
قـالوا ابوك تميمي وهمتـه ... شم القتار وأكل الشحم بالوضر
ومـا تميم اذا عدت اولى كرم ... فقلت في النار معنى ليس في الحجر

قال المتنبي

فان تـكن تغلب الغلباء عنصرها ... فأن في الخمر معنى ليس في العنب

قال العميدي هذا لفظ غث عامي وذاك منطقي . قلت بلغ منه تعصبه أنه ذم كلاماً أجمع أهل الادب على حسنه قال مروان بن سعيد البصري

أغنيتني عن سؤال الباخلين فلا ... احتاج ماانت تبقي لي الى رجل
وصنت عرضي عمن كنت اقصده ... فلم أنل منه غير المنع والبخل
مالي وما لثماد المـال اقربه ... في لجة البحر مايغني عن الوشل

قال المتنبي

انت الذي فيك مجدالناس كلهم　　لولاك اصبحت الدنيا بلارجل

قال المتنبي

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به　　في طلعة البدر مايغنيك عن زحل

قال كعب بن معدان الاشعري

كأن الرماح السمهرية بينهم　　هموم فما يطرقن غير الحشا طرقا

حماة كماة لم يزنوا بريبة　　ولا غدروا يوما ولا ضيعوا حقا

قال المتنبي

وقد صغت الاسنة من هموم　　فما يخطرن الا في الفؤاد

قال محمد بن العباس

اما ترى الزعفران الغض تحسبه　　وقت الصباح اذا ابصرته عنما

مسك وورد وند طيب رائحة　　في حالة وكذاك المسك كان دما

قال المتنبي

وان تفق الانام وانت منهم　　فان المسك بعض دم الغزال

قال علي بن جهم

فداري ومالي والضياع وكلما　　تملكته من بعض ماهو باذله

قال المتنبي

اسير الى اقطاعه في ثيابه　　على طرفه من داره في حسامه

قال البحتري

ملوك يعدون الرماح مخاطرا　　اذا رعزعوها والدروع غلائلا

قال المتنبي

متعوداً لبس الدروع يخالها　　في البرد خزاً والهواجر لاذا

قال الخبزارزي

وشادن زرته فرحب بي　　ترحيب جان على مواليه

جنيت ورداً من خديه بفمي   فعشت لا عاش من يعاديه
تحي رفات العظام قبلته   لان ماء الحياة من فيه

قال المتنبي

فنقت ماء حياة من مقبلهـــا   لو صاب تربا لاحيا سالف الامم

قال ابو نواس

يبكي فيذري الدر من نرجس   ويلطم الورد بعناب

وقال ابن الرومي

كأن تلك الدموع قطر ندى   تقطر من نرجس على ورد

قال المتنبي

ترنو الي بعين الظبي مجهشة   وتمسح الطل فوق الورد بالعنم

قال معقل العجلي

كم كتمت الهوى حياء من النا   س واخفيت لوعتي واحتراقي
اعلنت عبرتي بســـرائر حبي   كيف تخفى سرائر العشاقي

قال المتنبي

وكاتم الحب يوم البين منهتك   وصاحب الدمع لاتخفى سرائره

قال العوني

تحار خواطر المداح فيه   ويعجز عن فضائله اللسان

وقال ايضا

تضل عقول الناس في نعت فضله   ويغرق في امواج افضاله الفكر

قال المتنبي

اذا تغلغل فكر المرء في طرف   من مجده غرقت فيه خواطره

(١)قال البحتري

ولون منك خلائقـــا محمودة   لو كن في الفلك لكن نجوما

(١) مابين القوسين من زيادات النسخة الخطية

قال المتنبي

أقلب منك طرفي في سماء ... وان طلعت كواكبها خصالا

قال العوني

واني ليسري بي اغر محجل ... سرى لايبالي فيه بالنحس والسعد

ويصحبني من نسل اعوج ضمر ... عتاق هداة لاتجور عن القصد

عليها كهول دارعون تلثموا ... حياء فهم بالبعد في صورة المرد

قال المتنبي

تبدل ايامي وعيشي ومنزلي ... نجائب لايفكرن في النحس والسعد

وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهن لاخوفا من الحر والبرد

وقال في موضع آخر ... كأنهن من طول ماالتثموا مرد

* * *

قال السيد الحميري

وان مسيري من ذراك ضرورة ... ولولا اضطراري مارضيت بذالكا

وما رحلتي الا تبشر عاجلا ... باني اقيم الدهر تحت ظلالكا

قال بعض المتقدمين

سنرجع وان عشنا ونقضي أذمة ... فكم من فراق كان داعية الوصل

وقال ابو تمام

أألفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع

قال المتنبي

لعل الله يجعله رحيلا ... يعين على الأقامة في ذراكا

قال ابن الرومي

يرى الصعب سهلا ان توجه نحوه ... بعزم صقيل لا تفل مضاربه

وعزة وجه يهزم النحس سعده ... وتطلع في افق السعود كواكبه

قال المتنبي

وانك مامر السعود بكوكب   وقابلته الا ووجهك سعده

قال الهيثم بن الاسود النخعي

اذا نال بالسيف الفتى سؤل نفسه   ترفع عن تدنيسها بسؤال

ومن لم يصن في حاجة ماء وجهه   عن الناس لم يلبس ثياب جلال

قال المتنبي

من اطاق التماس شيء غلابا   واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وقال موسى بن عمران

اصبحت من معشر ما في قلوبهم   من السيوف ومن خوض الردى فرق

يستسهلون صعاب الحادثات فهم   يلقونهـا بنفوس ما بها قلق

قال المتنبي

وانا لنلقى الحادثات بأنفس   كثير الرزايا عندهن قليل

لمن هون الدنيا على النفس ساعة   وللبيض في هام الكماة صليل

قال البحتري

كستك يد الأيام ثوب جلالة   فغابت عواديها وزالت خطوبها

اذا اعتل ذو فقر فانت شفاؤه   وان شكت الدنيا فانت طبيبها

قال المتنبي

وكيف تعلك الدنيا بشيء   وانت لعلة الدنيا طبيب

قال ابن الرومي

ان اقبلت فالبدر لاح وان مشت   فالمسك فاح وان رنت فالريم

قال المتنبي

بدت قمرا ومالت خوط بان   وفاحت عنبراً ودنت غزالا (١)

(١) انتهت الزيادة

قال مخلد بن بكار الموصلي

لا عدمناه من همام كريم العهـ د غمر الندى حميد الخصـــال
يحسن الكر في الكلام وفي الاقـ دام يوم الوغى وعند النوال

قال المتنبي

هم المحسنون الكر في حومة الوغى وأحسن منه كرهم في المكارم

قال أبو العتاهية

اجداده علموه في طفولتـــه قتل العدى وا كتساب الحمد بالجود
فاجتث دابر أعداء ذوي حسد وفي الســـماحة أفنى كل موجود

قال المتنبي

فتى علمتــــه نفسه وجدوده قراع الأعادي وابتذال الرغائب
الا أيها المــال الذي قد أباده تعز فهــذا فعله في الكتائب

قال بشار بن برد

لعمري لقد هذبت قولي ولم أدع مقالا لمغتاب ودعوى لمن لحا
ومن كان ذا فهم بليد وعقـــله به علة عاب الكلام المنقحا

قال المتنبي

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقـــيم

قال عبد الرحمن بن داره

فان انتم لم تقتلوا باخيـــكم فكونوا بقايا للخلوق وللكحل
وبيعوا الردينيات بالخمر واقعدوا على العار وابتاعوا المنازل بالنبل

وقال الناشيء الاكبر

ان كنت بالذل راضياً فارح في الجفن حد المهند الخذم
فالمرء بالجود والشجاعة والـ همة يحوي محاسن الكرم

قال المتنبي

اذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغـارة ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

قال بشار بن برد

والجد ليس بزائد في رزق من يسعى وليس بنائم عن نائم
ويموت راعي الضأن عند تمامه موت الطبيب الفيلسوف العالم

قال المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبـه

وقال الخبزارزي

أن نفسي تذوب في كل حين حسرات ومن جفوني تسيل

وقال الجهمي

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها روح تذوب وتقطر

وقال الواسطي

وقائلة أي الدماء التي شدت تجود بها عند الوداع المحاجر
فقلت لها نار الحشا صعدت بها فهن على خدي بيض بوادر
الم تر حسن الورد يبيض ماؤه فيقطر من نار تجن الضمائر

وقال الجعفي الكوفي

دمعي جرى من جفوني يوم بينهم فلست أعلم دمعي كان أم روحي

وقال بشار

حشاشة ودعتني يوم بينهم وشيعتهـم وخلتني واحزاني
وقد اشاروا بتسليم على حـذر من الرقيب بأطراف واجفاني

قال المتنبي

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا فلم ادر أي الظـاعنين اشيع
اشاروا بتسليم فجدنا بأنفس تسيل من الآماق والسم ادمع

وقال ابو العتاهية

قد صار يحسدني من كان يعذرني فيه ويعذرني رهطي واضـــدادي
والسقم لازمني حتى انســت به وفرّ مني أطبـــائي وعوادي

قال المتنبي

عواذل ذات الخـــال في حواسد وان ضجيع الخود مني لمـــاجد
الح علي السقم حتى ألفتـــه ومل طبيـــبي جانبي والعوائد

قال ابو الشيص

دعتني جفونك حتى عشقت ولم أك من قبلها أعشق
فدمعي يسيل وصبري يزول وجسمي في عبرتي يغرق

قال المتنبي

وما كنت من يدخل العشق قلبه ولـكن من يبصر جفونك يعشق

قال السيد الحميري

همـة تنطح الـثريا وعز نبوتي يقـقل الأجبـالا
وعطـاء اذا تأخر عنه سائلوه اقتضاهم استعجالا

قال المتنبي

شرف ينطح النجوم بروقيه وعز يقلقل الأجبـــالا

قال صاحب نصر بن سيار

طـال عتب الزمان ظلماً علينا وجفانا فمـــا له اعتاب
فأجرنا من عتبـــه وأذاه انت ترجى لمثله وتهاب
مالنا منصف سواك فنشكي أنت كالنصل والملوك قراب

قال المتنبي

لنا عند هـذا الدهر حق يلطه وقـد قل أعتاب وطال عتاب
ولا ملك إلا أنت والملك فضلة كـأنك سيف فيه وهو قراب

قال ابراهيم بن متمم بن نويرة

والخيل قد نسجت على صهواتها   ايدي الرياح براقعا وجلالا
ضاقت عليهن الفلاة فلا ترى   من كثرة القتلى لهن مجالا

قال المتنبي

خافيات الألوان قد نسج النقـــع عليها براقعـــا وجلالا
ولتمضن حيث لا يجد الرمـــح مداراً ولا الحصان مجالا

قال بشار بن برد

حظي من الخير منحوس وأعجب ما   أني أراه على الحرمان محسود
اغدو وأمسي وأمالي قطعت بهـــا   عمري نجيب واعمالي المواعيـــد
وأكرم النـــاس من تأتي مواهبه   من غير وعد وفيه الخير موجود

قال المتنبي

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه   اني بمـــا انا باك منه محسود
امسيت اروح مثر خازن ويدا   انا الغني وأموالي المواعيد
جود الرجال من الايدي وجودهم   من اللسان فلا كانوا ولا الجود

قال العميدي من قال ان هذا غير مأخوذ من كلام بشـــار فقد عدم الفطنة والتميز وجميع الرشـــاد والتوفيق وجهل مواقع الاخذ واحتاج ان يسقى شربة تشحذ فهمه وتجلو طبعه وتزيل العي عنه قال محمد بن عيينه المهلبي :

إني لاختار الحمام   على مصاحبة اللئام
وافر منهم ما حيد   ت ولا افر من الحسام
نفسي الكريمة لا تقـ   ـر على المذلة والملام
والموت اطيب في فمي   عند الهوان من المدام

قال المتنبي

وعندها لذ طعم الموت شاربه   ان المنيـــة عند الذل قنديل

قال ابو العتاهية

ازف أبكار أشعاري اليك فما عند سوى الشكر لا خيل ولا مال

فاقبل هدية من تصفو مودته ان لم تساعده فيما رامه الحال

قال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

قال علي ابن جهم

ولاخير في عيش امرىء وهو خامل وذكر الفتى بالخير عمر مجدد

فنبه عن النوم الحسام ولا تنم لتبقى فما في الارض شيء مخلد

قال المتنبي

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش إشغال

قال سليمان الخزاعي

فطن بالذي اريد ففولي ليس يغني ولاسكوتي يضر

يسق البذل وعده فنداه ليس يفني وسحبه ما تغر

وقال بعض المتقدمين

اروح بلا شغل واغدوا بمثله وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وقال العروضي

واذا طلبت الى كريم حاجة فلقاؤه يغنيك والتسليم

قال المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

ومما ينتظم في هذا السلك قول بعض خدام واحد الدنيا ونير فلك العليا . من زينت بمدائحه غرر الآداب. المولى المخدوم بهذا الكتاب من قصيدة يمدحه بها ويهنئه بعيد الأضحى من سنة خمسين والف

يا ابن من ماله اذا كان قد عد د ألو الفضل في الفضائل ثاني

وهما النيران في كل مجد دونـه في علوه النيران

انت اذ كل الانام طراً وقد جئ ت وحالي تغني عن ترجمان

واذا ما أعرتني وحي لحظ كنت ادرى مني بما في جناني

قال العميدي : قال سليمان مهاجر البجلي الكوفي

دقت مضارب سيفه فكأنه صب واعناق الرجال حبائب

واسنة الأرماح يحكي ضوءها شمساً واحشاء الرجال مغارب

قال المتنبي

رقت مضـــاربه فهن كأنما يبدين من عشق الرقاب (نحولا)

والمتنبي وان أخذ بعض معاني الابيات التي أوردها العميدي فقد زاد من الفاظه ما يحلو سماعه . وتعذب انواعـه . ويلطف موقعه . ويخف على القلوب موضعه . ويصل الى النفوس بلا تكلف . ويمتزج بالارواح بلا تعسف ، وكساها من عنده ملاحة فاستوفى شروط الكمال كلها وأذهب كلها . ونظم محاسنها المتفرقة بحسن صنعته وازال الكزازة عنها بحذقه وبراعته ٠ فصار اولى بهـا من مبدعها ، واحق بأن يشهد له الفضلاء بانفراده بهـــا ٠ لجلالة موقعها . قال علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القادح كان محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً ويقول الشعر وعمل كتاباً في سرقات المتنبي وحاف عليه كثيراً وسألني يوما ان اخرج معه واستصحب مغنيا وامره ان لا يغني الا بشعره فغنى

لو كان كل عليـــل يزاد مثلك حسنـــا

لكان كل صحيح يود لو كان مضنى

يا أكمل الناس حسنا صل اكمل الناس حزنا

غنيت عني ومالي وجه به عنك اغنى

فقلت له تثقل عليك المؤاخذة قال لا فقلت ان ابياتك مسروقة ٠ الاول من قول بعضهم

فلو كان كل مريض يزيد حسنا كما تزداد انت على السقـــام
لما عيد المريض اذاً وعدت شكايته من النعم الجسام

والثاني من قول رؤبة

سلم ما انساك ما حييت لو اشرب السلوان ما سليت
مالي غنى عنك ولو غنيت

فقال والله ما سمعت بهذا فقلت اذا كان الامر على هذا فاعذر المتنبي على مثلهولا تبادر الى الحط عليه ولا المؤاخذة له والمعاني يستدعي بعضها بعضا

قال يا قوت كان المتنبي يوما جالسا بواسط فدخل عليه بعض الناس فقال اريد ان تجيز لنا هذا البيت

زارنا في الظلام يطلب سترا فافتضحنا بنوره في الظلام

فرفع رأسه وكان ابنه المحسد واقفا بين يديه وقال له يا محسد قد جاءك بالشمال فأته باليمين فقال ارتجالا

فالتجأنا الى حنادس شعر سترتنا عن أعين اللوام

ومعنى قول المتنبي لولده جاءك بالشمال فأته باليمين اي ان اليسرى لا يتم بها عمل وباليمين تتم الاعمال ومراده ان المعنى يحتمل الزيادة فاوردها وقد لطف في الاشارة.

ترجمة المتنبي في يتيمة الدهر

وعقد الثعالبي لذكره بابا مستقلا في يتيمته فقال الباب الخامس في ذكر ابي الطيب المتنبي وما له وما عليه هو وان كان كوفي المولد شامي المنشىء وبها تخرج ومنها خرج نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب المشهور اليه به اذ هو الذي جذب اضبعه ورفع قدره ونفق سعر شعره والقى عليه سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر وسافر كلامه في البدو والحضر وكادت الليالي تنشده والايام تحفظه كما قال

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغردا

وكما قال

ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندي لك الشرد السائرا ت لا يختصصن من الارض دارا
قواف اذا سرن عن مقولي وثبن الجبال وخضن البحارا

وهذا من احسن ما قيل في وصف الشعر السائر وابلغ منه قول علي بن الجهم

ولكن احسان الخليفة جعفر دعاني الى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس اعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الانس. ولا اقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل. ولا (حان) القوالين والمغنين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين فقد الفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه. وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه. وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وعونه. وتفرقوا فرقا في مدحه وذمه. والقدح فيه والنضح عنه والتعصب له وعليه وذلك أدل دليل على وفور فضله وتقدم قدمه وتفرده عن أهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني. فالكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

ذكر شرح ديوان ابي الطيب المتنبي

وقد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة. فمنهم من تكلم علي ديوانه أجمع. ومنهم من تكلم على بعضه. فمن شروحه كتاب ابن جني وهو أول من شرحه وكتاب اللامع الغريزي لابي العلاء المعري وكتاب معجز أحمد لابي العلاء

أيضا . وكتاب أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي . وكتاب الموضح لابي زكريا التبريزي . وكتاب عبد القاهر الجرجاني . وكتاب أبي منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني . وكتاب أبي القاسم ابراهيم بن محمد الأقليلي وكتاب ابن الحاج يوسف بن سليم الأعلم . وكتاب عبد الرحمن بن محمد الانباري وكتاب في سرقات المتنبي للحسن بن محمد بن وكيع وسماه بالمنصف . وكتاب أبي البقأ عبد الله العكبري وكتاب أبي اليمن يزيد بن الحسين الكندي . وكتاب عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا . وكتاب محمد بن علي ابراهيم الهراسي الكافي . وكتاب أبي الحسن محمد بن عبد الله الدلفي عشر مجلدات . وكتاب كمال الدين بن القسم الواسطي . وكتاب الوساطة للقاضي ابن عبد العزيز الجرجاني . وكتاب أبو بكر محمد بن عباس الخوارزمي . وكتاب عبد الرحمن بن دوست النيسابوري . وكتاب أبي الفضل أحمد بن محمد العروضي . وكتاب النجني على ابن جني لابن فرجة وكتاب الفتح على أبي الفتح لابن فرجة أيضا وكتاب معاني أبياته لابن جنى . وكتاب التنبيه لأبي الحسن علي ابن عيسى الربعي وقد رد فيه على ابن جني أيضا وكتاب أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمان الاصفهاني . وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر . وكتاب أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني وكتاب علي بن جعفر بن القطاع . وكتاب الصاحب أبي القسم اسماعيل بن عباد . وكتاب ابي الحسن عبد الرحمن الصقلي . وكتاب قصائد الصبا للاعلم وكتاب نزهة الاديب في سرقات المتنبي من حبيب لابن حسنون المصرى . وكتاب الانتصار لابي الحسن احمد بن احمد المغربي . وكتاب التنبيه عن رزائل المتنبي لاحمد المغربي ايضا . وكتاب بقية الانتصار والمكثر من الاختصار لاحمد المغربي ايضا وكتاب الرسالة الحاتمية لابي الحسن محمد بن المظفر الحاتمي . وكتاب جبهة الادب للحاتمي ايضا . وكتاب المآخذ الكنديه من المعاني الطائيه . وكتاب الاستدراك على ابن الدهان للوزير ضياء الدين ابن الاثير الجزري . وكتاب الابانه للصاحب العميدي . سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها

ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الاسلام شرح هكذا مثل هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ولا تداول على السنة الادباء في نظم ونثر اكثر من شعر المتنبي

ما إخذه الصاحب من المتنبي

هذا الصاحب مع بعضه له وتعصبه عليه اكثر الناس استعمالا لكلماته في محاضراته ومكاتباته فمن ذلك فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة «واما قلعة كذا فقد كانت بقية الدهر المديد والامد البعيد تعطس بانف شامخ من المنعة وتنبو بعطف جامح على الخطبة وتري ان الايام قد صالحتها على الاغضاء من القوارع وعاهدتها على التسليم من الحوادث فلما اتاح الله للدنيا ابن بجدتها وابا سهلها ونجدتها جهلوا بون ما بين البحر والانهار وظنوا الاقدار تأتيهم على مقدار فما لبثوا ان رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم نهزة الحوادث وفرصة البوائق ومجر العوالي ومجرى السوابق وانما ألم بالفاظ بيتين لأبي الطيب احدهما

حتي اتى الدنيا ابن بجدتها فشكى اليه السهل والجبل

والثاني قوله الآخر

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن ذلك فصل آخر له ايضا «لان كان الفتح جليل الخطر حميد الاثر فأن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له يعلم معها ان لله اسراراً في علاه لا يزال يبديها ويصل اوائلها بتواليها» وهو من قول ابي الطيب

ولله سر في علاك وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

ومن ذلك قوله «ولو كان ما احسنه شظية من قلم كاتب لما غير خطه او قذى في عين نائم لما انتبه» وهو من قول ابي الطيب

ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقول نصير

ضنيت حــتى صرت لوزج بي   في   ناظر النــائم   لم ينتبه

ومنه اخذ ابن العميد قوله

فلو أن ما ابقيت من جسدي قذاً   في العين لم يمنع من الاغفآء

ومن ذلك في التعزية، اذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتفيه والأسوة في الدين وما يجب فيه لزم ان يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ويؤخذ في ثارات الاسى بمذهبه فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزئته الا اذا رددنا له بعض ما اخذناه عنه واعدنا اليه طائفة مما استفدناه منه وانما هو في حل من قول ابي الطيب

انت يافوق ان تعزي عن الاحبــاب   فوق الذي يعزيك عقلا

وبالفاظك أهتدي فاذا عز   اك قال لذي له قلت قبلا

ومن ذلك وقد اثنى عليه لسان الدهر على راحة المطر وهو من قول ابي الطيب

وذكي رائحـــة الرياض كلامها   تبغي الثنآء على الحيــا فتفوح

والاصل فيه قول ابن الرومي

شكرت نعمة الولي على الوسـ   ـمي ثم العهاد بعـــد العهاد

فهي تثني على السماء ثنــآء   طيب النشر شائعاً في البلاد

من نسيم كأن مسراه في الارو   اح مسرى الأرواح في الاجساد

ومما اورده من ابيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب اجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر اليه عن شاطي بحر في وصف مراكبه وعجائبه ،وقد علمت ان سيدنا كتب وما اخطر بفكره وسعة صدره ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرض وثمداً لا يكثر عن الترشف وكم من جبال تشهد انك الجبل وبحر شاهد انك البحر ،وله من رسالة في التهنئة ببنت اولها ،اهلا بعقيلة النسآء وكريمة الاباء وام الابناء وجالبة الأصهار والاولاد الاطهار ، ثم يقول فيها

ولو كان النساء كمثل هذي   لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيت لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهــلال

وله من كتاب تعزيه « وقلما قد اخذ الزمان من اخذ وترك من ترك فهو لاشك يعفو عن القمر وقد اسلم الشمس للطفل ولا يصل الصروف بالصروف ولايجمع الكسوف الى الخسوف فاتى حكم التكوين وقد غبنك اذ قاسمك فأبى الا ان يعود فيلحق الباقي بالفاني والغابر بالماضي

وعاد في طلب المتروك تاركه أنا لنغفل والايام في الطلب
ما كان اقصر وقتا كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب

اقول هذا كعادة الصدور في النفث وشكوى الحزن والبث والا فما يعجب السفر ممن تقدم بعض وكل بين الراحلة والرحل لا يترك الموت ساعياً على وجه الارض حتى ينقله الى بطن التراب

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الاجسام من تربه»

وهذا غيض من فيض مما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي وتمثل به من شعره وكان مثله معه كما قال الشاعر

شتمت من تيمني مغالطا لاصرف العاذل عن لجاجته
فقال لما وقع البزار في الثوب علمنا انه من حاجته

وكما قال الاخر

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم ار كالدنيا تذم وتحلب

وكما قال الاخر

نبئت انى اذا ما غبت تشتمني فل مابدا لك فالمحبوب مسبوب

وليس الصاحب بأوحد في الاقتباس من كلام المتنبي وهذا ابو اسحاق الصابي له من ذلك غير فصل فمن ذلك ما كتب في تقريظ شاب مقتبل الشبيبة مكتهل الفضيله «ولقد اتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة وثلمة تسدها بمزايا

الحنكة » وهذا من قول ابي الطيب

لا تجد الخمر في مكارمه   اذا انتشى خلة تلافاها

وأخذه من قول البحتري

تكرمت من قبل الكؤس عليهم   فما استطعن ان يحدثن فيك تكرما

ومن ذلك ما كتب الى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة « تجل عن التهنئة بالولاية لان ماتكتسبه الولاة بها من الصيت والذكر ويدعونه فيها من الجمال والفخر . سابق عنده وحاصل قبلها له واذا امد احدهم اليها يداً تجذبها الى أسفل . جذبتها يده الى المحل العالي . فكأن ابا الطيب عناه او حكاه بقوله

فوق السماء وفوق ما طلبوا   فاذا ارادوا غاية نزلوا

ومن ذلك ما كتب « وعاد مولانا الى مستقر عزه . عود الحلي الى العاطل . والغيث الى الروض الماحل وهذا من قول ابي الطيب

وعدت الى حلب ظافراً   كعود الحلي الى العاطل

واذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من ابي الطيب في رسائلها . فما الظن في غيرها . وما احسن قول الشاعر

الا ان حل الشعر زينة كاتب   ولكن منهم من يحل ويعقد

وممن يحذو حذوهما الاستاذ ابو العباس احمد بن ابراهيم الضبي . وما اظرف ماقاله في كتاب الى ابي سعيد الشيبي « وقد اتاني كتاب نسخ الدولتين . فكان في الحسن . روضة حزن بل جنة عدن . وفي شرح النفس وبسط الانس . برد الاكباد والقلوب . وقميص يوسف في اجفان يعقوب » وهو من قول ابي الطيب

كان كل سؤال في مسامعه   قميص يوسف في اجفان يعقوب

فصل للخوارزمي اخذ بعضه من المتنبي

ومن ذلك فصل لابي بكر الخوارزمي «وكيف امدح الامير بخلق ضن به الهواء

وامتلأت به الارض والسماء . وابصره الاعمى بلا عين . وسمعه الاصم بلا اذان وهو من قول ابي الطيب

تنشدا اثوابنا مدائحه	بالسن ما لهن افواه
اذا مررنا على الاصم بها	اغنته عن مسمعيه عيناه

ولابي بكر الخوارزمي من رسالة . ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم وافسد الشعر حتى احمد الصمم ، وهو من قول ابي الطيب .

ولا تبالي بشعر بعد شاعره	قد افسد القول حتى احمد الصمم

انموذج لسرقات الشعراء منه

قال ابو الطيب :

وقد أخـــذ التمام البدر فيهم	واعطاني من السقم المحـــاقا

اخذه ابو الفرج الببغا فلطفه وقال

اوليس من احد العجائب أنني	فارقته وحييت بعد فراقـــه
يامن يحاكي البدر عند تمامه	ارحم فتى يحكيه عند محـــاقه

وقال أبو الطيب

قد علم البين منا البين اجفانا	تدمي وألف في ذا القلب احزانا

اخذه المهلبي فقال

تصرمت الاجفان منذ صرمتني	فمـــا تلتقي الا على عبرة تجري

وقال أبو الطيب

وكنت اذا يممت ارضا بعيدة	سريت فكنت السر والليل كاتمه

أخذه الصاحب فقال

تجشمتها والليل وحف جناحه	كأني سر والظـــلام ضمير

وقال أبو الطيب

لبسن الوشي لا متجمــلات ولكن كي يصن به الجمالا
اغار عليه الصاحب فقال

لبسن بُرود الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود
وقال أبو الطيب

ســقاك وحيانا بك الله انما على العيس نور والخدود كمائمه
أخذه السري فقال

حيـا به الله عاشقيه فقد اصبح ريحانة لمن عشقا
وقال أبو الطيب

يخـدن بنا في جوزه وكأننا على كرة او ارضه معنا سفر
اخذه السري فقال

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
قال أبو الطيب

هام الفؤاد باعرابية سكنت بيتا من القلب لم تمدد له طنبا
أخذه السري فقال

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمـد ولا اطناب
قال أبو الطيب

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن الى من عنده الديم
اخذه السري فقال

وانا الفـداء لمن مخيلة برقه عنـدي وعند سواي من انوائه
وقال أبو الطيب

فأن تفق الأنام وأنت منهم فأن المسك بعض دم الغزال
وقال ايضا

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

اخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين فقال

فديتك ما بـــدالي قصد حر　　سواك من الورى الا بدالي

وأنك منهم وكذاك ايضـــاً　　من المـــاء الفرائد واللآلي

وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ　　ـحجـــارة والزمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي وكرره في تفضيل البعض على الكل فاحسن غاية الاحسان اذ قال

فان يك سيار بن مكرم انقضى　　فانك مآء الورد ان ذهب الورد

وقال ايضا

فان تك تغلب الغلباء عنصرها　　فان في الخمر معنى ليس في العنب

ألم به أبو الفتح البستي فقال

ابوك حوى العليـا وانت مبرز　　عليه اذا نازعته قصب المجـد

وفي الخمر معني ليس في الكرم مثله　　وفي النار نور ليس يوجد في الزند

وخير من القول المقدم فاعترف　　نتيجته والنحل يكرم للشـــهد

وقال ايضا

ابوك كريم غير انك سابق　　مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم

فـــلا يعجبن الناس مما اقوله　　واقضي به فالغيث اندى من الغيم

وقال ابو الطيب

وصرت اشك فيمن أصطفيه　　لعلمي انـــه بعض الانام

اخذه ابو بكر الخوارزمى فقال

قد ظلماك بحسن الـ　　ـظن يابعض الأنام

وقال ابو الطيب

اتى الزمان بنوه في شبيبته　　فســـرهم واتيناه على الهرم

اخذه أبو الفتح وحسنه فقال

لاغرو ان لم نجد في الدهر مخترقا فقد اتيناه بعد الشيب والخرق

وقال ابو الطيب

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وانت الخلائق

امتثله السلامي فقال

وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقال ابو الطيب

لم تزل تسمع المديح ولكـــ ن صهيل الجياد غير النهاق

اخذه الزعفراني ولطفه فقال

وتغنيك في النـــداء طيور انا وحدي مابينهن الهزار

(ردد منه سرقاته التي ذكرت في اليتيمة سوى ما اوردناه) اولا

قال مخلد الموصلي

يامنزلا ضن بالسلام سقيت يا منـــه الغمام

لم يترك الدهر منك الا ماترك الشوق من عظامي

اخذه ابو الطيب فجوده حيث قال

مازال كل هزيم الودق ينحلها الشوق ينحلني حتى حكت جسدي

قال عمر بن كلثوم

فأبوا بالنهاب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفديا

اخذه ابو تمام فاحسن اذ قال

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

اخذه ابو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش اذ هو من الفاظ العامة والسوقة حيث قال

ونهب نفوس اهل النهب اولى باهل المجـــد من نهب القماش

وقال بشار بن برد

كأن مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

اخذه ابو الطيب وذكر الرماح مكان الاسياف فقال

وكأنما كسى النهار بها دجى ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقال مسلم ابن الوليد

ارادوا ليخفوا قبره من عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ألم به ابو الطيب فقال

وما ريح الرياض لها ولكن كساها دفنهم في الترب طيبا

قال الفرزدق

وكنت فيهم كمطمور بيلدته يسران جمع الاوطان والمطرا

أخذه المتنبي فقال

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جآءه في داره رائد الويل

وفي قوله في هذه القصيدة

وخيل اذا مرت بوحش وروضة ابت رعيها الا ومرجلنا يغلي

رايحة من قول امرئ القيس

اذا ماركبنا قال ولدان أملنا تعالوا الى ان ياتنا الصيد نحطب

قال ابو نواس

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بجود كفيك تأسوا كلما جرحا

ويقال إنه امدح بيت للمحدثين اخذه ابو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال

تتبع اثار الرزايا بجوده تتبع اثار الاسنة بالفتل

قال ابو نواس في وصف الخمر وهو من قلائده

اذا ما اتت دون اللهات من الفتى دعا همه من صدره برحيل

اخذه ابو الطيب ونقله الى معنى آخر فقال

وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل

قال ابن أبي عينية ويروى للخليل

زر واديالقصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت او بادي
تلقى به السفن والغلمان خاضرة والضب والنون والملاح والحادي

وهذا احسن ماقيل في وصف مكان يجمع بين اوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية الم به ابو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية جبلية تجمع الأضداد

سقياً لدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والاغيال
مجاور الخنزير للريبال دانى الخنانيص من الاشبال
مشترف الدب على الغزال مجتمع الاضداد والاشكال

قال بعض العرب وهو من الامثال السائرة

اذا بل من داء به ظن انه نجا وبه الداء الذي هو قاتله

اخذه ابو الطيب فقال واحسن

وان اسلم فما ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

قال بعض الرجاز

هل يغلبني واحد اقاتله ديم على لباته سلاسله . سلاحه يوم الوغى مكاحله

اخذه ابو الطيب فاكمل الوصف واظهر الغرض حيث قال

من طاعني كف الرجال جآذر ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

قال ابو تمام

غربت خلائقه واغرب شاعر فيه فابدع مغرب في مغرب

اخذه ابو الطيب فقال

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

قال ابو تمام

يمدون بالبيض القواطع ايدنا فهن سواء والسيوف القواطع

اخذه ابو الطيب فاوقع التشبيه على الجملة حيث قال

همام اذا مافارق الغمد سيفه　　وعاينته لم تدر ايهما النصل

قال ابن الرومي

لا قدست نعمى تسربلتها　　لحكم حجة فيها لزنديق

اخذه ابو الطيب فقال

وانه حجة يؤذي القلوب بها　　من دينه الدهر والتعطيل والقدم

وقال ابن الرومي

واحسن من عقد العقيلة جيدها　　واحسن من سربالها المتجرد

اخذه ابو الطيب فقال

ورب قبح وحلى ثقال　　احسن منها الحسن في المعطال

قال عبدالله بن عبدالله بن طاهر

وجربت حتى ما ارى الدهر مغربا　　علي بشئ لم يكن في تجاربي

اخذه ابو الطيب فقال

قد بلوت الخطوب مراً وحلواً　　وسلكت الأنام حزنا وسهلا

وقتلت الزمان علما فما يغــرب قولا ولا يجدد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال

عرفت الليالي قبل ماصنعت بنا　　فلما دهتني لم تزدني بها علما

وكتب ابن المعتز لعبيدالله بن سليمان يعزيه عن ابنه ابي محمد ويسليه ببقاء الحسين القاسم ابياتاً منها

ولقد عتبت الدهر اذ شاطرته　　بابى الحسين وقد ربحت عليه

وابو محمد الجليل مصابه　　لكن يمنى المرء خير يديه

فاخذ ابو الطيب هذا المعنى . وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن اخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال

قاسمتك المنون شخصين جورا جعل القسم نفسه فيك عدلا
فاذاقست ما اخذن بمـــاغا درد سرى عن الفؤاد وسلا
وتيقنت ان حظك اوفى وتبينت ان جدك املا

وكان ابو الطيب كثير الاخـذ من ابن المعتز على تركه الاقرار بالنظر في شعر المحدثين فما اخذه منه قوله

وتكسب الشمس منك النور طالعة كما تكسب منهـــا نورها القمرا

وهو معنى قول ابن المعتز

البـدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

واخذ قوله وهو من قلائده . قيل ولعله امير شعره

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري

من مصراع لابن المعتز . ذكر ابن جني قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال قال ابن حترابة وزير كافورا علمت اني احضرت كتبي كلها وجماعة من اهـــل الادب يطلبون لي من اين اخذت هذا المعنى فلم يظفروا بذلك وكان اكثر من رأيت كتبا قال ابن جنى ثم اني عثرت بالموضع الذي اخذه منه اذ وجدت لابن المعتز مصراع بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تجنيسه وهو قوله : فالشمس نمامه . والليل قواد . ولن يخلو المتنبي من احد ثلاث اما ان يكون عثر بالموضع الذي عثر ابن المعتز به فأربى عليه في جودة الأخذ واما ان يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ولله دره وناهيك بشرف لفظه . وبراعة نسجه وما احسن ماجمع اربع مطابقات في بيت واحد وما اراه سيق الى مثلها وما زال الناس يتعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله

وامة كان قبح الجور يسخطها دهراً فاصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء ابو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة قال ابن الرومي

ارى فضل مال المرء داء لعرضه كما ان فضل الزاد داء لجسمه

فليس لداء العرض شيء كبــذله　　وليس لداء الجسم شيء كحسمه

الم به ابو الطيب فقال

يتـداوى من كثرة المال با لا　　قلال جوداً كأن مالا سقام

ذكر بعض ما تكرر في شعره من معانيه

قال

وانت المرء تمرضــه الحشايا　　لهمته وتشفيــه الحروب

وقال

وما في طبه انى جواد　　اضر بجسمه طول الجمام

وقال

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى　　من غير جرم واصلي صــلة الضنا

وقال

فياليت مابيني وبين احبتي　　من البعد مابيني وبين المصائب

وقال

اذا بدا حجبت عينيك هيبته　　وليس يحجبه ستر اذا احتجبا

وقال

اصبحت تأمر بالحجاب لخلوة　　هيهات لست على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله　　لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فاذا احتجبت فانت غير محجب　　واذا بطنت فانت عين الظاهر

وقال

امير امير عليه النـــدا　　جواد بخيل بان لايجودا

وقال

ومال وهبت بلا موعــد　　وقرن سبقت اليه الوعيدا

وقال

لقد حال بالسيف دون الوعيد　　وحالت عطاياه دون الوعيد

وقال

وما رغبتي في عسجد استفيده　　ولكنها في مفخر استجده

وقال

فسرت اليك في طلب المعالي　　وسار سواي في طلب المعاش

وقال

قد علم البين منا البين اجفانا　　تدمي وألف في ذا القلب احزانا

وقال

كأن الجفون على مقلتي　　ثياب شققن على ثاكل

وقال

كأنك بالفقر تبغى الغنا　　وبالموت في الحرب تبغي الخلود

وقال

كأنك في الاعطاء للمال مبغض　　وفي كل حرب للمنية عاشق

وقال

الذي زلت عنه شرقا وغربا　　ونداه مقابلي مايزول

وقال

ومن فر من احسانه حسداً له　　تلقاه من حيث ماسار نائل

وقال

فكأنما نتجت قياماً تحتهم　　وكأنما ولدوا على صهواتها

وقال

وطعن غطاريف كأنا كفهم　　عرفن الردينيات قبل المعاصم

وقال

جرحت مجرحا لم يبق فيه　　مكان للسيوف وللسهام

وقال

رماني الدهر بالارزاء حتى　　فوادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابني سهـــام　　تـكسرت النصال على النصال

وقال

وشكيتي فقد السقام لانه　　قدكان لما كـان لي اعضاء

وقال

لم يترك الحب من قلبي ومن كبدي　　شيئا تتيمه عـــين ولا جيـد

وقال

تصد الرياح الهوج عنها مخافة　　وتفزع فيها الطيران تلقط الحبا

وقال

اذا اتتها الرياح النكب من بلد　　فما تهب بها الا بترتيب

وقال

اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة　　تدور فوق البيض منها الدراهم

وقال

والقى الشرق منها في ثيابي　　دنانيرا تفر من البنان

وقال

ولقد بـكيت على الشباب ولمتي　　مسودة ولماء وجهي رونق
حذرا عليـــه قبل يوم فراقه　　حتى لـكدت بماءجفني اشرق

وقال

هدية ما رايت مهديها　　الا رايت العباد رجل

وقال شعرا

ام الخلق في شخص حي اعيدا

وقال شعراً

ومنزلك الدنيا وانت الخلائق

ثم كرره وزاد فيه فقال

ولقيت كل الفاضلين كانما ... رد الاله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... واتى فذلك اذ اتيت مؤخرا

والاصل فيه قول ابي نواس

وليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

وقوله وقد كرره

متى تحظى اليه الرجل سالمة ... تجمع الخلق في تمثال انسان

وقال ابو الطيب

هو الشجاع يعد البخل من جبن ... وهو الجواد يعد الجبن من بخل

وقال

فقلت ان الفتى شجاعته ... تريه في الشح صورة الفرق

والأصل فيه قول ابي تمام

ايقنت ان من السماح شجاعة ... تدمي وان من الشجاعة جودا

وقال ابو الطيب

ومن اعتاض منك اذا افترقنا ... وكل الناس زور ماخلاك

وقال في مثله فتبرز وبالغ

انما الناس حيث انت وما النـ ... ـاس بناس في موضع منك خالي

وقال

اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض ... ومن فوقها والبأس والكرم المحض

وقال .

وما اخصك في برء بتهنئة ... اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... باحسن مايثنى عليـــه يعاب

وقال

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني ... أني بقـــلة ما أثنيت اهجوكا

وقال

وكان من عدد أحسانه كأنما اسرف في سبه

والاصل فيه قول البحتري

جل عن مذهب المديح فقد كا د يكون المدح فيه هجاء

وقال

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمور

وقال

أفيكم فتى حي فيخبرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقال

عليم باسرار الديانات واللغى له خطرات تفضح الناس والكتبا

وقال

كأنك ناظر في كل قلب فما يخفى عليك محل غاش

وقال

ووكل الظن بالاسرار فانكشفت له سرائر اهل السهل والجبل

وقال

فاغفر فدى لك واحبني من بعدها لتخصني بعطيــة منها انا

وقال

له اياد الى سالفة أعد منها ولا اعددها

وقال وهو من قلائده

خير اعضائنا الرؤس ولكن فضلتها بقصدك الاقدام

وقال

وان القيام التي حوله لتحسد اقدامها الا رؤس

وقال

وما الحسن في وجه الفتى شرف له ولكنه في فعله والخلائق

وقال في وصف الخيل

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقريب منه قوله

يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام

وقال

عش عزيزاً أو مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

وقال

اذا ما لم تسر جيشاً اليهم اسرت الى قلوبهم الهلوعا

وقال

بعثوا الرعب في قلوب الاعادي فكأن القتال قبل التلاقي

وقال

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة مالا يصنع البهم

وقال

ابصروا الطعن في القلوب دراكا قبل ان يبصروا الرماح خيالا

وقال

صيام بابواب القباب جيادهم واشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال

نغير عنه على الغارات هيبته وما له باقاصي البر اهمال

والأصل فيه قول النبي ﷺ (نصرت بالرعب) ثم اكثر النـــاس منه

ومن اوجز ماقالوا قول علي بن جبلة العكوك

غدا بجتمع العزم له جند من الرعب

وقال

واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس جده

وقال

لحى الله ذي الدنيا مناخا لراكب فكل بعيــد الهم فيها معذب

وقال

ومعال اذا ادعاها سواهم لزمته جنايــة السراق

وقال

مسكية النفحات الا انها وحشية بسواهم لا تعبق

(ذكر ما ينعى على ابى الطيب من معائب شعره ومقابحه)

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

ثم نقفي على آثارها بذكر محاسنه وسياق بدائعه وفرائده

فحسن دراري الكواكب ان ترى طوالع في داج من الليل غيهب

فمنها قبح المطالع وحقها الحسن والعذوبة لفظاً والبراعة والجودة معنى. لانها اول ما يقرع الآذان. ويصافح الذهن. فاذا كانت حاله على الضد. مجه السمع وزجه القلب . ونبت عنه النفس. وجرى امره على ما تقول العامة اول الدن دردي ولابى الطيب ابتدأت ليست لعمري من احرار الكلام وغرره بل هي كما نعاها عليــه العائبون مستشنعة مشتبشعة لا يرفع السمع لها حجابه ولا يفتح القلب لها بابه كقوله

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

فانه لم يرض بحذف علامة النداء من هذي وهو غير جائز عنـد النحويين حتى ذكر الرسيس والنسيس فاخذ بطرفى الثقل والبرد كقوله

(أوه بديل من قولتي واها) وهو برقية العقرب اشبه منــه بافتتاح كلام في

مخاطبة ملك وكقوله وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد والترتيب المتعسف لغير معنى بديع لايفي شرفه وغرابته بالتعب في اسخراجه ولا تقوم فائدة الانتفاع به بازاء التأذي باستماعه

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد ان يلقاه بها اول لقية

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا مافيه من الطيرة التي تنفر منها السوقة فضلا عن الملوك حكى الصاحب قال ذكر الاستاذ الرئيس يوما الشعر فقال ان اول مايحتاج فيه اليه حسن المطلع فان ابن ابي الثياب انشدني في يوم نوروز قصيدة ابتداؤها

(اقبرونا طلت ثراك يد الطل) فتطيرت من افتتاحه بالقبر وتنغصت باليوم والشعر فقلت له كذلك كانت حال ابي مقاتل الضرير لما انشد مح ومه الداعي الى الحق العلوي الثائر بطبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد من اولاد زيد بن علي واستولى على طبرستان ومايليها في خلافة المستعين ويسمى بالداعي الاكبر وقد ولي الامر بعده اخوه محمد بن زيد الى ان قتل بجرجان (موعداحبابك بالفرقة غدا) اغضبه التفاؤل بهذا الافتتاح وقال له بل موعد احبابك يا اعمى ولك المثل السوء ودخل ايضاً على الداعي يوم المهرجان وانشده

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فانه نفر من قوله لا تقل بشري اشد نفار وتطير وقال أعمى ويبتديء بهذا في يوم مهرجان وامر بضربه خمسين سوطا وقال اصلاح ادبه ابلغ من ثوابه ولما انشد ابو نواس الفضل بن يحي البرمكي قصيدته التي مدحه بها واولها

اربع البلى ان الخشوع لبادي عليك واني لم اخنك ودادي

تطير الفضل من هذا الابتداء فلما انتهى الى قوله

سلام على الدنيا اذا مافقدتم   بني برمك من رائحين وغاد

استحكم تطيره ولم يمض إسبوع حتى نزلت بهم النـازلة ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيـه وجمع اهله واصحابه وامرهم ان يخرجوا في زينتهم فما رأى الناس احسن من ذلك اليوم فاستأذنه اسحاق بن ابراهيم الموصلي في الانشاد فاذن له فانشده شعراً حسناً الا انه ا-تفتحه بذكر الديار وعفائها وقال

يادار غيرك البلى ومحـاك   ياليت شعري ما الذي ابكاك

فنطير المعتصم من ذلك وتغامز الناس على اسحاق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمتـه للملوك ثم اقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج الى (سرمن رأي) وخرب القصر وينبغي للشاعر اذا اراد ذكر دار في مديحه فليذكر كما قال اشجع السلمي حيث قال

قصر عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الايام

وما اجدر هـذا البيت بفتتح شعر اسحاق بن ابراهيم الذي انشده للمعتصم وقصيدة ابي نواس التي اولها

يادار مافعلت بك الايام   لم يبق فيك لذاذة تستام

من اشرف شعره وأعلاه منزلة وهي مستنكرة الابتداء لانها في مدح الخليـــفة الأمين هلا قال كما قال العماني

على منبر العلياء جدك يخطب   وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وافتتاح المديح في مثل ذكر الديار ودثورها يتطير منه لاسيما في مشافهـــة الخلفاء والملوك والوزراء وللاحتراز عن التطير تأبى اهل الطرف اهداء السفرجل الى الاحباب لاشتمال اسمه على سفرجل فكيف لايلوموا مهيار الديلمي على قوله

وانك مذخور لاحياء دولة   اذا هي ماتت كان في يدك النشر

وهل خلع هارون على كاتبه اذ سأله عن شئ فقال : لاوابد الله امير المؤمنين الا لانه لم يسمع ماعليه الأغبياء فيما بينهم من ترك الواو في مثل هذا الجواب قال

الصاحب بن عباد هـذه الواو احسن من واوات الاصداغ في خدود المرد الملاح وسأل هارون المأمون عن جمع المسواك فقال ضد محاسنك يا امير المؤمنين فأعجب به غاية الاعجاب وسأل بعض الملوك كاتبـــه شجرة تراءت له فقال شجرة الوفاق تفاديا عن شجرة الخلاف ولما دخل ذو الرمة على عبدالملك وانشده قصيدته التي اولها (ما بال عينيك منها الماء ينسكب)

وكانت عين عبدالملك تدمع فتوهم انه خاطبه فقال وما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة وصفته وأمر باخراجه وكذلك قول البحتري وقد انشد يوسف بن محمد قصيدته التي اولها

لك الويل من ليل تقاصر آخره

فقال له لك الويل والحرب

وكقوله ايضاً

(فؤاد ملاه الحزن حتى تصدعا) فان ابتداء المديح بمثل هـذه طيرة ينبو عنها السمع ولو كانت في المراثي لحسن موقعها وكذلك قول ابي تمام

تجرع اسى قد اقفر الجرع الفرد

والذي القاه في هذه الورطة التجنيس بين تجرع والجرع ولما انشد الاخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التي اولها (خف القطين فراحوا منك او بكروا) قال له عبد الملك لا بل منك وتطير من قوله ولما دخل ابو النجم على هشام بن عبد الملك وانشده ارجوزة منها في وصف الشمس وكأنها في الافق عين الاحول

وكان هشام احول فامر باخراجه واعلم ان شروط الابتداء ان لا يكون يتطير منه كما مر ولا يمجه السمع كقول ابي تمام

قدك اتئب اسرفت في الغلواء كم تعذلون وانتم سجراء

وكقوله

تقي جمحاتي لست طوع مؤنبي وليس جنيبي ان عذلت مصحبي

وكقول المتنبي

أقل فعالي بله اكثره مجد وذا الجد فيه نلت او لم انل جد

أي اقل فعالى جد دع اكثره وهذا الجد في المجد جداً نلت او لم انل

وكقوله

كفى اراني ويك لومك الوما هم اقام على فؤاد انجما

ومعنى هذا البيت هو ماقاله ابن جنى لاغير يقول للعاذلة كفي واتركي عذلي فقد اراني هذا الهم لومك اياي احق بان يلام منى قال الصاحب ومن عنوان قصائده التي تحير الافهام وتفوت الاوهام وتجمع من الحساب مالا يدرك (بالارتماطيغي) وبالاعداد الموضوعة للموسيقى

احاد ام سداس في احاد لييلتنا المنوطـة بالتناد

وهذا كلام كالجحظ ورطانة الزطه وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الالفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة فأي هزة تبقى هناك واي قريحة نبت‌هنا وهذا البيت مدخول‌من وجوه (الاول) ان‌هذا البناء لايتجاوز رباع الا نادراً (والثاني) ان أحاد لاتستعمل في موضع الواحد وكذلك سداس (والثالث) حذف الهمزة من احاد قال الواحدي واكثروا في معنى‌هذا البيت‌ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافق اللفظ وان حكيت ماقالوا فيه‌طال الكلام ولكني اذكر ما وافق اللفظ من المعنى وهو انه اراد واحدة او ست في واحدة اذا جعلتها منها كالشئ في الظرف ولم يرد الضرب الحسابي بسبع وخص هـذا العدد لانه اراد ليالي الاسبوع وجعله اسما لليالي الدهر كلها لان كل اسبوع بعده اسبوع آخر الى آخر الدهر يقول هذه الليلة واحدة ام ليالي الدهر كلها جمعت في هـذه الليلة حتى طالت وامتدت الى يوم القيامة وهو قوله لييلتنا المنوطة بالتناد هـذا كلام فيه مافيه لمن تأمله ومن ابتداآته البشعة التي‌تنكرها بديهة السماع‌قوله

ملث القطر اعطشها الربوعا والا فاسقها السم النقيع

وقوله

اثلث فانا ايها الطلل نبكي وترزم تحتنا الابل

وقوله

بقائي شاء ليس هم ارتحالا　　وحسن الصبر زموا لا الجمالا

قال الصاحب ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عن المصيبة

لايحزن الله الامير فانني　　لآخذ من حالاته بنصيب

قال الصاحب لم ادر لم لا يحزن سيف الدولة اذا اخذ المتنبي بنصيب من حالاته قلت بلغ بعض اصحاب ابا الطيب الى ان حرف بيتــــه واعترض والا فالصاحب اجل من ان يشتبه عليه مثل هذا والمعنى لا احزنه الله فانه اذا حزن حزنت ولقد ابدع في التلويح بالحزن والنون في لايحزن مكسورة وهو دعاء ومن هذه القصيدة البيت الذي افسده حشوه وهو

ولا فضل فيها للشجاعة والندى　　وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

واجاب عنه بعض الشراح جواباً غير مرضي . ومنها اتباع الفقرة الغرة بالكلمة العوراء . والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلة التناسب . وتنافر الاطراف . وتخالف الابيات . وما اكثرمايحوم حول هذه الطريقة . ويعود لهذه العادة السيئة ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ افخر حلى وينظم احسن عقد . وينسج انفس وشي . ويختال في حديقة ورد . اذا به قد رمي بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة وتفويض اللفظ وتعقيــد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج الى الافراط والاحالة او السفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فمحا تلك المحاسن وكدر صفوها واعقب حلاوتها مرارة لا يساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك باسنة الطاعنين فمن تمثل بقول الشاعر

انت عروس لها جمال رائع　　لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه اياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر . او من يتبخر بالند المعشب المثلث المركب

من العود الهندي والمسك الاصهب . والعنبر الاشهب . ثم يرقه بارسال الريح الخبيثة . ويفسده بالرائحة الردية . او بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم وطريف الحكم ثم تعثر به سكرة الجنون فيكون اصلح احواله . وامثل اقواله ان يقول اعذروني فان العذرة متعذرة فمما نشر ابو الطيب من هذا النمط قوله

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

وهذا ابتداء ماسمع بمثله ومعنى تفرد بابتداعه لولا ما كدر صفوه . وقبح حسنه وشفعه بما لايبالي العاقل ان يسقطه من شعره وهو قوله

كيف ترثي التي ترى كل جفن رآها غير جفنها غير راقي

فبينما الذوق يستلذ حلاوة البيت الاول اذا شرق بمرارة البيت الثاني وقوله

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
يبن لي البدر الذي لا اريده ويخفين بدراً ما اليه سبيل
وماعشت من بعد الاحبة سلوة ولكنني للنائبات حمول
وما شرقي بالماء الا تذكرا لماء به أهل الحبيب نزول

الى أن قال

يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمآن اليه سبيل

من قصيدة اخترع اكثر معانيها وتسهل في الفاظها فجاءت مطبوعة مصنوعة ثم اعترضته تلك العادة المذمومة فقال

اغركم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش اكول
اذ لم تكن لليث الا فريسة غذاه ولم ينفعك انك فيل

ثم اتى بما هو اطم منه فقال وذكر الصاحب انه من اوابده التي لايسمع طول الابد بمثلها

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
فان تكن الدولات قسما فانها لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال الصاحب قوله الدولات وتدول من الالفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لجاز ، وقال من قصيدة جمع فيها بين الشذرة والبعرة والدرة والآجرة

لك يامنازل في القلوب منازل　　اقفرت انت وهن منك او اهل

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ثم قال

وانا الذي اجتلب المنية طرفه　　فمن المطالب والقتيل القاتل

وهو وان كان مأخوذ من قول دعبل

لا تطلبا بظلامتي احداً　　طرفي وقلبي في دمي اشتركا

فانه اخـــذ باطراف الرشاقة والملاحة ثم استمر في القصيدة فجاء بالتوسط المقارب والبديع النادر والرديء النافر حيث قال

ولذا اسم اغطية العيون جفونها　　من انهـا عمل السيوف عوامل

وهو معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ

كم وقفه سجرتك شوقا بعدما　　غرى الرقيب بنا ولج العـاذل

فلم يحسن موقع سجرتك أي ملاءتك هكذا الرواية بالجيم ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس ثم قال وملح

دون التعانق ناحلين كشكلتى　　نصب ادقهما وضم الشاكل

أي قريب بعضنا من بعض ولم نتعـانق خوف الرقيب ثم قال واحسن غاية الاحسان

للهو آونة تمر كأنها　　قبل يزودها حبيب راحل

جمح الزمان فما لذيذ خالص　　مما يشوب ولا سرور كامل

حتى ابو الفضل بن عبدالله رؤ　　يته المنى وهو المقـام الهائل

قال ابن جنى وهـــذا خروج غريب ظريف حسن ما اعرفه لغيره يقول ان المنى رؤيته الا ان هيبته تهول ثم قال فجمع اوصافا في بيت واحد

للشمس فيه وللرياح وللسحـا　　ب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحذلق وتبرد

ولديه ملعقيان والادب المفا　　د وملحياة وملمات مناهل

وانما الم في صدر هذا البيت يقول ابى تمام (نأخذ من ماله ومن ادبه) فقال

علامة العلماء واللج الذي لاينتهي ولكل لج ساحل

ثم قال فأجاد

لو طاب مولد كل حي مثله ولد النساء وما لهن قوابل

قال القاضي ابو الحسن ان طيب المولد لايستغنى به عن القابلة وان استغني عنها كان ماذا واي فخر فيه واي شرف ينال به ثم توسط وقارب فقال

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا هيهات تكتم فيالظلام المشاعل

ستروا الندا ستر الغراب سفاده فبدا وهل يخفى الرباب الهاطل

ثم قال وتوحش وتبغض ماشاء الحاسد

جفخت وهم لايجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

ولفظة الجفخ مرة الطعم اذا مرت على السمع اقشعر منها ويا لله العجب أليس انها بمعنى فخرت وهي لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جفخت لما اختل شيء من وزنه فابو الطيب ملوم من وجهين احدهما انه استعمل القبيح والاخر انه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه . ومثل بيت ابو الطيب ماورد في الحماسة لتأبط شراً حيث قال

يظل بموماة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المسالك

فلفظ جحيش من الالفاظ المنكرة وهي بمعنى فريد فعليه من اللوم ماعلى ابى الطيب وكذلك ورد قول ابى تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عشواء تالية عيسا دهاريسا

فلفظة اطلخم من الالفاظ المنكرة وهي مع غرابتها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس ثم قال

يا افخر فان الناس فيك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل

أي ياهذا افخر فحذف المنادي . وتباغض وتبادى ثم قال

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا بيتاً ولكني الهزبر الباسل
مانال اهل الجاهلية كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وارسله مثلا سائراً واحسن جداً

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ثم قال وتعسف في اللفظ

وأما وحقك هو غاية مقسم للحق انت وما سواك الباطل
الطيب انت اذا اصابك طيبه والماء انت اذا اغتسلت الغاسل

وتقدير الكلام: الطيب انت طيبه اذا اصابك والماء انت غاسله اذا اغتسلت به وانما الم فيه بقول القائل

وتزيدين طيب الطيب طيباً أن تمسيه اين مثلك اينا

تذكرت بقول المتنبي واذا اتتك الخ. مايحكى عن ابي العلى المعري: كان في بعض الايام حاضراً في مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر المتنبي فهضم الشريف من جانبه فقال المعري لو لم يكن له من الشعر الا قوله (لك يامنازل في القلوب منازل) لكفاه فغضب المرتضى وامر باخراجه وقال اتدرون ماعنى فقالوا لا قال عنى به قول المتنبي واذا اتتك البيت . ومن التلميح بهذا البيت ماحكاه صاحب الحدائق ان الفتح بن خاقان ذكر ابن الصائغ في قلائد العقيان فقال فيه رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين لايتطهر من جنابه ولا يظهر مخائل انابه فبلغ ذلك بن الصائغ فمر يوماً على الفتح بن خاقان وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له انها شهادة يافتح ومضى فلم يدر احد ماقال الا الفتح فتغير لونه فقيل له ماقال لك فقال اني وصفته كما تعلمون في قلائد العقيان فما بلغت بذلك عشر مابلغ هو مني بهذه الكلمة فانه اشار بها الى قول المتنبي واذا اتتك الخ ومن التلميح ماقيل انه دخل على سيف الدولة بعض الشعراء فقال ايها الامير بماذا تفضل علي ابن عيدان السقا قال لحسن شعره فقال ايها الامير اختر اي قصيدة له حتي اعارضه بها

وباحسن منها فقال سيف الدولة عليك بقصيدته التي اولها

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقى   وللحب مالم يبق مني وما بقي

فلم يرها من مختاراته فامعن النظر فرأى في اثنائها

بلغت بسيف الدولة النور رتبة   انرت بها مابين غرب ومشرق

اذا شاء ان يلهو بلحية احمق   اراه غباري ثم قال له الحق

فامتنع عن معارضتها وعلم قصد سيف الدولة(١)قال ابن بسام في الذخيرة ان ابا عبدالله بن شرف قال يوما للمأمون بن ذي النون ايام خدمته اياه واستشغافه صبابة عمره في داره وقد اجروا ذكر ابى الطيب فذهبوا في وصفه كل مذهب إن رأى المأمون لا فارق العزة والعلاء ان يشير الى اي قصيدة شاء من شعر ابى الطيب حتى اعارضه بقصيدة تنسى اسمه وتعفى رسمه فتثاقل بن ذي النون عن جوابه علما بضيق جنابه واشفاقا من فضيحته وانتشابه والح ابو عبدالله حتى احرج ابن ذى النون واغراه فقال له دونك قوله

(لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقى) فخلابها ابن شرف اياما فوجد مركبها وعراً ومريرتها شنزاً ولكنه ابى عنزاً وارهق نفسه من امرها عسراً فما قام ولا قعد. ولا حل ولا عقد . وسأل ذاالنون بعد اي شئ اقصده الى تلك القصيدة فقال لان ابا الطيب يقول فيها(بلغت بسيف الدولة النور رتبة)وانشد البيتين قال ابن بسام وقد حدثت ايضاً ان ابا علي بن رشيق ناجى نفسه بمعارضته ابى الطيب في بعض اشعاره وراطن شيطانه بالدخول في مضاده فاطال الفكرة واعمل النظرة بعد النظرة فاختار من شعره مالم يطر ذكره ولا انحط قدره فاداه جهده وذهب به نقده الى معارضة قوله(امن ازديارك في الدجا الرقباء) فبث عيونه . واستمد شياطينه فلم يدع ثنية الا طلعها ولا دوية الا اتسع لها فوسعها ثم صنع قصيدة رأى انها مادة طبعه ومنتهى طاقة وسعه . ثم حكم نقده . ورضى ماعنده . فرأى قد قصرت

(١) مابين القوسين من زيادات الخطيه

يداه. وقصر مداه. وعلم ان الاحسان كنز لايوجد بالطلب(١) ومن التلميح ما كتبه العلامة عماد الفضائل والاداب سمي من ألف برسمه هذا الكتاب الى مضاهيه ومثيله ورسيله في الفضل وزميله شيخنا النجم الذي بنوره تشرق الدنيا وارسله من دمشق الى حلب مع هدية من جملتها اديب عليه سيماء اهل الجنة

انجم الدين من ملك القلوبا ... فقلبي في حماه لن يؤوبا
اخي فكأن اماً ارضعتنا ... معاً في الشام او حلب الحليبا
وما لي من بعادي عنهم ... عسى التقي له فرجا قريبا
لقد اهديت قاضينا اليكم ... لينشدكم من الشعر الغريبا
ولطفك ليس ينكر في الهدايا ... على من زاركم فيها اديبا
فلا زالت ديارك مشرقات ... ولا دانيت يانجم الغروبا

والتلميح الى الاديب الذي ذكره ابو الطيب المتنبي في قصيدته التي يمدح بها على ابن سيار بن مكرم التميمي واولها

ضروب الناس عشاقا ضروبا ... فاعذرهم اشفهم حبيبا

ومنها

اعزمي طال هذا الليل فانظر ... أمنك الصبح يفرق ان يؤوبا
كأن الفجر حب مستزار ... يراعي من دجنته رقيبا
كأن نجومه حلى عليه ... وقد حذيت قوائمه الجيوبا
كأن الجو قاسى ما اقاسى ... فصار سواده فيه شحوبا
كأن دجاه يجذبها سهادي ... فليس تغيب الا ان يغيبا

الضمير في ليس تغيب يعود الى دجاه وهي جمع دجية وفي الا ان يغيبا يعود الى سهادي ومنها

اقلب فيه اجفاني كاني ... اعده على الدهر الذنوبا

انتهت الزيادة

وما ليلي بأطول من نهار　　يظل بلحظ حسادي مشوبا

مأخوذ من قول امرء القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه　　واردف اعجازاً وناءى بكلكل

الا ايها الليل الطويل الا انجلي　　بصبح وما الا صباح منك بامثل

ولو لم يكن لابى الطيب الا هذه الابيات لاستحق ان يتقـــدم بها على كل من تكلم بقافية ومنها

ايا من عاد روح المجد فيه　　وعاد زمانه البالي قشيبا

تيممني وكيلك مادحاً لي　　وانشدني من الشعر الغريبا

قال ابو الحسن علي بن احمد سمعت الشيخ ابا المجد كريم بن الفضل قال سمعت والدي ابا بشر قاضي القضاة قال انشدني ابو الحسين الشامي الملقب بالمشوق المعلم قال كنت عند المتنبي فجاء هذا الوكيل فانشده هذه الابيات وهي

فؤادي قد انصدع　　وضرسي قد انقلع

وعقلي الليل قد انهـــوى　　وما رجع

ياحب ظبى غنج　　كالبـدر لما ان طلع

فقلت ته ته وته　　فقـال لي مر يالـكع

هات قطع ثم قطع　　ثم قطع ثم قطع

وضع بكفي فقي　　حتى ادعكك تضع

فهذا الذي عناه بقوله وانشدني الشعر القريبا ثم قال المتنبي

فآجرك الاله على عليل　　بعثت الى المسيح به طبيبا

ولست بمنكر منك الهدايا　　ولـكن زدتني فيها اديبا

فلا زالت ديارك مشرقات　　ولا دانيت ياشمس الغروبا

ومما يندرج في هذا الباب . ماذكر عن بعض كتب الاداب . وملخصه ان بعض الشعراء الجأته الضرورة فقصد نادي بعض الوزراء . وحملته دقة حاله على ان

تقاضاه في الطلب. واشتكى في زمانه كساد سوق العلم والادب وانشده لأبي تمام.

اكابرنا عطفا علينا فاننا بنا ظمأ برح وانتم مناهل

فاعرض عنه ولم تجده الوسائل. ثم قال له من القائل

الحب مامنع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنا

فقال هو للذي يقول

بنا فلو حليتنا لم تدر ما الواننا مما امتقعن تلونا

والبيت الذي انشده الوزير مطلع قصيدة لابي الطيب المتنبي ومراده التلميح الى قوله في اثناء هذه القصيدة

وانه المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنا

فلما علم ماقصده الوزير ذلك الشاعر اجابه بالبيت الثالث من القصيدة ومراده التلميح الى بيت ثالث من مقصده وهو.

ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

وكان الوزير مغرما بابنة السلطان وقد بدا من شأنهما ما نقلته الركبان. فتوسل ذلك الشاعر الى ان اوقف اباها على جلية الخبر. واستفهم عنه فاذا هو اظهر من القمر وكان اجل ذلك الوزير قد دنا. فقتل وعداوة الشعراء بئس المقتنا ومن التلميحات الخفية مايحكى عن رجل من المناقذه اصحاب حصن شيزر وهو اولهم الذي استنقذهم وكان قبل ملكه اياه في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب وكان اذ ذاك يلقب سديد الملك فبيناهو في مكانه اذ حدثت له حادثة اوجبت ان هرب ومضى الي مدينة طرابلس في زمن بني عمار اصحاب البلد فارسل اليه ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فاحضر ابن صالح رجلا من اهل البلد صديقا لابن منقذ وبينهما لحة مودة اكيدة فاجلسه بين يديه وامره ان يكتب اليه كتاباً عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فما وسعه ان لايكتب وهو يعلم ان باطن الامر خلاف ظاهره وانه متى عاد ابن منقذ الى حلب هلك ففكر وهو يكتب الكتاب في اشارة عمياء

لا نفهم ليضحها فيه يحذر بها ابن منقذ فادار فكره الى ان كتب في آخر الكتاب عند انتهائه ان شاء الله تعالى وشدد ان وكسرها وضبطها ليعلم منه الفطن الذكى انه ليس عن سهو ثم سلم الكتاب الى ابن صالح فوقف عليه وارسله الى بن منقذ فلما صار في يده وعلم مافيه قال هذا كتاب صديقي وما يغشني ولولا أنه علم صفاء قلب ابن صالح ما كتب لي ولا غرني ثم عزم على العود وكان عنده ولده فاخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال مكانك فان صديقك قد حذرك وقال لا تعد فقال وكيف ذلك قال انه كتب ان شاء الله تعالى في آخر كتاب وشدد ان وكسرها وضبطها ضبطاً صحيحا لا يصدر مثله عن سهو ومعنى ذلك انه يقول (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) وان شككت في ذلك فارسل الى صديقك فاسئله فارسل اليه وسأله فقال هو ما قال ولذلك أقام لم يعد الى حلب وهذه الحكاية ننسبها من لا اطلاع له على الاخبار الى ابي الطيب المتنبي ويقول انه ارسل الى صاحب حلب كتابا يقول فيه انه يعود اليه وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وشدد ان وزاد نونها الفا صغيرة فلما ورد الكتاب وسمع به صديقه توهم انه ما فهم اشارته فساءه ذلك ثم تناول الكتاب فرأى في آخره ان شاء الله تعالى بزيادة الف في نونها فعلم انه فهم وانه يقول انا لن ندخلها وهذه موضوعة ومما اتفق بين الطغام الذين هم كالانعام انابا الطيب يمم المغرب بجماعة كثيرة والات خطيرة ونصبت خيامه على باب مدينة حاكمها فارتجت له دعائم معالمها واستكشف خبره فاذا هو شاعر اتاه وعلم انه يعجز عن رضاه فقال شاعره وهو ابن هاني الاندلسي علي رده قبل ان تراه ثم تزيا بزي غث وتجلبب بجلباب رث وعمد الى شيء من الحنطة والشعير ووضعها على احد الحمير ثم مر بالمتنبي وهو ينظر الى الماء وتجعيده بيد الهوي وهو يكرر هذا الشطر (نسج الريح على الماء زرد)

فقال ابن هاني (يا له درع منيع لو جمد) فسأله ابو الطيب عن خبره فاخبره انه شاعر تلك البقاع فاستنشده فانشده من مدائحه في مخدومه ماتسكر منه الاسماع (١)

---

(١) الابيات الآتية من زيادات الخطية

ضحك الزمان فكان قدما عابسا لما فتحت بسيف عزمك قابسا
انكحتها بكراً وما امهرتهـــا الا القنا وقواضبـــا وفوارسا
من كانت البيض الصوارم مهره جلبت له بيض الحصون عرائسا
الله اكبر ما اجتنيت ثمارها لا وكان ابوك قبلك غارساً

فقال ما حملك على هذه القوافي الجليلة فاشار الى ما على حماره وقال هذه الجائزة الجزيلة فقوض عن المغرب خيامه وجعل المشرق امامه وبعد برهة من الزمان قصد ابن هاني سيف الدولة بن حمدان والمتنبي اذ ذاك شاعره ونديمه وصاحبه وحميمه وكان اطلع على تلك المكيدة وصمم على ان يكيده فتلقاه تلقي كثير لعزة واحله داره واعزه واستطلع رأيه في مدح سيف الدولة وسأله عن اسلوبه ليتبع قوله فارشده فنظم على ذلك الاسلوب ما تسجد له جباه الافهام ولما تمثل لينشده رآه مباينـــا لذلك المقام

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

ولما انشده ما ابدعه فلم يطربه علم ان واحدة بواحدة جزاء فعدل عن ذلك الاسلوب واعمل قريحته وشحذ فكره ونظم قصيدته التي اولها (ذقت الكرى ثم الجلاد بعنبر) واسدها على ريق لم يبلعه ونفس لم يقطعه فاعجب فيه سيف الدولة اعجاب ابن المعتصم بحبيب وحظي في ذلك المرقف من الجوائز باوفر نصيب فحسدته الشعراء وغبطه الادباء فقال المتنبي لا يحسد الميت على النزع ولا يغبط من ترم محبته الانتفاع وسئل عن معنى ذلك فقال رأيت قد صوح تحت اقدامه اخضر نبات سم ذلك المسكين لوقته ثم مات وهذه الحكاية الموضوعة وتغريبه مصنوعة تروى على وجوه مختلفة وانحاء غير مؤتلفة وهي مأخوذة من خبرين لابي تمام احدهما انه قصد البصرة وبها عبد الصمد ابن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله خاف ان يميل الناس اليه ويعرضوا عنه فكتب اليه قبل وصوله البلد

انت ابن اثنتين تبرز للنـ ـاس وتلقـــاهم بوجه مذال

لست تنفك راجيا لوصـــال   من حبيب او راغباً في نوال
اي ماء لحر وجهك يبقى   بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الابيات اضرب عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه والثانية ما قيل ان ابا تمام امتدح احمد ابن المعتصم بقصيدته التي اولها

ما في وقوفك ساعة من باس   نقضي ذمام الاربع الادراس
فلعل عينك ان تعين بمائهـا   والدمع منـه خاذل ومواسي
لا يسعد المشتاق وسنان الهوى   يبس المدامع بارد الانفـاس
ان المنازل ساورتهـا فرقة   اخلت من الآرام كل كناس
من كل ضاحكة الترائب ارهفت   ارهاف خوط البانة الميـا س
بدر اطاعت فيك بادرت النوى   خطأ وشمس اولعت بشماس
واذا مشت تركت بقلبك ضعف ما   بحليها من كثرت الوسواس
قالت وقد حم الفراق فكأسه   قد خولط الساقي بها والحاسي
لا تنسين تلك العهود فانما   سميت انسانا لانك ناسى
ان الذي خلق الخلائق قاتهـا   اقواتهـا لتصرف الاحراس
فالارض معروف السماء قرى لها   وبنو الرجاء لهم بنو العباس
والحمد برد جمال اختالت بـه   غرر الفعال وليس برد لباس
نور العرارة نوره ونسيمـه   نشر الخزامى في اخضرار الآس

فلما انتهى الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء اياس

قال الكندي يعقوب الفيلسوف وكان حاضراً : الامير فوق من وصفت فاطرق قليلا ثم رفع رأسه وانشد

لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلا شروداً في الندا والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعته فطنته وماذكر من انه انشد القصيدة للخليفة وان الوزير قال له اي شيء طلبه فاعطه فانه لا يعيش اكثر من اربعين يوما لانه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكر وصاحب هذا لا يعيش الا هذا المقدار فقال له الخليفة ما تشتهي فقال اريد الموصل فولاه اياها ربوجه اليها وبقي هذه المدة ومات فتى لا اصل له والصحيح ما نقله ابن بسام في الذخيرة قال وقد قيل ان النكدي لما خرج قال هذا الفتى يموت شابا لان ذكاه أكل عمره كما يأكل السيف الصقيل غمده فكان كذلك فان الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل فاقام بها اقل من سنتين وتوفى وتمام القصيدة

ان تحو خصل المجد في انف الصبا يا ابن الخليفة يا ابا العباس
فلرب نار منكم قد اتجت بالليل من قبس من الاقباس
غلب السرور على همومي بالذي اظهرت من برى ومن ايناس
اثر المطالب في الفؤاد انما اثر السنين ووسمها في الراس
فالآن حين غرست في كرم الثرى تلك المنى وبنيت فوق اساس

قصيدة ابن هاني المشهور

وهذه قصيدة ابي القاسم محمد بن هاني الاندلس المزعوم انها في سيف الدولة بن حمدان وهى في ابي الفرج الشيباني

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر
وضربتم هام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر
ابني العوالي السمهرية والسيو ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبع في حمير
القائد الخيل العتاق شواردا خزرا الى لحظ السنان الاخزر

شعث النواصي حشرة اذانها ... قب الاياطل داميات الانسر
تنو سنابكهن عن عفر الثرى ... فيطأن في خد العزيز الاصعر
جيش تقدمه الليوث وفوقه ... كالغيل من قصب الوشيج الاسمر
فكانما سلب القشاعم ريشها ... مما يشق من العجاج الاكدر
وكانما شملت قناه ببارق ... متالق او عارض مثعنجر
تمتد السنة الصواعق فوقه ... عن ظلتي مزن عليه كنهور
ويقوده الليث الغضفر معلماً ... في كل ثن اللبدتين غضنفر
نحر القبول من الدبور وسار في ... جيش الهرقل وعزمة الاسكندر
في فية صداء الدروع عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم ... مما عليه من القنا المتكسر
انسوا بهجران الأنيس كانهم ... في عبقري البيد جنة عبقر
يغشون بالبيد القفار وانما ... ألد السبنتى في اليباب المقفر
فرواية الصنديد تخبر عنهم ... واسامة الصديق اصدق مخبر
قدجاوروا اجم الضواري حولهم ... فاذا زأروا بها لم تزأر
ومشوا على قطع الفوس كانما ... تمسي سنابك خيلهم في مرمر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم ... ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم ... فكانهن سفائن في ابحر
فحياضهم من كل مهجة خالع ... وخيامهم من كل لبدة قسور
من كل اهرت كالح ذي لبدة ... اوكل ايض واضح ذي مغفر
حي من الاعراب الا انهم ... يردون ماء الأمن غير مكدر
راحوا الى ام الرئال عشية ... وغدوا الى طيب الكثيب الاعفر
طردوا الاوابد في الفدافد طردهم ... للاعوجية في مجال العثير
ركبوا اليها يوم لهو قنيصهم ... في زيهم يوم الخميس المصحر

انا لتجمعنا وهذا اللحى من بكر اذمـــة سالف لم تخفر
اخلاقنا فكاننا من نسبـــة ولداتنا فكاننـا من عنصر
اللابسين من الجلاد الهبرما اغنـاهم عن لامـــة وسنور
لي منهم سيف اذا جردته يوما ضربت به رقاب الاعصر
وفتكت بالزمن المدجج فتكة ال براض يوم هجائن ابن المنذر
صعب اذا نوب الزمان استصعبت متنمر للحـادث المتنمر
فأذا عفى لم تلق غـــير مملك واذا سطا لم تلق غير مظفر
وكفاك من حب السماحة انهـا منه بموضع مقلة من محجر
فغمامه من رحمة وعراصة من جنة ويمينه من كوثر

حكى عن بعض علماء المعزية قال: كنت في حرم البيت الشريف فدعاني الى بعض الاماكن وسمع بتلك الدعوة احد بني عمه الكرام فسارع الينا مسارعة القطر من الغمام واتفق ان سقط من يده الكريمة خاتم به حجر ثمين القيمة قال له ابن الشريف لم لم تقف على طلب ذلك الخاتم الثمين فقال له الست من ابناء امير المؤمنين ومراد ابن الشريف قول ابي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ومراد ابن عمه قول المتنبي

كذا الفاطميون الندى في بنانهم اعز امحاء من خطوط الرواجب

سبب مدح المتنبي طاهر بن الحسين

وهذا البيت من قصيدة كثيرة العيون يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي حدث ابو عمرو ابن عبد العزيز بن الحسين السلمي قال سألت محمد بن القاسم المعروف بابن الصوفي كيف كان سبب امتداح ابي الطيب لابي القاسم طاهر بن الحسين العلوي فحدثني ان الامير ابا محمد لم يزل يسئل ابا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان اذا

اجتمعنا عند الافطار ان يخص ابا القاسم طاهرا بقصيدة من شعره يمدحه بها وذكر انه اشتهى ذلك ولم يزل ابو الطيب يمتنع منه ويقول ماقصدت غير الامير وما امتدح احداً سواه فقال له ابو محمد قد كنت عزمت ان اسألك قصيدة اخرى في فاجعلها في ابي القاسم وضمن له عنه مئات دنانير فاجابه الى ذلك

قال ابو القاسم الصوفي فمضيت انا والمطلبي برسالة طاهر لوعد ابي الطيب فركب معنا ابو الطيب حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من اهل بيته اشراف وكتاب فلما اقبل نزل ابو القاسم طاهر عن سريره وتلقاه بعيدا من مكانه فسلم عليه ثم اخذ بيده فاجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعدا وجلس بين يديه فتحدث معه طويلا ثم انشده قال عبد العزيز وحدثني ابو علي بن القاسم الكاتب قال كنت حاضراً بهذا المجلس وهو كما حدثك به ابو بكر الصوفي ثم قال لي اعلم اني ما رأيت ولا سمعت في خبر شاعر جلس الممدوح بين يديه مستمعا لمدحه غير ابي الطيب فاني رأيت طاهراً تلقاه ثم اجلسه مجلسه وجلس بين يديه وانشده

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب ... وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب

فان نهاري ليلة مدلهمة ... على مقلة من فقدكم في غياهب

بعيدة ما بين الجفون كأنما ... عقدتم اعالي كل هدب بحاجب

هذا كقول بشار

جفت عيني عن التغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصار

واحسب اني لو هويت فراقكم ... لفارقته والدهر اخبث صاحب

كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدمع لتجمدا

وفيه نقد من جهة المعنى وقد اخذه الباخرزي فسلم منه واجاد حيث قال

ولطالما اخترت الفراق مغالطا ... واحتلت في استثمار غرس ودادي

وطمعت منها بالوصال لانها ... تبني الامور على خلاف مرادي

فياليت ما بيني وبين أحبتي　　من البعد مابيني وبين المصائب
اراك ظننت السلك جسمي فعقته　　عليك بدر عن لقاء الترائب
ولو قلم القيت في شق رأسه　　من السقم ما غيرت من خط كاتب

ومنها في المديح

كأن رحيلي كان من كف طاهر　　فاثبت كوري في ظهور المواهب
فلم يبق خلق لم يردن فناءه　　وهن له شرب ورود المشارب
وابهر ايات التهامي انه　　ابوك واجدى ما لكم من مناقب

واحدى تروى بالحاء والجيم ، روى ابن فرجه واكبر ايات التهامي اية

وما قربت اشباه قوم اباعد　　ولا بعدت اشباه قوم اقارب
يرى ان ما بان منك لضارب　　باقتل مما بان منك لعائب
الا ايها المال الذي قد اباده　　تعز فهذا فعله في الكتائب
حملت اليه من لساني حديقة　　سقاها الحجى سقي الرياض السحائب
فحييت خير ابن لخير اب بها　　لأشرف بيت في لؤي بن غالب

حدث ابو عمرو عبدالعزيز بن الحسن السلمي قال حدثني محمد بن القاسم المعروف بالصوفي قال ارسلني الامير ابو محمد الى ابي الطيب فمضيت اليه الى دار كان يسكنها فسلمت عليه وعرفته رسالة الامير ابي محمد وانه منتظر له فامتنع علي وقال اعلم انه يطلب شعراً وما عملت شيئاً فقلت له ايس يعرف قال لي اقعد اذن ثم دخل الى الحجرة ورد الباب عليه مقدار ما كنت قعدت ثم خرج الي وهي لم تجف فقلت انشدنيه فامتنع وقال الساعة تسمعها ثم ركب وسرنا فدخل على الامير وعين الامير ممدودة الى الباب منتظراً لورودنا فسأل عن سبب الابطاء : فاخبرته الخبر فسلم عليه ورفعه ارفع مجلس وانشده القصيدة التي اولها

انا لائمي ان كنت وقت اللوائم　　علمت بما بي بين تلك المعالم

تلميح اخر

حدث بعض المغاربه :قال كنا عند ملك المغرب فورد عليه مكتوب من بعض ثغوره يتضمن ان اعداء المسلمين خرجوا من البحر وفتكوا بعساكر ذلك الثغر حتى لم يبق منهم من يحمل سلاحاً وصارت القتلى كالاكام على تلك البطاح وكان ببادية ذلك الثغر امير تهابه الحتوف وتفرق من ملاقاته الالوف فسار اليه اعداء الدين بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا فتلقاهم بالبيض المشرفية والسمر الخطية فانهزمت ارواحهم الى النار وثبتت اجسامهم كالاحجار وعمد الى سفنهم فاغرقها والى اشلائهم فاحرقها فلما تمت قرأت الكتاب قال رحم الله ابا الطيب المتنبي ومراده قوله (فليس يأكل الاالميت الضبع) وهذا الشطر من قصيدة لابي الطيب يمدح بها سيف الدولة وقد مر في (نخرات السنبوس بسمندو وعبر السن)وهو نهر عظيم ونزل على صارخة وخرشنه فاحرق ربضها وكنائسها وقفل غانماً فلما صار على آلس راجعا وافاء الدمستق فصافه الحرب فهزمه واسر بطارقته وقتل ثم سار فواقعه فى موضع آخر فهزمه ايضا ثم واقعه على نهر آخر وقد مل اصحابه السفر وكلوا من القتال واجتاز ابو الطيب ليلا بقطعة من الجيش نيام بين قتلى الروم فقال يذكر الحال وما جرى في الدرب من الخيانة

غيري باكثر هذا الناس ينخدع	ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا
اهل الحفيظة الا ان تجربهم	وفي التجارب بعد الغي ما يزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت	ان الحياة كما لا تشتهى طبع
ليس الجمال لوجه صح مارنه	انف العزيز بقطع العز يجتدع
أ أطرح المجد عن كتفي واطلبه	واترك الغيث في غمدي وانتجع
والمشرفية لازالت مشرفة	دواء كل كريم اوهى الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها	في الدرب والدم في اعطافها دفع

يريد بفارس الخيل سيف الدولة

وأوحدته ومـــا في قلبه قلق — وأغضبته وما في لفظـــه قذع

بالجيش تمتنـــع السادات كلهم — والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع

قاد المقانب أقصى شربها نهل — على الشكيم وأدنى سيرهـا سرع

لا يعتقي بلد مسراه عن بلد — كالموت ليس له ري ولا شبع

حتى أقام على ارباض خرشنـــة — تشقى به الروم والصلبان والبيع

خرشنة معروفة في بلاد الروم والارباض ما حول المدينة

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا — والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

مخلى له المرج منصوبا بصـــارخة — له المنابر مشهوداً بهـــا الجمع

صارخة مدينة بالروم

يطمع الطير فيهم طول أكلهم — حتى تكاد على احيائهم تقع

ولو رآه حواريوهم لبنوا — على محبته الشرع الذي شرعوا

ذم الدمستق عينيه وقد طلعت — سود الغمام فظنوا انهـــا قذع

الفزع قطع السحاب المتفرقة الواحدة قذعة

فيها الكماة التى مفطومها رجل — على الجياد التي حوليها جذع

فيها اي في سود "غمائم والجذع التي اتى عليها حولان

تذري اللقان غبارا في مناخرها — وفي حناجرها من آلس جرع

كأنها تتلقاهم لتسلكهم — فالطعن يفتح في الاجواف ماتسع

ومانجامنه شفار البيض منفلت — نجا ومنهن في احشائه فزع

يباشروا الأمن دهراً وهو مختبل — ويشرب الخمر حولا وهو ممتقع

كم من حشاشة بطريق تضمنها — للباترات امين ماله ورع

يقاتل الخطو عنه حين يطلبـــه — ويطرد النوم عنه حين يضطجع

تغدو المنايا فلا تنفك واقفـــة — حتى يقول لها عودي فتندفع

قل للدمستق ان المسلم ين لكم خانوا الامير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نيــاماً في دمائكم كأن قتلاكم اياهم فجعوا
ضعفي تعف الاعادي عن مثالهم من الاعادى وان هموا بهم نزعوا

ومنها

وانمـــا عرض الله الجنود بكم لكي يكونوا بلا فسل اذا رجعوا (١)
فكل غزو اليكم بعـــد ذافله وكل غاز لسيف الدولة التبع
يمشي الكرام على آثـــار غيرهم وانت تخلق ماتأتي وتبتدع
وهل يشينك وقت كنت فارسه وكان غيرك فيه العاجز الضرع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعـــه شيء ولا يضع
لم يسلم الكر في الاعقاب مهجته أن كان أسلمها الاصحاب والشيع

ومنها

الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
وما الجبال لنصران بحـــامية ولو تنصر فيها الاعصم الصدع

الاعصم الوعل والصدع مابين السمين والمهزول قال

وما حمدتك في هول ثبت له حتى بلوتك والابطال تمتصع
فقد يظن شجاعا من به خرق وقد يظن جبانا من به زمع
ان السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

قيل ان رجلا جاس على جسر بغداد فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب وقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة رحم الله ابا العلاء المعري وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت لئن لم تخبريني بما أراد بابن الجهم وأردت بأبي العلاء لافعلن بك

(١) الفسل الرذل الدنيء العاجز

كذا فضحكت وقالت أراد بعلي بن الجهم قوله في اول قصيدته وهي

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا ادري

وأردت بأبي العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن قصيدة لابي الطيب جمع فيها بين الغث والسمين وهي التي اولها

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحي دون السير حيرانا

ولو بدت لأتاهتهم فحجبها صون عقولهم من لحظها صانا

بالواخدات وحاديها وبي قمر يظل من وخدها في الخدر حشيانا

وحشيان بالحاء المهملة من الغريب الوحشي الذي لا يأنس به السمع ولا يقبله القلب يقال حشي الرجل يحشى حشيا فهو حشيان اذا أخذه البهر يقول اذا وخدت الابل تحت هذا القمر اخذه البهر لترفه ومن المؤدبين من يروي خشيان بالخاء المعجمة من الخشية ثم قال واحسن ولطف وظرف

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا فأتى كما قاله الصاحب باخزى الخزايا فقال

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بعرانا

قال الصاحب ومن الناس امه فهل ينشط لركوبها والممدوح اما له عصبة لا يريد ان يركبوا اليه نهر في الارض احتمل من [illegible] التسحب واوضع من هذا التبسط ثم أراد ان يستدرك هذه الطاغية بقوله

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الاحسان عميانا

ثم قال وأجاد في مدح أولية الممدوح

ان كوتبوا أولقوا أو حوربوا وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت   على رماحهم في الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمأ   وينشقون من الخطي ريحانا

ثم قال

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا   ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا

قال الصاحب الزنجي لايوجد الاجعد الشعر فكيف ينقلبون عن الجعود الى الجعود وقد احتج عليه اصحاب المعاني بما يطول ذكره . والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة

وملمومة زرد ثوبها   ولكنه بالقنا مخمل
يفاجئ جيشابها حينه   وينذرجيشابهاالقسطل

ثم تصرف في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول

جعلتك بالقلب لي عدة   لانك باليد لاتجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحى له منه

وهذه القصيدةقالها في سيف الدولة وهو بميافارقين وقد ضربت له خيمة كبيرة وأشاع الناس ان مقامه يتصل اياما فهبت ريح شديدة فسقطت الخيمة وتكلم الناس عند سقوطها فقال أبو الطيب

أيقدح في الخيمة العذل   وتشمل من دهرها يشمل
وتعلو الذي زحل تحته   محال لعمرك ماتسئل
فلم لاتلوم الذي لامها   وما فص خاتمه يذبل

يقول فلم لاتلوم الخيمة لائمها على سقوطها والرئيس الذي أعجزها الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمه عن فص خاتمه والضمير في خاتمه راجع الي سيف الدولة وقيل معناه فلم لا تقول للائمها مافص خاتمك يذبل فان قال اللائم يذبل جبل وكيف يصح ان يتختم به قالت له الخيمة وكيف يصح أن تثبت خيمة وتشتمل على من شمل دهرها وقيل المعنى فلم لاتلوم الخيمة لائمها على أن لبس فص خاتمه يذبل فكما ان لوم

الانسان على ذلك مستحيل لانه ليس في الطاقة فكذلك لوم الخيمة قال

تضيق بشخصك ارجاؤهـــا ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفهـــا وتركز فيها اقنـــا الذبل
وكيف تقوم على راحـــة كان البحار لهـــا أ نُمل
فليت وفـــارك فرقتـــه وحملت أرضك مـــانحمل

اي لو فرقته لخص الخيمة مايوقرها ويثبتها عن السقوط

فصار الانام به ســـادة وسدتهم بـــالذي يفضل
رأت لون نورك في لونهـــا كلون الغزالة لايغســـل

اي اكتسبت من نورك ماصارت به كالشمس التي لايزول نورها

وان لها شرفا باذخا وان الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لهـــا صرعة فمن فرح النفس مايقتل
ولو بلغ الناس مابلغت لخانتهم حولك الارجل
ولما أمرت بتطنيبهـــا أشيع بـــأنك لاترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولـــكن اشار بما تفعل
وعرف انك من همه وانك في نصره ترفل

وعرف انك من همه أي من ارادته

(ومما) يشان على أبي الطيب استكراه اللفظ وتعقيد المعنى وهو احد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويتعب ولا ينجح اذ يقول في وصف الناقة :

شيم الليالي ان تشكك ناقتي صدري بها أفضى ام البيداء
فتبيت تسئد مسئدا في نيها اسآدها في المهمه الانضاء

الاسآد اسراع السير والني الشحم والسمن والانضاء مصدر أنضاه ينضيه اذا هزله ومسئدا حال من الناقة وهو اسم فاعل وفاعله الانضاء يقول تبيت ناقتي تسير

سائراً في حد ها المزال سيرها في المهمه وهما من قصيدة يمدح بها أبا علي هرون بن عبد العزيز الاوراجي الكاتب وأولها

أمن ازديارك في الدجى الرقباء   اذ حيث كنت من الظلام ضياء

أخذه من قول علي بن جبلة

بأبي من زارني مكتتما   حذراً من كل واش فزعا
طارقاً نم عليه نوره   كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الخلوة حتى امكنت   ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال في زورته   ثم ماسلم حتى ودعا

قال

فلق المليحة وهي مسك هتكها   ومسيرها في الليل وهي ذكاء

كأنه من قول امرئ القيس

الم تريانى كلما جئت طارقا   وجدت بها طيباً وان لم تطيب

وقول الآخر

درة كيفما اديرت اضاءت   ومشم من حيث ماشم فاحا

ومن هذا قول بشار

وتوقى الطيب ليلتنا   انه واش اذا سطعا

ومن هذا المعنى قول الآخر

وأخفوا على تلك المطايامسيرهم   فنم عليهم في الظلام التنسم

وقال ابو عبادة البحتري

وحاولن كتمان الترحل في الدجا   فنم بهن المسك حين تضوعا

وقال ايضا

وكان العبير بها واشيا   وجرس الحلى عليها رقيبا

وزاد ابو المطاع بن ناصر الدولة على الجميع بقوله

ثلاثة منعتها من زيارتنا وقد دجى الليل خوف الكاشح الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما يفوح من عرق كالعنبر العبق
هب الجبين بفضل الكم تستره والحلى تنزعه الشان في العرق

ومنها

بيني وبين ابي علي مثله شم الجبال ومثلهن جبال
وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها علي مسالكي فكأنها ببياضها سوداء
وكذلك الكريم اذا اقام ببلدة سال النضار بها وقام الماء

وفي هذا البيت ماقد يظهر بالتأمل ومنها

في حطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء
من يهتدي في الفعل ما لايهتدي في القول حتى يفعل الشعراء
من يظلم اللوماء في تكليفهم ان يصبحوا وهم له اكفاء
وتذيمهم وبه عرفنا فضله وبضدها تتبين الاشياء

(١) وقد اكثر الشعر في هذا المعنى فقال ابو تمام

وليس يعرف طيب الوصل صاحبه حتى يصاب بنأي أو بهجران

وقال

والحادثات وان اصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

وقال

سمجت ونبهنا على استسماجها ما حولها من نضرة وجمال
وكذاك لم نفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحالي

وقد ملح بشار في قوله

(١) ما بين القوسين من زيادات الخطبة

وكن جواري الحي ما دمت فيهم　　قباحاً فلما غبت صرن ملاحا

وقال البحتري

وقد زادها افراط حسن جوارها　　خلائق اصفار من المجد خيب

وحسن دراري الكواكب ان ترى　　طوالع في داج من الليل غيهب

***

من نفعه في ان يهاج وضره　　في تركه لو تفطن الاعداء

فالسلم يكسر من جناحي ماله　　بنواله ما تجبر الهيجاء

يا ايها المجدي عليه روحه　　اذ ليس تأتيه لها استجداء

احمد عفاتك لا فجعت بفقدهم　　فلترك ما لم يأخذوا إعطاء

لا تكثر الاموات كثرة قلة　　الا اذا شقيت بك الاحياء

والقلب لا ينشق عما تحته　　حتى تحل به لك الشحناء

ابدأت شيئاً منك يعرف بدؤه　　واعدت حتى انكر الابداء

فالفخر عن تقصيره بك ناكب　　والمجد من ان تستزاد براء

فاذا سئلت فلا لانك محوج　　واذا كتمت وشت بك الالاء

واذا مدحت فلا لتكسب رفعة　　للشاكرين على الاله ثناء

واذا مطرت فلا لانك مجدب　　يسقى الخطيب وتمطر الدأماء

لم تحك نائلك السحاب وانما　　حمت به فصبيبها الرمضاء

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا　　الا بوجه ليس فيه حياء

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو　　عقمت بمولد نسلها حواء

اللذ لغة في الذي يقول لو لم تكن من هذا الورى الذي كأنه منك لانك جماله وشرفه وافضله لكانت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ولكن بك صار لها ولد وهذا البيت مما اعتل لفظه ولم يصح معناه فاذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر ثم ظفر به بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل ومما يشان على ابي الطيب قوله في المدح

اني يكون ابا البريا آدم وابوك والثقلان انت محمد

وتقديره اني يكون آدم ابا البرايا وابوك محمد وانت الثقلان

وقال من نسيب قصيدة

اذا عذلوا فيها اجبت بانة حبيبتا قلبا فوأدا هيا جمل

اراد يا حبيبتي ثم ابدل الياء من حبيبتي الفا تخفيفاً وقلبي منصوب لانه بدل من حبيبتا وفوأدي بدل من قلبي وهذا كقولك اخي سيدي مولاي نداء بعد نداء ويقال في النداء يا زيد وايا زيد وهيا زيد واشباه هذا كثير في شعره كقوله

لساني وعيني والفوأد وهمتي اود اللواتي ذا اسمها منك والشطر

ومما ينعى على ابي الطيب التعسف في اللغة والاعراب وهو مما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عند المحتجين عنه اعتذار له ومناضلة دونه كقوله

فدى من على الغبرآء اولهم انا لهذا الابي الماجد الجائد القرم

ولم يحك عن العرب الجائد وانما المحكى رجل جواد وفريق جواد ومطر جواد وهذا من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي واولها

ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم

فلو لم تغر لم تزو عني لقائكم ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي

وقال محمد بن وهيب في هذا المعنى

وحاربني فيه ريب الزمان كأن الزمان له عاشق

وقال البحتري

قد بين البين المفرق بيننا عشق النوى لربيب ذاك الربرب

امنعمة بالعودة الظبية التي بغير ولي كان نائلها الوسمي

اصل هذا المعنى مع كثرة تداوله لبشار حيث قال

قد زرتني زورة في الدهر واحدة ثني ولا تجعليها بيضة الديك

وقبل البيت الذى فيه لفظة جائد

اذاق الغواني حسنه ما اذاقني　　　وعف لجازاهن عني على الصرم

ومعني هذا البيت ظاهر ولكن عيب عليه قافيته فانها وان كانت في اصل اللغة بمعنى القطع لكن غيرتها العامة وجعلتها داله على ما يقبح ذكره وهذه الكلمة وما يجري مجراها لايعاب البدوي على استعمالها لان الالفاظ لم تتغير في زمنه كقول ابي صخر الهذلي

قد كان صرم في الحياة لنا　　　فعجلت قبل الموت بالصرم

فانه لايعاب عليه كما عيب على المتنبي وكقوله

فارحام شعر يتصلن لدنه　　　وارحام مال لاتنى تتقطع

وتشديد النون من لدن غير معروفه في لغة العرب قال ابن جنى لدنه فيه قبح وبشاعة اذ لم يكن بعد النون نون وروي يتصلن بجوده وبعد هذا البيت

فتى الف جزء رأيه في زمانه　　　اقل جزيء بعضه الرأي اجمع

الف جزء خبر مبتدأ وهو رأيه واقل مبتدأ بعضه الرأي خبره وهذان البيتان من قصيدة اولها

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا　　　فلم ادر الظاعنين اشيع

اشاروا بتسليم لجدنا بانفس　　　تسيل من الاماق والسم ادمع

حشاي على جمر ذكي من الهوى　　　وعيناي في روض من الحسن ترتع

الى ان قال في اثنائها في وصف القلم

خبت نار حرب لم تهجها بنانه　　　واسمر عريان من القشر اصلع

جعل القلم اصلعاً لينته وملاسته كالرأس الاصلع

نحيف الشوى يعدو على رأسه　　　ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع

يقول هذا القلم رقيق الاطراف يريد رقة خلقته وام رأسه وسطه ويحفى اي يكل عن المشى فيقوي عدوه اذا قط

يمج ظلاماً في نها لسانه　　　ويفهم عمن قال ما ليس يسمع

ذباب حام منه انجى ضريبــة واعصى لمولاه وذا منه اطوع
بكف جواد لو حكتها سحابــة لما فاتها في الشرق والغرب موضع

وقال ابو تمام فيه من قصيدة اولها

متى انت عن ذهلية الحي ذاهل وقلبك منهــا مدة الدهر آهل

مخاطبا لابي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعــلى الذي بشبــابه تصاب من الامر الكلي والمفاصل
لك الخلوات اللاء لولا نجيهــا لما احتلفت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعي القاتلات لعــابه وارى الجنا اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكــن وقعها بآثــاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكــب واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ماامتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنــا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهر الجــلي واقبلت اعاليه في القرطــاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الانــامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف ضنا وسمينا خطبه وهو نــاحل

وقال بعض مداح العلامة المخدوم بهذا الكتاب من قصيدة اولها

غفر القرب ما جناه البعاد وأكنته في الهوي الاكباد

الى ان قال في وصف القلم

ذو يراع اذا متى ينبت الدر بأرض القرطاس منه المداد
اسمر ليس بمثله يحسن الابيض فعلا والاسمر المنــأد
علم في العلوم يمشى على بيداء نور فيظهر الارشــاد
ذي بيــان لولاه اخفت مرور الدهر ما شاده قديمــا وناد
كل علم يرام منه اذا مــا تدخوا رأسه به يستفاد

لهفى على تلك الشواهد فيهما لو امهلت حتى تكون شمائلا

وقال ابو الطيب

بداوله وعد السحابة بالروي وصد وفينا غلة البلد المحل

فوافقه بالمعنى وزاد عليه بقوله وفينا غلة البلد المحل وهاك ما اختلفا فيه فان ابا الطيب اشعر فيه من ابي تمام ايضا وذاك ان معناه امتن من معناه ومبناه احكم من مبناه فان ابا الطيب قال

عزاؤك سيف الدولة المقتدى به فانك نصل والشدائد للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من بيتي ابي تمام الذين هما

ان ترز في طرفي نهار واحد رزأين هاجا لوعة وبلابلا

فالثقل ليس مضاعفاً لمطية الا اذا ما كان وهما بازلا

انما يضاعف للبازل من المطايا

تخون المنايا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا اشرف من بيتي ابي تمام الذين هما

لاعروان فتنان من عيدانه لقيا حماماً للبرية آكلا

ان الاشاء اذا اصاب مشذب منه اتمهل ذرى واث اسافلا

وكذلك قول ابي الطيب

الست من القوم الالى رماحهم نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

تسليهم علياؤهم عن مصابهم ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتي ابي تمام الذين هما

شمخت خلالك ان يؤسيك امرؤ او أن تذكر ناسيا او غافلا

الا مواعظ قادها لك سمحة اسجاح لبك سامعا اوقائلا

ومن تأمل هاتين القصيدتين لهذين الشاعرين المفلقين علم فضل ابي الطيب على ابي تمام ورأى قولي ما قالت حزام ومما توارد ابو عبادة البحتري وابو الطيب

المتنبي على وصف الاسد ومبارزته فحكم لأبى الطيب المتنبي على البحتري وذلك ان بشر بن عوانة العبدي سبقهما الى هذه الطريقة في قصيدته الرائية وهي النمط العالي الذي لم ينسج على مواله وكل الشعرآء لم تسموا قرائحهم الى استخراج معنى ليس بمذكور فيها

افاطم لو شهدت ببطن خبت | وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا
اذاً لرأيت ليثاً أم ليثاً | هزبراً اغلباً لاقى هزبرا
تقدم ثم احجم عنه مهري | محاذرة فقلت عقرت مهرا
انل قدمي ظهر الارض اني | وجدت الارض اثبت منك ظهرا
وقلت له وقد ابدى نصالا | محددة ووجهاً مكفهرا
يدل بمخلب وبحد ناب | وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقي | بمضربه قراع الحرب اثرا
الم يبلغك مافعلت ظباه | بكاظمة غداة لقيت عمرا
وقلبي مثل قلبك ليس يخشى | مصاولة فكيف يخاف ذعرا
وانت تروم للاشبال قوتا | واطلب لابنة الاعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي ان يولى | ويجعل في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس ياليث غيري | طعاما ان لحمي كان مرا
فلما ظن ان الغش نصحي | وخالفني كأني قلت هجرا
مشى ومشيت من أسدين راما | مراما كان اذ طلباه وعرا
يكفكف غيلة إحدى يديه | ويبسط للوثوب علي أخرى
هززت له الحسام فخلت اني | شققت به لدى الظلماء فجرا
وجدت له بجائشة أرته | بان كذبته مامنته غدرا
واطلقت المهند من يميني | فقد له من الاضلاع عشرا
فخر مضرجا بدم كأني | هدمت به بناء مشمخرا

وقلت له يعز علي اني .قتلت مناسي جلداً وقسرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه سواك فلم اطق ياليث صبرا
فان تك قد قتلت فليس عار فقد لاقيت ذا طرفين حرا

وقال ابو عبادة البحتري في قصيدته التي اولها

أجدك لاينفك يسري لزينبا خيال اذا آب الظلام تاوبا

وفي أثنائها تعرض لذكر الاسد ومبارزة الفتح بن خاقان له قال

وما نقم الحساد الا اصالة لديك وفعلا اريحياً مهذبا
وقد جربوا بالأمس منك عزيمة فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر يحدد نابا للقاء ومخلبا
اذاشاء غادى عانة او غدا على عقائل سرب ان تنقص ربربا
شهدت لقد انصفته حين تنبري له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم ار ضرغامين اصدق منكما عراكا اذا الهيابة النكس كذبا

وانتقد على البحتري هذا البيت فان قوله الهيابة النكس كذبا تفريط في المدح وكان ينبغي ان يقول اذا البطل كذب والا فاي مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي يفر فيه الجبان وهلا قال كما قال ابو تمام

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى مفراً غداة المأزق ارتاد مصرعا
هزبر مشى يبغى هزبراً واغلب من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا
أذل بسيف ثم هالته صولة رآك لها امضى جنانا واشغبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ولم ينجه اذ حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لاعزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

انتهت النوبة الى ابى الطيب قال بمدح بدر بن عمار وقد خرج الى اسد فهاجه عن فرسه فوثب على كفل فرسه واعجله عن استلال سيفه فضربه بسوطه فزل عن

كفل فرسه ودار به الجيش فقتل وخرج الى اسد آخر فكر عليه فهرب الاسد منه بقصيدة اولها

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

الى ان قال

امعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا انه لايعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا
القى فريسته وبربر دونها وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في اقدامه وتخالفا في بذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كلاهما متنا ازل وساعداً مفتولا
في سرج ظامئة الفصوص طمرة تعطى مكان لجامها مانيلا
نيالة الطلبات لولا انها يأبى تفردها لها التمثيلا
تندي سوالفها اذا استحضرتها ويظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغى الى مافي الحضيض سبيلا
وكأنه غرته عين فادنى لايبصر الخطب الجليل جليلا

أنف الكريم من الدنية تارك　　في عينــه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف　　من حتفــه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبــة هاجم　　لو لم تصادمه لجازك ميــلا
خذلته قوته وقد كافحته　　فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقــه　　فكأنما صادفتــه مغلولا
سمع ابن عمتــه به وبحاله　　فنجا يهرول منك أمس مهولا
وامر مما فر منــه فراره　　وكقتله الا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجرأة خلة　　وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

والذي يشهد به الحق ان معاني ابي الطيب اكثر عدداً واسد مقصداً الا ترى ان البحتري قد قصر بجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه اخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك واما ابو الطيب فانه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله

امعفر الليث الهزبر بسوطه　　لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انه تفنن في ذكر الاســد فوصف صورته وهيئته ووصف احواله في انفراده في خيلائه وفي هيئة مشيه واختيــاله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ثم ذكر الانفة والحمية التي بعثت الاسد على قتل نفسه لقاء الممدوح واخرج ذلك في احسن مخرج وابرزه في احسن معنى ولفطـانة ابي الطيب لم يتعرض لما ذكر بشر في ابياته التي ذكرناها لعلمه ان بشراً قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله ولم يقع فيما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً ولما كان الامر كذلك عدل ابو الطيب عن سلوك تلك الطريقة وسلك غيرها فجاء فيما اورده مبرزاً فان بشراً قال

اذا لرأيت ليثــا أم ليثا　　هزبراً اغلبــا لاقى هزبرا

مشي ومشيت من اسدين راما ... مراماً كان اذ طلباه وعرا

وقال البحتري

فلم ار ضرغامين اصدق منكما ... عراكا اذا الهيامة النكس كذبا

هزبر مشى يبغي هزبرا واغلب ... من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا

قال بشر

وقلت له وقد ابدى نصالا ... محددة ووجها مكفهرا

يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا

وقال البحتري

غداة لقيت الليث والليث مخدر ... يحدد ناباً للقاء ومخلبا

ومما توارد عليه ابو الطيب وابو عبادة البحتري في وصف السيف: قال ابو الطيب

كفرندي فرند سيفي الجراز ... لذة العين عدة للبراز

تحسب الماء خط في لهب النا ... ر ادق الخطوط في الاحراز

كلما رمت لونه منع النا ... ظر موج كأنه منك هازي

ودقيق قذى الهباء انيق ... متوال في مستو هزهاز

ورد الماء فالجوانب قدرا ... شربت والتي تليها جوازي

حملته حمائل الدهر حتى ... هي محتاجة الى خراز

وهو لا تلحق الدماء غرار ... يه ولا عرض منتضية المخازي

يا مزيل الظلام عني وروضي ... يوم شربي ومعقلي في البراز

واليماني الذي لو اسطعت كانت ... مقلتي غمده من الاعزاز

ان برقي اذا برقت فعالي ... وصليلي اذا صللت ارتجازي

لم احملك معلماً هكذا ... الا لضرب الرقاب والاجواز

ولقطعي بك الحديد عليها ... فكلانا لجنسه اليوم غازي

سله الركض بعد وهن بنجد | فتصدى للغيث اهل الحجاز
وتمنيـــت مثله فـــكأني | طالب لابن صالح من يوازي

ومن قصيدته الاسديه

وكأن برقا في متون غمـــامة | هندية في كفـــه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهبـــاً | لو كن سيلا ما وجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كـانمـــا | يبدين من عشق الرقاب نحولا

ومن قصيدته االنوروزية

قلـــدتني يمينــــه بحسام | اعقبت منه واحداً اجداده
كلما استل ضاحكته اياة | تزعم الشمس انها آراده
مثلوه في جفنه خشية الفقد | ففي مثل أثره اغمـــاده
منعل لا من الحفا ذهباً | يحمل بحرا فرنده ازباده
يقسم الفـــارس المدجج لا | يسلم من شفرتيه الا بداده
جمع الدهر حـــده ويديه | وثنائي فاستجمعت آحاده
وتقلدت شامة في نداه | جلدهـــا منفساته وعتاده

سيفية البحتري

قال البحتري من قصيدته التي اولها

اهلا بذلكم الخيال المقبل

قد جدت بالطرف الجواد فثنه | لاخيك من ادد ابيك بمنصل
يتناول الروح البعيـــد مناله | عفواً ويفتح في القضاء المقفل
بانـــارة في كل حتف مظلم | وهدايـــة في كل ارض مجهل
ماض وان لم تمضه يد فـــارس | بطل ومصقول وأن لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنـــة | من حده والدرع ليس بمعقل

مصغ الى حكم الردى فاذا مضى　　لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متألق يفري بأول ضربة　　ما ادركت ولو انها في يذبل
واذا اصاب فكل وشي مقتل　　واذا اصيب فماله من مقتل
وكأنما سود النمال وحمرها　　دبت بأيد في قراه وأرجل
وكأن شاهره اذا استعصى به　　في الروع يعصي بالسماك الاعزل
حملت حمائله القديمة بقلة　　من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن تعسفات ابي الطيب قوله

شديد البعد من شرب الشمول　　ترنج الهند او طلع النخيل

والمعروف عند العرب الاترج والترنج مما يغلط فيه العامة

قال الصاحب لا ادري الاستهلال احسن ام المعنى ابدع ام قوله ترنج افصح وكقوله

بيضاء يمنعها تكلم دلها　　تيها ويمنعها الحياء تميسا

فنصب تميس مع حذف ان وهو ضعف عند اكثر النحويين وكقوله

وتكرمت ركباتها عن مبرك　　تقعان فيه وليس مسكا ازفرا

فجمع الركبات ثم انتقل الى التثنية فقال تقعان وهو ضعيف وغير سديد في صنعة الاعراب وكقوله

ليس الاك ياعلي همام　　سيفه دون عرضه مسلول

وقوله

لم تر من نادمت الاك　　لا لسوى ودك لي ذاكا

فوصل الضمير بالا وحقه ان ينفصل عنه كما قال تعالى (ضل من تدعون الا اياه) وكقوله

ابعد بعدت بياضا لا بياض به　　لانت اسود في عيني من الظلم

والف التعجب لاتدخل على الف افعل انما يقال اشد سوادا وحمرة وحضرة

وكقوله

جللا كما بي فليـــك التبريح اغداء ذا الرشاء الاغن الشيح

وحذف النون من يكن اذا استقبلها الالف واللام خطاء عند النحويين لانهـا تتحرك الى الكسرة وانما تحذف استخفافاً اذا سكنت وكقوله

امط عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوقي وما احد مثلي

والتشبيه بما محال وكقوله

لعظمت حتى لو تكون امانة ما كان مؤتمن بها جبرين

قال الصاحب وقلب هذه اللام الى النون ابغض من وجهه المنون ولا احسب جبريل عليه السلام يرضى منه بهذا المجان هذا على ما في معنى البيت من الفساد والقبح وكقوله

حملت اليه من ثنائي حديقة سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

اي سقي السحائب الرياض

تفكره علم ومنطقـــه حلم وباطنه دين وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لانه لم يجيء عن العرب مفاعيلن في عرض الطويل غير مصرع وانما جاء مفاعلن قال الصاحب ونحن نحاكمه الى كل شعر للقدمـــاء والمحدثين على بحر الطويل فما نجد له عن خطابه مساعداً وقال القاضي ابو الحسن وقد عيب ايضاً بقوله

انما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

لانه اخرج الرمل على فاعلاتن واجرى جميع القصيدة على ذلك في الابيات غير المصرعة وانما جاء الشعر على فاعلن وان كان اصله في الدائرة فاعلاتن ومنها استعماله الغريب الوحشي واذا كان المتنبي من المحدثين بل من العصريين وجرى على رسومهم في اختيار الالفاظ المعتادة المألوفة بينهم بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ثم تعاطى الغريب الوحشي والشاذ البدوي بل ربما زاد في ذلك على اقحاح المتقدمين

وحصل كلامه بين طرفي نقيض وتعرض لاعتراض الطاعنين فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه وتعلق موقعه في شعره وشعر غيره من ابناء عصره قوله

وما ارضى لمقلته بحلم ‏ ‏ ‏ ‏ اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

والابتشاك الكذب ولم اسمع فيه شعراً قديماً ومحدثا سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث

لساحيه على الاجداث حفش ‏ ‏ ‏ ‏ كايدي الخيل ابصرت المخالي

الساحي القاشر ومنه سميت المسحاة لانها تقشر الارض والحفش مصدر حفش السيل حفشا اذا جمع الماء من كل جانب الى مستنقع وقوله في وصف السيف

ودقيق قذى الهباء انيق ‏ ‏ ‏ ‏ متوال في مستو هزهاز

قذى بمعنى مقدار يقال بينهما قيد رمح وقاد رمح وقدا وقوله

اركائب الاحباب ان الادمعا ‏ ‏ ‏ ‏ تطس الخدود كما تطسن اليرمعا

تطس اي تدق واليرمع الحجارة البيض الرخوة وقوله

والى حصى ارض اقام بها ‏ ‏ ‏ ‏ بالناس من تقبيله يلل

اليلل اقبال الاسنان وانعطافها على باطن الفم ولم يسمع في شعر غيره وقوله

الشمس تشرق والسحاب كنهورا

الكنهور القطعة العظيمة من السحاب وقوله

وقد غمرت نوالا ايها النال

والنال المعطى وقوله

اسائلها عن المتديريها

قال الصاحب لفظة المتديريها لو وقعت في بحر صاف لكدرته ولو القي ثقلها على جبل ساحة لهده وليست للمقت فيها نهاية ولا للبرد معها غاية والمتديروها المتخذوها دارا قال الصاحب ومن اطم ما يتعاطاه التفاصح بالالفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء وغذي لبن ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر فمن ذلك قوله

ايفطمه التوراب قبل فطامه   ويأكله قبل البلوغ الى الاكل

وليس ذلك سائغا لمثله وهو وليد قريته ومعلم صبيته ومن الجموع الغريب التي يوردها قوله في الارض

اروض الناس من ترب وخوف   وارض ابي شجاع من امان

وقوله في جمع اللغة . عليم باسرار الديانات واللغى ،وفي جمع الدنيا (اعز مكان في الدنا سرج سابح) وفي جمع الاخ

(كل اخاية كرام بني الدنيا)   قال الصاحب لو وقع الاخاء في راية الشماخ لا استثقل فكيف مع ابيات منها

قد سمعنا ما قلت في الاحلام   وانلناك بدرة في المنام

والكلام اذا لم يتناسب زيفته جهابذته وبهرجته نقاده

ذكر ماوقع في شعره من الركاكة والسفسفة بالفاظ العامة والسوقة ومعانيهم كقوله

رماني خساس الناس من صائب استه   وآخر قطن من يديه الجنادل

وان مارأيتني فاركب حصانا   ومثله تخر له صريعا

ان كان لايدعى الفتى الا كذا   رجلا فسم الناس طرا اصبعا

قسا فالأسد تفزع من يديه   ورق فنحن نفزع ان يذوبا

تألم درزه والدرزلين   كما تتألم الغصب الصنيعا

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لخطة الطولونية المغنية مايشبه معنى هذا البيت وهو انه قال سمعتها تقول ياجارية على بالقميص المعمول في النسيج فقد آذاني ثقل الدرز وقوله

لسري لباسه خشن القطن   ومروي مرو لبس القرود

ما انصف القوم ضبه   وامه   الطرطبة

رموا براس ابيه   وباكوا الام غلبه

(ولفظ دريك الدر مخشلبا) كذا ...

ان كان مثلك كان او هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام

قال الصاحب حينئذ هاهنا انفر من عير منفلته قال ومن ركيك صنعته في وصف شعره والرزاية على غيره قوله

ان بعضاً من القريض هراء ليس شيأ وبعضه احكام

فيه مايجلب البراعة وفيه مايجلب البرسام وقال وها هنا بيت ترضى باتباعه فيه وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وابراء زنده وان لم يكن التحكيم بعد ابي موسى من موجب العزم ومقتضى الحزم

اطعامك طول الدهر يابن بن يوسف بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الأهوان

فكأنما حسب الاسنة حلوة او ظنها البرني والازاذا

قال الصاحب اذا جمع السكر الى البرني والازاذ تم الامر قال وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيهاً لا لفظاً عما يستشنع ذكره حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتد اليه غيره فقال

انى على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر احسن من هذا العفاف قال القاضي ومن امثاله العامية قوله

وكل مكان اتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخطى

ومنها ابعاد الاستعادة والخروج بها عن حدها كقوله

مسرة في قلوب الطيب مغرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان احداها

لم تحك نائلك السحاب وانما حمت به فصبيبها الرحضاء

الا يشب قد شابت له كبد شيباً اذا اخضبته نصلا

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ماقلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبا وللسحاب حمى وللزمان فؤادا وللكبد شيبا وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد وانما تصلح لاستعارة

وتحس على وجه من الوجوه المناسبة وطرق من الشبه والمقاربة ،

قال الصاحب وما زلنا من قول ابى تمام

(لاتسقني ماء الملام فخف) (علينا بحلواء البنين)

ومنها الاستكثار من قول ذا قال القاضي وهي ضعيفة في صنعة الشعر دالة على التكلف وربما وافقت موضعا تليق به فاكتسبت قبولا فاما في مثل قوله

قد بلغت الذي اردت من البر ومن حق ذا الشريف عليكا

واذا لم تسر الى الدار في وقتك ذا خفت ان تسير اليكا

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه بجماله

وان جزعنا له فلا عجب ذا الجزر في البحر غير معهود

أفي كل يوم ذا الد مستق مقدم قفاه على الاقدام للوجه لائم

ابا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا اليه وذا الوقت الذي كنت راجيا

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

اريد من زمني ذا ان يبلغني ماليس يبلغه من نفسه الزمن

(يضاحك في ذا اليوم كل حبيبه) فهو كما تراه سخافة وضعف ولو تصفحت شعره لوجدت فيه اضعاف ماذكرناه من هذه الاشارات وانت لاتجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفا والمحدثون اكثر استعانة بها لكن في الفرط والندرة او على سبيل الغلط والفلتة ومنها الافراط في المبالغة والخروج فيه الى الاحالة كقوله

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهم دبيبا

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

فبعده والى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفل ماسعلا

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا

واقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العبـــاد له شمالا
بمن اضرب الامثال ام من أقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهر
ولو قلم القيت في شق رأســه من السقم ماغيرت من خط كاتب
من بعد ماكان ليلي لا صباح له كأن اول يوم الحشر آخره

فهو مما لا يستهجن في صنعة الشعر على ان كثيراً من النقدة لا يرتضون هــذا الافراط . (تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين كقوله)

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهله علي انه بي جاهـــل

وقوله في هذه القصيدة

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقـــل عيس كلهن قلاقل

قال الصاحب وما زال الناس يستبشعون قول مسلم

سلت وسلت ثم ســل سليلها فاتى سليــل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع فقال

وافجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقـــد مفقود المثال

واظن المصيبة في الرأي اعظم منها في المراثي وقوله

(عظمت فلما لم تكلم مهـــابة تواضعت وهو العظم عظما عن العظم)

قال الصاحب وما احسن ماقال الاصمعي لمن انشده

فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال

لو سلط الله على هذا البيت شاة لاكلت هذا النوى كله وقوله

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف
ولم ار مثـــل جيراني ومثلي لمثلي عنـــد مثلهم مقـــام
العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن
واني وان كان الدفين حبيبه حبيب الى قلبي حبيب حبيبي
لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير الـــلاذقية لاحق

ملولة ماتدوم ليس لهـــا   من ملل دائم بها ملـــل
قبيـل انت انت وانت منهم   وجـــدك بشر الملك الهمام
وكلكم اتى مأتى ابيـــه   فكل فعال كلكم عجاب
وما اناوحدي قلت ذا الشعر كله   ولكن شعري فيك من نفسه شعر
انما الناس حيث انت وماالنا   س بناس في موضع منك خالي
ولولا تولي النفس حمـل جميله   عن الارض لانهدت وناء بها الحمل
ونهب نفوس اهل النهب اولى   باهل النهب من نهب القماش
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده   وضرب كأن النار من حره برد
اراه صغيراً قدرها عظم قدره   فما لعظيم قدره عنـــده قدر
جواب مسائلي أله نظـــير   ولا لك في سؤالك لا الا لا

قال الصاحب ماقدرت ان مثل هذا البيت يلج سمعاً وقد سمعت بالفافا ولم اسمع باللالا حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لايقف حيث يعرف اسأت الادب بالادب كقوله

فغدا اسيراً قد بللت ثيابه   بدم وبـــل ببوله الافخاذا
وما بين كاذتي المستغير   كما بين كاذتي البـــائل
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع   فان لحت حاضت في الخدور العواتق

ويقال لما انكرت عليه حاضت غيره فجعله ذابت وذكر البول والحيض مما لايحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء واقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها اخت سيف الدولة ويعزيه عنها حيث قال

وهل سمعت سلاما لي الم بها   فقداطلت وما سلمت عن كثب

وما باله يسلم على حرم الملوك ويذكر منهن مايذكره المتغزل في قوله

يعلمن حين تحيا حسن مبسمها   وليس يعلم الا الله بالشنب

وكان ابوبكر الخوارزمي يقول لو عزاني انسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته

بها وضربت عنقه على قبرها قال الصاحب ولقـــد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء ادب النفس وما ظنك بمن يخاطب ملكا في امه بقوله

بعيشك هل سلوت فان قلبي   وان جانبت ارضك غير سال

فيتشوق اليها ويخطيء خطأ لم يسبق اليه وانما يقول مثل ذلك من يرثي بعض اهله فاما استعماله اياه في هذا الموضع فانه دال على ضعف النظر بمواقع الكلام وفي هذه القصيدة

رواق العز فوقك مسبطر   وملك علي ابنك في كمال

ولعل لفظة الاسبطر ارق مراثي النساء من الجذلان الرقيق الصفيق المنير قال ولما ابدع في هذه القصيدة واخترع قال

صلاة الله خالقنا حنوط   على الوجه المكفن بالجمال

فلا ادري هذه الاستعارة احسن ام وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال ام قوله في وصف قرابتها وجوارها

اتتهن المصيبة غافلات   فدمع الحزن في دمع الدلال

الايضاح عن ضعف القصيدة ورقة الدين على ان الديانة ليست عياراً على الشعراء ولا سؤ الاعتقاد سببا لتأخير الشاعر ولكن الاسلام حقه من الاجلال الذي لايسوغ الاخلال به قولا ولا فعلا ونظما ونثراً ومن استهان بامره ولم يضع ذكره وذكر مايتعلق به في مواضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى وتعرض لمقته في وقته وكثير ماقرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله

يترشفن من فمي رشفات   هن فيه احلى من التوحيد

ويعصي الذي يكنى ابا الحسن الهوى   ويرضى الذي يسمى الاله ولا يكني

وقوله من قصيدة مدح بها العلوى

وابهر آيات التهامى انه   ابوكم واحدى مالكم من مناقب

تتقاصر الافهام عن ادراكه　　مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقد إفرط جداً لان الذي الافلاك فيه والدنى هو علم الله عز وجـــل وقوله

الناس كالعابدين آلهـــة　　وعبده كالموحـــد اللاها

لوكان علمك في الاله مقسما　　في الناس مابعث الاله رسولا

او كان لفظك فيهم ما انزل　　التورات والفرقان والانجيلا

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه　　لما اتى الظلمات صرن شموسا

او كان صادف رأس عازر سيفه　　في يوم معركة لأعيا عيسى

عازر اسم الرجل الذي احياه المسيح عليه الصلوة والسلام باذن الله عز وجل وقوله

او كان لج البحر مثل يمينه　　ما انشق حتى جاز فيه موسى

وكأن المعانى اعيته حتى التجأ الى استصغار امور الانبياء وفي هذه القصيدة

يامن نلوذ من الزمان بظله　　ابداً ونطرد باسمـــه ابليسا

وقوله وقد جاوز حد الاساءة

اي محل ارتقي　　اي عظيم اتقي　　وكل ماقد خلق

الله وما لم يخلق　　محتقر في همتي　　كشعرة في مفرقي

وقبيح في من أوله نطفة مدرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل بول وعذره ان يقول مثل هذا الكلام الذي لاتسعه مقدرة

الغلط بوضع الكلام غير موضعه كقوله

اغار من الزجاجة وهي تجري　　على شفة الامير ابى الحسين

وهذه الغيرة انما تكون بين المحب ومحبوبه كما قال ابو الفتح كشاجم

اغار اذا دنت من فيه كأس　　على در يقبـله زجاج [١]

---

[١] انتهت الزيادة وقد بلغت (٢٤) صفحة من (٢٠٩) الى هنا وفيها تصحيف لم نهتد الى صوابه أثبتناه على علاته

فاما الامراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها وكقوله

وغر الدمستق قول الوشـــا   ة أن عليـــاثقيل وصب

فجعل الامراء يوشى بهم وانما الوشاية السعاية ونحوها ومن شأن الممدوح ان يفضل على عدوه ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس بسائغ في اللغة ان يقال وشى فلان بالسلطان الى بعض رعيته وكقوله في وصف الحرقة

اذا مـــا فارقتني غسلتني   كأنا عا كفان على حرام

وليس الحرام اخص بالاغتسال منه من الحلال وكقوله في وصف مهرة

(وزاد في الاذن على الخرانق)

واذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب وتشبه بطرف القلم واذن الارنب على الضد من هذا الوصف

ومنها امتثال الفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة في مثل قوله في وصف فرس

(سبوح لهامنها عليها شواهد)

وقوله

اذا ما الكاس ارعشت اليدين   صحوت فلم تحل بيني وبيني

وقوله

افيـــكم فتى حي يخـــبرني عني   بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله

قال الذي نلت منه مني   لله مـــا تصنع الخمور

وقوله

كبر العيان عـــلي حتى انه   صار اليقين على العيان توهما

وقوله

وبه يضن على البرية لابهـــا   وعليه منها لا عليهـــا يرتشي

وقوله

ولولا انني في غـــير نوم لـكنت اظنني مني خيـــالا

قال الصاحب ولو وقع قوله

ونحن من ضايق الزمان له فيـ ـك وخانته من قربك الايـــام

في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعته المتصوفة دهرا بعيدا (ومن) اشد ما قاله في هذا المعنى

ولكنك الدنيا الي حبيبة فما عنك لي الا اليك ذهاب

(ومنها) الخروج عن رسم الشعراء الى الفلسفة كقوله

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بـــكاء

وقوله

إلف هذا الهوأ او وقع في الانـ ـفس ان الحمام مر المذاق

وقوله

والاسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لا يكون بعد الفراق

وكقوله

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وقوله

خلقت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسمعي من ابصرا

وقوله

تمتع من سهـــاد او رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فأن لثالث الحـــالين معنى سوى معنى انتباهك والمنـام

قال ابن جنى ارجوا ان لا يكون اراد بذلك ان نومة القبر لا انتباه لها

(ومنها) استكراه التخلص قال القاضي لعلك لا تجد في شعره تخلصا مستكرها الا قوله

أحبك أو يقولوا جر نمل ثبيراً وابن ابراهيم ريعا

فهذا تخلص ليس عليه شيء من الجمال وههنا يكون الاقتضاب احسن من التخلص . فينبغي لسالك هـــذا الطريق ان ينظر الى مايصوغه فان أتاه التخلص حسناً أتى به والا فليدعه

وكذلك قال في قصيدته التي اولها

احيا وايسر ماقاسيت ماقتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

ومنها

عل الامير يرى ذلي فيشفع لي الى التي صيرتني في الهوى مثلا

والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما القاه في هذه الهفوة الا ابو نواس حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد هواها لعـــل الفضل يجمع بيننا

على ان أبا نواس اخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه افسده ولم يأت به كما اتى به قيس ولذلك حكاية وهو انه لما هام بلبلى في كل واد وجن بهـــا رق له الناس ورحموه فسعى ابن ابي عتيق الى ان طلقها من زوجها وأعادها الى قيس وزوجها اياه فقال عند ذلك

جزى الرحمن افضل مايجازي على الاحسان خيراً من صديق
فقـــد جربت اخواني جميعاً فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ورأي حرت فيه عن الطريق
واطفأ لوعـــة كانت بقلبي اغصتني حرارتهـا بريقي

واما قوله

فاني وما أتتـــه نفسي كأنما ابو الفرج القاضي له دونها كهف

وقوله

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيـــد بن عبدالله بعرانا

وقوله

اعز مكان في الدنا سرج سابح　　وخير جليس في الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذي له　　على كل بحر زخرة وعباب

فهي وان لم تكن مستحسنة فليست بالمستهجن الساقط (ومنها) قبح المطالع كقوله بعد ابيات احسن فيها غاية الاحسان وترقى فيها الدرجة العالية وهي

ولله سر في علاك وانما　　كلام العدى ضرب من الهذيان
وتلتمس الاعداء بعد الذي رأت　　قيام دليل او وضوح بيان
رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى　　بغدر حياة أو بغدر زمان

ومنها

قضى الله يا كافور انك واحد　　وليس بقاض ان يرى لك ثاني
فما لك تختار القسي وانما　　عن السعد يرمى دونك الثقلان
وما لك تعنى بالاسنة والقنا　　وجدك طعان بغير سنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده　　وانت غني عنه بالحدثان
أرد لي جميلا جدت او لم تجد به　　فانك ما احببت في أتاني

هذا البيت الذي هو عوذتها

لو الفلك الدوار ابغضت سعيه　　لعوقه شيء عن الدوران

وكقوله في قصيدة منه

(١) في خطه من كل قلب شهوة　　حتى كأن مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه　　حتى كأن مغيبه الاقذاء

هذا البيت الذي جعله المقطع

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو　　عقمت بمولد نسلها حواء

وكقوله في آخر قصيدة

خلت البلاد من الغزالة ليلها　　فاعا ضهاك الله كي لا تحزنا

---

(١) مابين القوسين من زياداته الخطية

وكقوله في التصغير (حبيبا قلبا فؤادا هيا جمل)

وقوله   نام الخويلد عن ليلتنا

وقوله   أفي كل يوم تحت ضبني شويعر

فقد كان مولعاً بالتصغير لايقنع من ذلك بخلسة المغير ولا ملامة عليه انما هي عادة صارت كالطبع فما حسن منها مأنوس الربع ولكنها تغتفر مع المحاسن هكذا قال المعري في رسالة الغفران

(نبذة من محاسنه وروائعه وغرائبه وقلائده وفرائده التي زاد فيها على من تقدم وسبق بها على جميع من تأخر)

فمنها حسن المطلع كقوله

فديناك من ربع وان زدتنا كربا   فانك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة   لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وقوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان

وقوله

اذا كان مدح فالنسيب المقدم   أكل فصيح قال شعر متيم
لحب ابن عبدالله اولى فانه   به يبدأ الذكر الجميل ويختم

وقوله

اعلا الممالك مايبنى على الأسل   والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله في الشكاية

فؤاد ماتسليه المدام   وعمر مثل ماتهب اللئام

وقوله ايضاً

افاضل الناس اغراض لذا الزمن   يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

وقوله

اليوم عهدكم فاين الموعـــد   هيهات ليس ليوم وعدكم غد

الموت اقرب مخلبا من بينكم   والعيش ابعد منكمو لاتبعدوا

وقوله في التهنئة بزوال المرض

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم   وزال عنك الى اعدائك الألم

ومن ابتدآءته التي تسكر للعقول وتفعل فعل الشمول قوله من قصيدة يمدح بها كافوراً ويذكر الصلح بينه وبين ابن سيده وكانت جرت بينهما وحشة فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال:

حسم الصلح ما اشتهته الاعادي   واذاعتـــه السن الحساد

وارادته انفس حال تدبيـ   ـرك ماينها وبيـــن المراد

صار ما اوسع المجبون فيـــه   من عتاب زيادة في الوداد

وكلام الوشاة ليس على الاحـ   ـباب سلطانه على الاضـــداد

انما تنجح المقـــالة في المر   ء اذا وافقت هوى في الفؤاد

وكذلك قوله في اول قصيدة مدح بهـا سيف الدولة وكان بطريق اقسم برأس ملكه انه يعارض سيف الدولة في الضرب ويجتهد في لقائه ويتبين له وسأل ملكه امداده وانجاده ببطارقته وعدده ففعل ذلك فخيب الله ظنه واتعس جده وولى هارباً فافتتح ابو الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم   ماذا يزيدك في اقدامك القسم

وفي اليمين على ما انت واعده   مادل انك في الميعـاد متهم

وقوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر

فراق ومن فارقت غير مذمم   وام ومن يممت خير ميمم

وقوله في الغزل

اريقك ام ماء الغمامة أم خمر   تفيءُ برود وهو في كبدي جمر

وقوله ايضا

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أر أي الظاعنين اشيع

ولأبي تمام ابتداءات غريبة منها لما حاصر المعتصم عمورية زعم اهل التجامة انها لاتفتح فيّ ذلك الوقت وافاضوا في هذا حتى شاع وصار احدوثة بين الناس فلما يسر الله وفتحها على يد المعتصم مدحه ابو تمام بقصيدة عديمة النظير وبنى مطلعها على هذا المعنى فقال

السيف اصدق انباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الارماح لامعة   بين الخميسين لا في السبعة الشهب
اين الرواية أم اين النجوم وما   صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً واحاديثاً ملفقة   ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وهذا من احسن ما يأتي في هذا الباب وكذلك قوله في اول قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر خروج بابك الحرمي عليه وظفره به

الحق ابلج والسيوف عواري   فحذار من اسد العرين حذار

وقوله متغزلا

عسى وطن يدنو بهم ولعلما   وان تعتب الايام فيهم فربما

ومن ابتداآت أبي عبادة البحتري قوله وهو غاية في بابه

بودي لو يهوى العذول ويعشق   فيعلم اسباب الهوى كيف تعلق

واحسن ابتداآت المتقدمين قول امرئ القيس

خليلي مرا بي على أم جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقول النابغة

كليني لهم يا اميمـــة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب

قدمه ابن المعتز وغيره لسلامته على قول امرىء القيس

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لما فيه من عدم التناسب فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت عذب اللفظ سهل السبك ولم يتفق له مثل ذلك في النصف الثاني بل أتى فيه بمعان قليلة في الفاظ غريبة فباين الاول بخلاف بيت النابغة فانه لاتفاوت بين قسميه

(ومن ابتدأ آت المولدين) قول أبي نواس

خليلي هذا موقف من متيم فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقول اسحق الموصلي

هل الى ان تنام عيني سبيل ان عهدي بالنوم عهد طويل

ومن محاسن الابتدأ آت ماذكره المبرد في الروضة قال ان الرشيد غزا غزوة في بلاد الروم وان نقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنـــه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد ولم يجسر احد على اعلام الرشيد لمكان هيبته في صدور الناس وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على ان يقولوا اشعارا في اعلامه فاشفقوا من لقائه بمثل ذلك الا شاعرا من جـــدة يكنى أبا محمد فنظم قصيدة وانشدها الرشيد واولها

نقض الذي اعطيته نقفور فعليه دائرة العذاب تدور

ابشر امير المؤمنين فانه فتح اتاك من الاله كبير

فلما انهى الابيات قال الرشيد أوقد فعل ثم غزاه في بقيـة الثلج وحصل له الفتح ومن لطيف الابتدا آت قول مهيار

اما وهواها عذرة وتنصلا لقد نقل الواشي اليها فأمحلا

فانه ابرز الاعتذار في هيئة الغزل وأخرجه في معرض التشبيب وكان وشى به الى الممدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى (١)(ومن ذلك قول بعض العرقيين)

وراءك اقوال الوشاة الفواجر ودونك احوال الغرام الخامر

ولولا ولوع منك بالصد ماسعوا ولولا الهوى لم انتدب للمعاذر

فسلك مسلك مهيار وزاد عليه في المعاتبة على الأصغاء الى قول الوشاة والاستماع منهم وذلك من اغرب ما قيل في هذا المعنى (٢)

(ومن الابتداءات الحسنة) قول احمد افندي الشاهيني حرسه الله تعالى من قصيدة يمدح بها من تقصر عن ادنى فضائله السنة الاقلام يحي افندي شيخ مشايخ الاسلام متع الله ببقائه الانام المفتي الان بدار السلطنة العثمانية حرسها الله تعالى الى يوم القيامة

لا يسلني عن الزمان سؤول ان عتبي على الزمان يطول

وكذلك قوله ادامه الله تعالى وابقى معاليه

كم اداري ولست ممن يداري ليت قلبي في حبه بالخيـــار

ومن الابتداءات الحسنة قول شيخنا حاكم حلب الشهباء احدى العواصم بدر فلك الفضل وشمس سماء المكارم نجم الدين افندي الانصاري لا ازال ملاحظاً بعين عناية الباري

اترى الزمان يعيد لي ايناسي ويرق لي ذاك الحبيب القاسي

واعلم ان حسن الابتداء يجري في النثر كما يجري في الشعر من ذلك ما قيل لكاتب اكتب الى الامير وعرفه ان بقرة ولدت حيوانا على شكل انسان فكتب بعد البسملة (اما بعد حمد الله الذي خلق الانام في بطون الانعام) ومن ذلك ما كتب ابو اسحاق الصابي عن الخليفة الطائع لله الى الأطراف عند عوده الى كرسي ملكه وزوال ما نزل به من الاتراك فقال (الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن اذا اثلم وكاشف الخطب اذا اظلم والقاض ، للمسلمين بما يضم نشرهم ويشد

(١) مابين القوسين ومن زيادات الخطية (٢) انتهت الزيادة

ازرهم ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفة عليهم واذا شابت ذلك في الاحيان شوائب من الحدثان فلن يتجاوز بهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون الى فضل ما اولاهم الله ووعدهم من ايمان سر بهم واعذاب شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون) واذا نظرت الى فواتح السور رأيت من البلاغة والتفنن ماتقصر عن وصف كنهه العبارة كالتحميدات المفتتح بها اوائل السور وكذا الابتداء بالنداء كقوله في مفتتح سورة النساء (ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) و في سورة الحج (يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) فان مثل هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه و كذا في الابتداء بالحروف نحو الم حم ما يبعث على الاستماع والتطلع نحوه لانه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة ومن بدائع أبي الطيب حسن الخروج والتخلص كقوله

مرت بنا بين تربيها فقلت لها ... من اين جانس هذا الشادن العربا

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ... ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا

وقوله ايضا

وخرق مكان العيس منه مكاننا ... من العيس فيه واسط الكور والظهر

ويوم وصلناه بليل كأنما ... على افقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما ... على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته ان عامرا ... علا لم يمت او في السحاب له قبر

او ابن ابنه الباقي علي بن احمد ... يجود به لو لم اجز ويدى صفر

وقوله

اذا صلت لم اترك مصالا لفاتك ... وان قلت لم اترك مقالا لعالم

والا فخانتني القوافي وعاقني ... عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وقوله

حدق الحسان من الغواني هجن لي　　يوم الفراق صبـــابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غــيرها　　بدر بن عمار بن اسمــاعيلا

وقوله

ولو كنت في اسر غير الهوى　　ضمنت ضمـــان أبي وائل
فدّى نفسه بضمانـــ النضار　　واعطى صدور القنا الذابل

ومما جاء من التخاصات الحسنة قوله

واوردت نفسي والمهنـــد في يدي　　موارد لا يصدرن من لا يجالد
ولـكن اذا لم يحمـــل القلب كفه　　على حالة لم تحمل القلب ســاعد
خليـــلي اني لا أرى غير شاعر　　فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثـــيرة　　ولـكن سيف الدولة اليوم واحد

هذا الـكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى ان الخروج الى مدح الممدوح في هذه الابيات كأنه افرغ في قالب واحد وهو من بدائعه المشهورة

وكذلك قوله ايضا وهو من احسن ما يأتي به من الـخلصات وهو في قصيدته الهائية التي أولها

سرب محاسنه حرمت ذواتها

فقال في أثنائها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها　　ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب بمقـانب غادرتها　　اقوات وحش كن من اقواتها
اقبلتها غرر الجيـــاد كانما　　ايدي بني عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها　　في ظهرها والطعن في لباتها

ومنها

تلك النفوس الغالبات على العلا　　والمجد يغلبها على شـــهواتها

سقيت منابتها التي سقت الورى   بندى أبي أيوب خير نباتها

فانظر الى هذين الخصلين البديعين فالاول خرج به الى مصرع الممدوح والثاني خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد اغرب فيه كل الاغراب وقوله

نودعهم والبين فينا كأنه   قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وهذا النوع مهم من مهمات البلاغة وحقيقته ان يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينما هو فيه اذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن ينقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ افراغاً وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته واما الناثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر اكثر ما يشق على الناثر ومن بديع ما أتى في هذا الباب ونادره قول أبي تمام

تقول في قومس منا وقد اخذت   منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا   فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وقوله ايضا في وصف ايام الربيع

خلق أظل من الربيع كأنه   خلق الامام وهديه المتيسر

في الارض من عدل الامام وجوده   ومن النبات الغض سرج تزهر

تنسى الرياض وما يروض جوده   ابداً على مر الليالي يذكر

وهذا من ألطف التخلصات واحسنها

وكذلك قوله في قصيدته التي اولها

اما الرسوم فقد اذكرن ماسلفا

غيداء جاد ولي الحسن سنتها   فصاغها بيديه روضة انفا

أضحى العذول على تأنيبه كلفا   بعذر من كان مشغولا بها كلفا

يجاهد الشوق طورا ثم يجذبه   جهاده للقوافي في أبي دلفا

وهذا احسن من الذي قبله وادخل في باب الصناعة ولذلك جاء قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا   منهـا طلول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم ان النوى   مروان أبا الحسين كريم

ماحلت عن سنن الوداد ولا غدت   نفسي على الف سواك تحوم

وهذا خروج من غزل الى مديح اغزل منه

(ومن البديع) في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة التي اولها

أيا جارتا بينا ابوك غيور

فقال عند الخروج الى ذكر الممدوح

تقول التي في بيتها خف مركبي   عزيز علينا ان نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب   بلى ان اسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر   جرت فجرى في اثرهن عبير

ذريني اكثر حاسديك برحلة   الى بلد فيه الخصيب امير

والشعراء متفاوتون في هذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المفلق المشهور بالاجادة في ايراد الالفاظ واختيار المعاني كالبحتري فان مكانه من الشعر لايجهل وشعره السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها بعيدا مكانها وكالقناة ليناً مسها خشناً سنانها وهو على الحقيقة قن الشعراء في الاطناب وعنقاؤهم في الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق في التخلص الى المديح بل اقتضبه اقتضابا وليس له من ذلك الا اليسير كقوله في قافية الباء من قصيدة

وكفاني اذا الحوادث أظلمـ   ـن شهابا بعزة ابن شهاب

وكقوله

قصدنا لنجران العراق ركابنا فطلبن ارحبها محـــلة مالك

وقوله

آليت لا تلقين جدا صاعداً في مطلب حتى تناخ بصاعد

وكقوله في قصيدته التي اولها

حلفت لها بالله يوم التفرق

فانه تشوق فيهـا للعراق من الشام فوصف العراق ومنازله ورياضه فاحسن في ذلك كله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل

غنى لفقير أوفكا كالموثق

ثم اخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي اولها

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها

فانه وصف البركة فابدع ثم خرج منها الى مدح المتوكل فقال

كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديها

واحسن ماوجد له وهو ماتلطف فيه كل التلطف قوله في قصيدته التي يمدح بها ابن بسطام ومطلعها

نصيب عينيك من سح وتسجام

قال عند تخلصه

هل الشباب ملم بي فراجعة

وقال

لو انه مائل عمن يجاذبه اذا تطلبته عند ابن بسطام

وله مواضع أخر يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره ومما استظرف في هـذا النوع قول ابن الزمكدم الموصلي

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة وبرد أغانيـــه وطول قرونه

سريت ونومي عن جفوني مشرد　　كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه　　ابو جابر في خبطــه وجنونه

الى ان بدا ضوء الصباح كأنه　　سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات لها حكاية وذاك ان شرف الدولة قرواش صاحب الموصل كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء في جملة هؤلاء الذين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدي مغنياً وسليمان بن فهد وزيراً وابو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر ان يهجو المذكورين ويمدحه فذكر هذه الابيات ارتجالا وهي غريبة في بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى في معانيه المقصودة الى اعلا منزلة فابتدأ البيت الاول بهجو البرقعيدي فهجاه في ضمن مراده وذكر اوصاف ليالي الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرودة والطول وكذلك البيت الثاني والثالث ثم خرج الى المديح بالطف وجه وارق صنعة وهذا يسمى الاستطراد

ومما يجري على هذا الاسلوب ماورد لابن حجاج البغدادي

ألا ياماء دجلة لست تدري　　باني حاسد لك طول عمري

ولو اني استطعت سكرت سكراً　　عليك فلم تكن ياماء تجري

فقال الماء ماهـــذا عجيب　　بما استوجبته ياليت شعري

فقلت له لانك كل يوم　　تمر على أبي الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذاك شيء　　يضيق عن احتمال فيه صدري

ولا يظن انهذا الشيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم من العرب لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع بل قد سبق أولئك الى هذا الاسلوب وان اقلوا منه واكثر المحدثون وأي حسن من محاسن البلاغـــة والفصاحة لم يسبقوا اليــــه وكيف لا وهم اهله ومنهم علم وعنهم فهم فمما جاء للفرزدق قوله

وركب كأن الريح تطلب عندهم　　لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم　　الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا ناراً يقولون ليتهـــا　　وقد خصرت أيديهم نار غالب

فانظر الى هذا الاستطراد ما افحله وافخمه

ومن بدائع أبي الطيب التشبيب بالاعرابيات كقوله

من الجآذر في زي الاعاريب　　حمر الحلى والمطايا والجلابيب
ان كنت تسأل شكا في معارفها　　فمن بلاك بتسهيد وتعذيب
سوائر ربما سارت هوادجها　　منيعة بين مطعون ومضروب

اي لشدة الرغبة فيهن وكثرة الذب عنهن والمحـــارنة دونهن

وربما وخدت ايدي المطي بها　　على نجيع من الفرسان مصبوب
كم زورة لك في الاعراب خافية　　أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي　　وانثنى وبياض الصبح يغري بي
قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها　　وخالفوهـــا بتقويض وتطنيب
فؤاد كل محب في بيوتهم　　ومـال كل اخيـذ المـال محروب
ما أوجه الحضر المستحسنات به　　كأوجه البـدويات الرعابيب
حسن الحضـارة مجلوب بتطرية　　وفي البـداوة حسن غير مجلوب
افدي ظباء فلاة مــا عرفن بها　　مضغ الـكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمـام ماثـلة　　(أ) وراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهـة　　تركت لون مشيبي غـير مخضـوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته　　رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وله طريقة في وصف البدويات وقد تفرد بحسنها فأجاد ما شاء فيها فمنها قوله

هام الفؤاد باعرابية سكنت　　بيتا من القلب لم تمدد له طنبا
مظلومة القد في تشبيهه غصنا　　مظلومة الريق في تشبيهه ضربا

وقوله ايضا

ان الذين وقفت واحتملوا	ايامهم كديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا	معهم وينـــزل كلما نزلوا
في مقلتي رشـــأ تديرهما	بدوية فتنت بهـــا الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها	وصدودها فمن الذي تصل

يصفها بقلة الا كل وهو محمود فيهن جداً

ما أسأرت فى القعب من لبن	تركته وهو المسك والعسل

وقوله

ديار اللواتي دارهن عزيزة	بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثني ينقش الوشى مثله	اذا مسن في اجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله	كأن التراقي وشحت بالمبـاسم

ومنها حسن التصرف في سائر انواع الغزل كقوله

قـد كان يمنعني الحياء من البكا	فاليوم يمنعـه الحيا ان يمنعا
حـــتى كأن لـكل عظم رنة	في جلده ولـكل عظم مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة	سترت محاسنها ولم تك برقعا
فـكأنها والدمع يقطر فوقـه	ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها	في ليـــلة فأرت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها	فأرتني القمرين في وقت معـا

وهي مما يتغنى بها في المجالس لرشاقتها وبلاغتها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى واستحكام الصنعة وقوله

كأنما قدهـــا اذا انفتلت	سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز	كأنه من فراقهـــا وجل

وقوله ايضاً

كأن العيس كانت فوق جفني مناخات فلما سرن سالا
لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

وهذا من احسانة المشهور الذي لا يشق غباره (قال ابن الاثير الجزري) اعلم اني وجدت الأئمة من علماء العربية يقفون مع تقدم الزمان في تفصيل الشعراء ويتركون النظر في فضيلة اشعارهم في هذا بين امرين، اما انهم لم يحققوا معرفة علم للبيان من الفصاحة والبلاغة ولا نقبوا عن اسرارهما اللفظية والمعنوية واما انهم رأوا ان الفضيلة للزمن ونسوا قول النبي صلى الله عليه وسلم (نحن الاخرون السابقون) اي نحن الاخرون زمانا السابقون فضلا وهذا الحكم يقع في كل من تأخر زمانه وتقدم ولذلك اقول ان في الشعراء من المتأخرين من فاق الاولين والذي اداني اليه نظر الاجتهاد دون التقليد ان جريراً والفرزدق والاخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين اولئك فرق بعيد واذا استفتيت قلت ان ابا تمام والبحتري والمتنبي اشعر من الثلاثة المذكورين وليس عندي اشعر منهم في الجاهلية والا الاسلام فان ابا تمام وابا الطيب قد غاصا على المعاني فعميا ودققا وأتيا بكل غريبة واما البحتري فانه أتى بديباجة السبك التي ليست لغيره فان اولئك قالوا ما قالوه في غير تنقيب ولا تنقير ولا حفظ ولا درس فشذ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة واما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متفرقة في أشعارهم ويخلطوها بما قبح من الالفاظ والمتأخرون حصلوا على القسمين معاً لانهم نقبوا وحفظوا ودرسوا واتقنوا فترى الشاعر منهم قد حوى شعره ما تفرق في اشعار كثيرة من شعراء العرب واذا أنصف الناظر وترك التحامل ثم ترك التقليد علم ان حرف الميم وحرف اللام من شعر أبي الطيب المتنبي قد تضمنا من الجيد النادر ما لم يتضمنه شعر أحد الفحول من شعراء العرب وكأني بسامع قولي هذا وقد ربا غيظا ودارت عيناه وليس ذلك الا محض تقليد وجهل بمعرفة اسرار

الالفاظ والمعاني ثم قال يشبه المتنبي بامرىء القيس أو من كان في طبقته فأقول ان كان لاحدهم رأسان أو لسانان أو كان له اربعة ارجل أو كان النظر انما هو في تقدم الزمان فلا شك ان اولئك أشعر وان كان النظر انما هو في الالفاظ والمعاني فلو عاش امرؤ القيس ثم مات ثم عاش لما أداه فكره الى تدقيق النظر في هذا المعنى الذي أورده المتنبي في قوله

لو قلت للدنف المشوق فديته   مما به لاغرته بفدائه

ولا ان يقول في مرثية امرأة

قد كان كل حجاب دون رؤيتها   فما قنعت لها ياأرض بالحجب
ولا رأيت عيون الانس تدركها   فهل حسدت عليها اعين الشهب

ولا ان يقول في مرثية امرأة ايضا

وما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال
ولو كان النساء كمن فقدنا   لفضلت النساء على الرجال

على اني ما تركت ديوان فحل من فحول الشعراء حتى طالعته وحفظت منه شيئاً فلم اجد لاحد منهم في مراثي الناس ما يقرب من هذه الابيات التي للمتنبي وكذلك يجري الحكم في المحدثين فانهم لم يأتوا بمثلها ولا مايقرب منها

واستعار الحديد لونا وألقى   لونه في ذوائب الاطفال

فان الشعراء كلهم قد كرروا هذا المعنى الا انهم لم يخرجوا عن معنى الخوف قولهم يشيب واذا بالغوا قالوا انه يشيب الطفل والمتنبي لم يقل كما قالوا وانما تلطف في هذا المعنى فابرزه في صورة عجيبة كما ترى وكذلك لايستطيع الشاعر العربي ان يصف الجيش فيقول

صدمتهم بخميس انت غرته   وسمهريته في وجهه غمم

فكان اثبت مافيهم جسومهم يسقطن حولك والارواح تنهزم

ولو لم يكن للمتنبي سوى هذين البيتين لاستحق بهما فضيلة التقدم على الشعراء ولذلك قالوا في هذه القصيدة وقد حلف الدمستق والبطارق ان يلقوا سيف الدولة

ان البطارق والحلف الذي حلفوا بمفرق الملك والزعم الذي زعموا

وفي ضواربه أكذاب قولهم فهن ألسنة افواهها القمم

نواطق مخبرات في جماجمهم عنه بما جهلوا منه وما علموا

وقد غربلت الاشعار قديمها ومحدثها وتأملتها تأمل المنتقد فما وجدت لشاعر مالأبي تمام ولابي الطيب في باب المعاني ومالابي عبادة البحتري في باب الالفاظ فمن قلدني في ذلك فقد أصاب وطرح عن نفسه ثقل التنقيب والتنقير ومن عنده علم ومعرفة فليتأمل من الاشعار ماتأملته حتي يعلم ماعلمته وان كان جاهلا بهذا الفن فليدرج في عشه فليس منه ولا اليه ومن الناس من يزعم انه ليس لابي تمام ولا للمتنبي من الغزل شيء ولا يحسن وهذا القول لايصدر الا عن تعصب او جهل واي غزل احلى واعذب وارق من قول ابي تمام

انت في حل فزدني سقما وافن جسمي واجعل الدمع دما

وارض لي الموت بهجريك فان آلمت نفسي فزدها ألما

محنة العاشق ذل في الهوى فاذا استودع سرا كتما

ليس منا من شكا علته من شكا ظلم حبيب ظلما

وهو لكثير من المتقدمين ولابن الدمينة أرق من هذه الابيات وكذلك ورد قوله في طيف الخيال

استزارته فكرتي في المنام فاتاني في خفية واكتتام

والليالي اخفى بقلبي اذا ما جرحته النوى من الايام

يا لها لذة تنزهت الار واح فيها سرا من الاجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الاحلام

وهذه الابيات لم يأت في الطيف بارق منها وكذلك قوله ايضا

شبيه الخد بالتفــا ح والريقة بــالخمر
بديع الحسن قـــد أل ف من شمس ومن بدر
له وجه اذا أبصر ته ناجاك عن عذر

وكذلك قوله

ياسائلا ثوب الملاحة ابله فلانت اولى لابسيه بلبسه
لم يعطك الله الذي اعطاكه حتى اضر ببدره وبشمسه
مولاي يامولاي صاحب لوعة في يومه وصبابة في أمسه
دنف يجود بنفسه حتى لقد امسى ضعيفا ان يجود بنفسه

وهذه الابيات أرق من كل شعر رقيق وله من الغزل في مبادي القصائد شيء كثير كقوله في مطلع قصيدته اللامية

اجل ايها الربع الذي خف اهله لقد أدركت فيك النو ماتحاوله
وقفت واحشائي منازل للاســى به وهو قفر قد تعفت منــازله
اسائلكم مــاباله حكم البلى عليه والا فاتركوني اســائله
دعا شوقه ياناصر الشوق دعوة فلباه طل الدمع يجري ووابله
بيوم يريك الموت في صورة النوى أواخره من حسرة وأوائله

وكذلك قوله في مطلع قصيدته التي اولها

ان عهدا لو تعلمين ذميما

الى ان قال

قد مررنا بالدار وهي خلاة فبكينا أطلالها والرسومــا
وسألنا ربوعها فانصرفنــا بشفاء وما سألنــا حكيما
كنت ارعى البدور حتى اذاما فارقوني امسيت ارعى النجوما

وكذلك قوله من قصيدة

ياموسم اللذات غالتك النوى　　بعدي فربعك للصبابة موسم
ولقدرآك من الكواكب كاسبا　　فاليوم انت من الكواعب محرم
لحظت بشاشتك الحوادث لحظة　　مازلت أعلم انهـــا لاتسلم
ابن التي كانت اذا شاءت جرى　　من مقلتي دمعي يعصفره دم
بيضاء تسرى في الظلام فيكتسي　　نورا ويبدو في الضياء فيظلم

ولو اتيت بماله من الاغزال لاطلت وهكذا يجري الحكم فيما للمتنبي من الغزل الرقيق كقوله في قصيدته التي مطلها قوله

القلب أعلم ياعذول بدائه　　واحق منك بجفنه وبمائه
أأحبه وأحب فيه ملامـــة　　ان الملامة فيه من اعدائه
مهلا فان العذل من أسقامه　　وترفقا فالسمع من اعضائه
لاتعذل المشتـاق في اشواقه　　حتى يكون حشاك في احشائه
ان المحب مضرجا بدموعه　　مثل القتيل مضرجاً بدمائه

وكذلك قوله وهو مما لايؤتى في الغزل بمثله

ليس القباب على الركاب وانما　　هن الحيـــاة ترحلت بسلام
أرواحا انهملت وعشنا بعدها　　من بعدما قطرت على الاقدام
لو كن يوم جرين كن كصبرنا　　عند الرحيل لـكن غير سجام

(ومن بدائعه) حسن التشبيه بغير أداة كقوله

بدت قمرا ومالت خوط بان　　وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقوله

ترنو الي بعين الظبي مجهشـــة　　وتمسح الطل فوق الورد بالعنم

وقوله

قمرا ترى وسحابتين بموضع　　من وجهه ويمينه وشمـــاله

وقوله

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ماتحوى مآزره

وقوله

عرفت نوائب الحدثان حتى لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وقوله

وأتيت معتزلا ولا أسد ومضيت منهزما ولا وعل

وقوله .

خرجن من النقع في عارض ومن عرق الركض في وابل

وقوله

وجياد يدخلن في الحرب اعرا ويخرجن من دم في جلال

واستعار الحديد لونا وألقى لونه في ذوائب الاطفال

(ومنها) الابداع في سائر التشبيهات والتمثيلات كقوله في السهر

وان نهاري ليلة مدلهمة على مقلة من فقدكم في غياهب

بعيدة مابين الجفون كأنما عقدتم اعالي كل هدب بحاجب

قال ابن جني هذا من قول بشار

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

وذكر القاضي انه مأخوذ من قول الطرماح في رطاناته

ورأسي مرفوع لنجم كأنما قفاي الى صلبي بخيط مخيط

وقوله

كان سواد الليل يعشق مقلتي فبينهما في كل هجر لنا وصل

وقوله

رأيت الحميا والزجاج بكفه فشبهتها بالشمس والبدر في البحر

وقوله في الحمى

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور الا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بانواع السقام

اذا مافارقتني غسلتني ... كانا عا كفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجري ... مدامعها باربعة سجام

اراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام

ويصدق وعدها والصدق شر ... اذا ألقاك في الكرب العظام

أبنت الدهر عندي كل بيت ... فكيف خلصت انت من الزحام

جرحت مجرحا لم يبق فيه ... مكان للسيوف وللسهام

وهل أرمي هواي براقصات ... محلاة المقاود باللغـــام

واني قد شفيت غليل صدري ... يسير أو قناة أو حسام

وضاقت خطة فخلصت منها ... خلاص الخمر من نسج الغدام

وهذا أحسن ماقيل في وصف علة نهكت صاحبها واشتدت به ثم عاد الى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة

وفارقت الحبيب بلا وداع ... وودعت البلاد بلا سلام

يقول لي الطبيب أكلت شيئاً ... وداؤك في شرابك والطعام

وما في طبه انى جواد ... اضر بجسمه طول الجمام

تعود ان يغير في المزايـــا ... ويدخل من قتام في قتام

فامسك لايطال له فيرعى ... ولا هو في العليق ولا اللجام

فان أمرض فما مرض اصطباري ... وان احمم فما حم اغترامي

وان اسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام الي الحمام

وقوله وهو مما لم يسبق اليه

كريم نقصت الناس لما لقيته ... كأنهم ماجف من زاد قادم

وكاد سروري لايفي بندامتي ... على تركه في عمرى المتقادم

(ومن بدائع) ابي الطيب قوله في وصف الظبى

اغناه حسن الجيد عن لبس الحلى ... وعوض طيب العرف عن متفضل

كانه مضمخ بصندل

وقوله

رضوابك كالرضابالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا

وقوله في وصف الشعر

اذا خلعت على عرض له حللا وجدتها منه في ابهى من الحلل

بذي الغباوة من انشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل

(قيل) ان أبا الطيب لما انشد سيف الدولة قصيدته

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلبـــاه قبل الركب والابل

وناوله نسختها وخرج فنظر سيف الدولة فيها حتى انتهى الى قوله

ياايها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لاقبلي

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد زدهش بش تفضل أدن سرصل

فوقع تحت أقل أقلناك وتحت أنل يحمل اليه من الدراهم كذا وتحت أقطع أقطعناك الضيعةالفلانية —ضيعة بباب حلب — وتحت أحمل يقاد اليهالفرس الفلاني وتحت عل قد رفعنا مقامكوتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت أعد أعدناك الى حالك من حسن رأيناوتحت زد يزاد كذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت أدن قدأدنيناكوتحت سر قد سررناك قال ابن جنى قد بلغني عن المتنبي انه قال انما أردت سر من السري فأمر له بجارية وتحت صل قد وصلناك قال وحكى لي بعض اخواننا ان المعقلي كان حاضرا بحضرته وهو شيخ ظريف قال له وقد حسد المتنبي على ماأمر له به يامولانا قد فعلت في كل شيء سألكه فهلا قلت لما قال هش بش هههه ههيعني حكاية الضحك فضحك سيف الدولة وقال له ولك ايضا ماتحب وأمر له بصلة قال القـــاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز أن ابا الطيب المتنبي نسج على منوال ديك الجن حيث قال:

احل وامرر وضر وانفع ولن واخـ ـشن ورش وابن وانتدب للمعالي

ومن هذه القصيدة قوله

بالشرق والغرب اقوام نحبهم فطالعاهم وكونا ابلغ الرسل

وعرفاهم بأني في مكارمه اقلب الطرف بين الخيل والخول

وشتان بين حالته هذه وبين الحال التي قال فيها حين كان يتجشم اسفاراً أبعد من آماله ويمشي في مناكب الارض يطوي المراحل والمناهل ويضرب الجراب على صفحة المحراب ولا مطية له الا الخف والنعل

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها ومشفرها زمامها و الشسوع مقودها

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي نواس

اليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرمي الملسنا

قلائص لم تعرف حنيناً الى طلا ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخوف

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقيا مطرت علي مصائبا

وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشي راكبا

وكما قال في الاعتداد بالراحلة والقدرة على الرحلة

ومهمه جبته على قدمي تعجز عنه العرائس الذلل

اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل

في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح البعيد والقريب ويصطاد ما بين الكركى الى العندليب

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يجزه على قصيدته التي أولها

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا

ومنها

يستصغر الخطر الكبير لوفده ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

الا ديناراً واحداً فسميت الدينــارية (ولما) انخرط في سلك سيف الدولة ودرت عليه الأرزاق على يديه كان من قوله فيه

تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

وقيدت نفسي في ذراك محبــة ... ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

ومن بدائع أبي الطيب قوله

وانمــا نحن في جيل سواسية ... شر على الحر من سقم على بدن

حولي بكل مكان منهم خلق ... تخطي اذا جئت في استفهامها بمن

من انما يستفهم بها عمن يعقل يقول هؤلاء كالبهائم فقوله لهم من أنتم خطأ انما ينبغي أن يقال لهم ما أنتم لانه موضع لما لا يعقل (ويحكى) أن جريراً لما قال

يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

قال له الفرزدق ولو كان ساكنه قروداً فقال جرير لو أردت هذا لقلت ما كان ولم أقل من كان (ومن بدائع أبي الطيب) التمثيل بما هو من جنس صناعته كقوله

نتاج رأيك في وقت على عجل ... كلفظ حرف وعاه سامع فهم

وقوله

من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقوله

أمضى ارادتــه فسوف له قد ... واستقرب الاقصى فثم له هنا

سوف للاستقبال وقد موضوعة للمضي ومقاربة الحــال يقول اذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته وقوله

دون التعانق ناحلين كشكلتي ... نصب أدقهما وضم الشاكل

وقوله

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا ... مضى قبل أن تلقي عليه الجوازم

يقول ان نويت فعلا أوقعته قبل فوته وقبل أن يقال لم يفعل

(ومن بدائع أبي الطيب) المدح الموجه كالثوب له وجهان ما بينهما لا يعرف الاحسن كقوله

نهبت من الاعمار ما لو حويته   لهنئت الدنيا بانك خالد

قال ابن جني لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة الا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان وهذا هو المدح الموجه لانه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من اعمار أعدائه ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه وكقوله

عمر العدو اذا لاقاه في رهج   اقل من عمر مايحوى اذا وهبا

مال كان غراب البين يرقبه   فكلما قيل هذا مجتد نعبا

وقوله

تشرق اعراضهم وأوجههم   كأنها في نفوسهم شيم

وقوله

الى كم ترد الرسل عما اتوا له   كأنهم فيما وهبت ملام

وقوله

يخيل لي أن البلاد مسامعي   وأني فيها ماتقول عواذلي

وقوله

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت   على رماحهم في الطعن خرصانا

ومن بدائع أبي الطيب حسن التصرف في مدح سيف الدولة فانه أخرجه في مخارج لطيفة كقوله

لقد رفع الله من دولة   لها منك يا سيفها منصل

وقوله

لولا سمي سيوفه ومضاءه   لما سللن لكن كالاجفان

وقوله

تزاوك سيف الدولة المقتدى به فانك نصل والشدائد للنصل

وقوله

يسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشتبه المخدوم والخدم

كل السيوف اذا طال الضراب بها يمسها غير سيف الدولة السأم

وقوله

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

وقوله

تحير في سيف ربيعة أصله وطابعه الرحمن والمجد صاقله

وقوله

قلد الله دولة سيفهـا أنـ ت حساماً بالمكرمات محلى

واذا اهتز للندى كان بحرا واذا اهتز للوغى كان نصلا

وقوله

وأنت حسام الملك والله ضارب وانت لواء الدين والله عاقد

وقوله

لقد سل سيف الدولة المجد معلما فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه

على عاتق الملك الاغر نجاده وفى يد جبار السموات قائمه

وان الذى سمى عليا لمنصف وان الذى سماه سيفا لظالمه

وما كل سيف يقطع الهام حده وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله

ان الخليفة لم يسمك سيفه حتى بلاك فكنت عين الصارم

واذا تتوج كنت درة تاجه واذا تختم كنت فص الخاتم

وقوله

من للسيوف بان تكون سميها فى أصله وفرنده ووفائه

طبع الحديد فكان من اجناسه　　　وعلي المطبوع من آبائه

وقوله

عيب عليك ترى بسيف في الوغى　　　ما يصنع الصمصام بالصمصام

وقوله

اتحسب بيض الهند أصلك اصلها　　　وانك منها ساء ماتتوهم

اذا نحن سميناك خلنا سيوفنا　　　من التيه في اغمادها تتبسم

ومن بدائعه في سائر مدائحه قوله

ملك سنان قناته وبنانه　　　يتباريان دما وعرفا ساكبا

كالبدر من حيث التفت رأيته　　　يهدى الى عينيك نورا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوءها　　　يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

كالبحر يقذف للقريب جواهرا　　　جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله أيضا

ليس التعجب من مواهب ماله　　　بل من سلامتها الى اوقاتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل　　　ماحفظها الاشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة　　　أحصى بحافر مهره ميماتها

كرم تبين في كلامك ماثلا　　　ويبين عتق الخيل في اصواتها

أعيازوا لك عن محل نلته　　　لاتخرج الاقمار عن هالاتها

ذكر الانام لنا فكان قصيدة　　　كنت البديع الفرد من أبياتها

وقوله

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه　　　يسايرني في كل ركب له ذكر

واستكبر الاخبار قبل لقائه　　　فلما التقينا صدق الخبر الخبر

وهذا ضد قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه

أزالت بك الايام عتبي كانما　　　بنوها لها ذنب وأنت له عذر

وقوله

ألا أيها المال الذي قد أباده تعز فهذا فعله بالكتائب
لعلك في وقت شغلت فؤاده عن الجود أو كثرت جيش محارب

وقوله ايضا

بعثوا الرعب في قلوب الاعادي فكان القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضى نفسها الى الأعناق
كل ذمر يزيد في الموت حسنا كبدور تمامها في المحاق
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومعال اذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق

وقوله ايضا

قوم بلوغ الغلام عندهم . طعن نحور الكماة لا الحلم

وقوله ايضا

كانما يولد الندى معهم لاصغر عاذر ولا هرم
اذا تولوا عداوة كشفوا وان تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم انهمو أنعموا وما علموا
ان برقوا فالخطوب حاضرة او نطقوا فالصواب والحكم
اوشهدوا الحرب لاقحا اخذوا من مهج الدارعين ما احتكموا
او حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم (خاب سائلي) القسم
أو ركبوا الخيل غير مسرجة فان افخاذهم لها حزم
تشرق اعراضهم وأوجههم كانها في نفوسهم شيم
اعيذكم من صروف دهر كموا فانه في الكرام متهم

وقوله

فلما رأوه وحده دون جيشه دروا ان كل العالمين فضول

وأوردهم صدر الحصان وسيفه فتى بأسه مثل العطــاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله ولـكنه بالدارعين بخيل

وقوله

أرى كل ذي ملك اليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول
اذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلهم طل وطلك وابل

وقوله

ودانت له الدنيا فاصبح جالسا وايامه فيما يريد قيــام
وكل اناس يتبعون امـامهم وانت لاهل المـكرمات امام
ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام

وقوله

هم المحسنون الـكر في حومة الوغى وأحسن منهم كرهم في المكارم
ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم ولـكنها معدودة في البهائم

وقوله

أغر أعــداؤه اذا سلموا بالهرب استكبروا الذي فعلوا
انك من معشــر اذا وهبوا مادون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبة لست ربها نفل وبلدة لست حليها عطل

وقوله

لو كفر العالمون نعمته لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة عندهم ولا جاها

(ومن بدائع) ابي الطيب المتنبي مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة الممدوح مع الاحسان والابداع وهو مذهب له تفرد به واستكثر من سلوكه اقتــداراً منه وتبحرا في الالفاظ والمعاني ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء وتدريجا لها الى مماثلة الملوك كقوله لكافور

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
ومـــا شئت إلا انا دل عواذلي على أن رأيي في هـــواك صواب
وأعلم قوما خالفوني فشرقوا وغربت أني قد ظفرت وخابوا
اذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقوله فيه

ولو لم يكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهـــام المعذب

وقوله لابن العميد

تفضلت الايام بالجمـــد بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمـــد
فجد لي بقلب ان رحلت فانني مخلف قلبي عند من فضله عندي

وقوله لسيف الدولة

مالي اكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته فليت انا بقـــدر الحب نقتسم
يا أعدل الناس الا في معـــاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتســـم
يا من يعز علينا ان نفـــارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان اخلقنا منكم بتكرمة لو ان امركم من امرنا امم
ان كان سـرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضـــاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفـــة ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم والله يكره ما تأتون والكرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن الى من عنـــده الديم
أرى النوى يقتضيني كل مرحلة لاتستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركن ضميرا عن ميامننا ليحدثن لمـــن ودعتهم ندم
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لانفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به   وشر مايكسب الانسان مايصم

وشر ماقنصته راحتي قنص   شهب البزاة سواء فيه والرخم

ومن بدائع أبي الطيب المتني استعماله الفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد وهو أيضا مما لم يسبق اليه وتفرد به فاظهر فيه الحذق بحسن النقل وأعرب عن جودة التصرف والتغلب بالكلام كقوله

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل   والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله وهو من فرائده

شجاع كأن الحرب معشوقة له   اذا زارها فدته بالخيل والرجل

وقوله

وكم رجال بلا ارض لكثرتهم   تركت جمعهم أرضا بلا رجل

مازال طرفك يجري في دمائهم   حتى مشى بك مشى الشارب الثمل

وقوله

والطعن شذر والارض واجفة   كأنما في فؤادها وهل

قد صبغت خدها الدماء كما   يصبغ خد الخريدة الخجل

والخيل تبكي جلودها عرقاً   بأدمع ما تسمها مقل

وقوله

تعود ان تقضم الحب خيله   اذا الهام لم ترفع جنوب العلائق

ولا ترد الغدران الا وماؤها   من الدم كالريحان تحت الشقائق

وقوله

فاتتك دامية الأظل كانما   حذيت فوائمها العقيق الاحمرا

واذا الحمائل مايخدن بنفنف   الاشققن عليه ثوباً أخضرا

وقوله

قد سودت شجر الجبال شعورهم   فكأن فيه مسفة الغربان

وقوله

وجرى على الورق النجيع القاني　　فكأنه النارنج في الاغصان

وقوله

بضرب هاج اطراب المنايا　　سوى ضرب المثالث والمثاني
كأن دم الجماجم في العناصي　　كسا البلدان ريش الحيقطان
فلو طرحت قلوب العشق فيها　　لما خافت من الحدق الحسان

وقوله

كرعن بسبت في اناء من الورد

(ومن بدائعه حسن التقسيم)

قال ابو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعراء الطائيين قال سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجر وحبكم قلى　　وعطفكم صد وسلمكم حرب
وانتم بحمد الله فيكم فظاظة　　وكل ذلول من مراكبكم صعب

فقال هذا والله احسن من تقسيمات اقليدس وقال ان أبا الطيب في هذا الفن أولى بهذا الوصف بقوله

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملك　　ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذل والروم في وجل　　والبر في شغل والبحر في خجل

وقوله ايضا

الدهر معتذر والسيف منتظر　　وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا　　والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقوله

فلم يخل من نصر له من له يد　　ولم يخل من شكر له من له فم

ولم يخل من اسمآئه عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وقوله

بجل عن التشبيه لاالكف لجة ولاهو ضرغام ولا الرأى مخذم

ولاجرحه يوسي ولا غوره يرى ولا حده ينبو ولا يتثلم

محلك مقصود وشانيك مفحم ومثلك مفقود ونيلك خضرم

ومن هذه القصيدة البيت المشهور وهو

فلو ضر مرأ قبله مايسره لاثر فيه بأسه والتكرم

ضر فعل وفاعله مايسره ومرأ مفعول والضمير في قبله للممدوح وفي يسر للمرء وفي فيه وبأسه يقول : لوضر الذى يسر احداً قبل هذ الممدوح لضرهذا الممدوح باسه وتكرمه لانه يسر بهما وقوله

قليل عائدي سقم فؤادي كثير حاسدي صعب مرامي

عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام

وقوله

بمصر ملوك لهم ماله ولكنهم مالهم همه

فأجود من جودهم بخله واحمد من حمدهم ذمه

وأشرف من عيشهم موته وانفع من وجدهم عدمه

وقوله

لم تفتقد بك من حزن سوى لتق ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره ولا سواه سوى ماليس بالحسن

وقوله

اذم الى هدا الزمان اهيله فاعلمهم فدم وأحرمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم   وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

وقوله

عربي لسانه فلسفي   رأيه فارسية أعياده

وقوله

سقتني بها القطر بلي مليحة   على كاذب من وعدها ضوء صادق
سهاد لاجفان وشمس لناظر   وسقم لابدان ومسك لناشق
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل   عفيف ويهوي جسمه كل فاسق
أديب اذا ما جس أوتار مزهر   بلا كل سمع عن سواها بعائق
يحدث عما بين عاد وبينه   وصدغاه في خدي غلام مراهق

(ومن محاسن سياقة الأعداد)

كقوله

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة   وميت ومولود وقال ووامق

وقوله

ألا أيها السيف الذى ليس مغمدا   ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم
هنيأ لضرب الهام والمجد والعلا   وراجيك والاسلام أنك سالم

وقوله

ورب جواب عن كتاب بعثته   وعنوانه للناظرين قتام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة   جواد ورمح ذابل وحسام

ولما سمى الجيش جوابا جعل حروفه جوادا ورمحا وحساما اقتدارا واتساعا في الصنعة وقوله

ومرهف سرت بين الجحفلين به   حتي ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني قد سبق الناس الى ذكر ماجمعه في هذا البيت ولكن لم يجتمع مثله

في بيت وقد قال البحترى

اطلبا ثالثا سواى فاني رابع العيس والدجي والبيد

وهذا لفظ عذب ولكن ليس فيه مافي بيت المتنبي

وقوله

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا بدل

وقوله

بي حرشوق الى ترشفها ينفصل الصبر حين ينصل

فالثغر والنحر والخلخال والمـ ـعصم دائى والفاحم الرجل

وكقوله

ولكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وقوله من قصيدة أخرى

أمينا واخلافا وغدراً وخسة وجبنا اشخصا لحت لي أم مخازيا

(ومن بدائعه) ارسال الامثال في انصاف ألابيات كقوله

مصائب قوم عند قوم فوائد ومن قصد البحر استقل السواقيا . وخير جليس في الزمان كتاب . ان المعارف في اهل النهى ذمم . وربما صحت الاجسام بالعلل . وفي الماضى لمن بقي اعتبار . وتأبي الطباع على الناقل . ومنفعة الغوث قبل العطب . هيهات تكتم في الظلام مشاعل . وما خير الحياة بلا سرور ولا رأى في الحب للعاقل . ولكن طبع النفس للنفس قائد . وليس تأكل الا الميت الضبع. كلما يمنح الشريف شريف . والجوع يرضي الاسود بالجيف ومن فرح النفس مايقتل . ويستصحب الانسان من لايلائمه ان الذليل غريب حيث ما كانا . ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا . اذا عظم المطلوب قل المساعد . ومن يسد طريق العاطل المطل . وأدنى الشرك في نسب جواد . وفي عنق الحسناء يستحسن العقد . لاتخرج الإقمار عن هالاتها . ان النفوس عدد الآجال . ولكن صرم الشر بالشر

أحزم . وأنا الغريق فما خوفي من البلل . أشد من السقم الذى أذهب السقما . فان الرفق بالجاني عقاب . ان القليل من الحبيب كثير . بغيض الي الجاهل المتغافل . وليس كل ذوات المخلب السبع . وللسيوف كما للناس آجال في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل فأول قرح الخيل المهاد . و البر اوسع والدنيا لمن غلبا . ليس الكحل في العينين كالكحل . ويبين عتق الخيل في أصواتها .

ومنها ارسال المثلين في مصراعي البيت كقوله

وكل امرء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقوله

في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل

وقوله

الحب مامنع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ماأعلنا

وقوله

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف الحمام

وقوله

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

وقوله

كفى بك دأ أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وقوله

أفاضل الناس اغراض لذاالزمن يخلوا من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله

واتعب من ناداك من لاتجيبه واغيظ من عاداك من لاتشاكل

وقوله

ولاتشتر العبد الا والعصى معه أن العبيد لأنجاس منا كيد

وقوله

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان انت ا كرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
وما يقتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

(ومنها) ارسال المثل والاستملاء على لسان التجربة في البيت والبيتين فصاعداً وحسن التصرف في الحكمة والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها كقوله

وما الجمع بين النار والماء في يدي باصعب من ان اجمع الجد والفهما

وقوله

تخفى الدواهي وهي غير خفية نظر العدو وبما اسر يبوح

وقوله

والامر لله رب مجتهد ما خاب الا لانه جاهد
اليك فاني لست ممن اذا اتقى عضاض الافاعي نام فوق العقارب

وقوله

خير الطيور على القصور وشرها يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقوله

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وقوله

وليس يصح في الافهام شيء اذا احتاج النهار الي دليل

قال ابن جني هو كما قال اهل الجدل من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل

وقوله

وقد يتزيا بالهوى غير اهله ويستصحب الانسان من لايلائمه

وقوله

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقوله

واحسب اني لو هويت فراقكم لفارقتكم والدهر اخبث صاحب

وقوله

من خص بالذم الفراق فانني من لا يرى في الدهر شيئا يحمد

وقوله

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

وقوله

تلف الذي اتخذ الشجاعة خلة وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعاله اللائي سررن الوفا

وقوله

واذا خفيت على الغبي فعاذر ان لا تراني مقلة عمياء

وقوله

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزي بذلوا منها رضاك ومن للعور بالحول

وقوله

فآجرك الاله على مريض بعثت الى المسيح به طبيبا

وقوله

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

وقوله

اذا ما قدرت على نطقه   فانت على تركها اقدر

وقوله

واحتمال الاذى ورؤية جانيـ   ـه غذاء تضوى به الاجسام

وقوله

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الـ   ـهيجاء غير الطعن في الميدان

وقوله

واذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله

ومن الخير بطء سيبك عني   اسرع السحب في المسير الجهام

وقوله

وليس الذي يستتبع الوبل رائدا   كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله

ابلغ ما يطلب النجاح به الطـ   ـبع وعند التعمق الزلل

وقوله

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة   وقتلة قرنت بالذم في الجبن

وقوله

وما قلت للبدر أنت اللجين   ولا قلت للشمس انت الذهب

ومن ركب الثور بعد الجوا   د انكر أظلافه والقتب

وقوله

فقر الجهول بلا قلب الى ادب   فقر الحمار بلا رأس الى رسن

لا يعجبن مضيما حسن بزته   وهل يروق دفينا جودة الكفن

وقوله

اذا ماالناس جربهم لبيب   فانى قد طعمتهم وذاقا

فلم ار ودهم الا خداعـا ولم أردينهم الا نفافـا

وقوله

ذريني انل مالا ينـــال من العلى فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل .
تريدين لقيان المعالي رخيصـــة ولا بـــد دون الشهد من ابر النحل

وقوله

تمن يلذ المستهـــام بمثله وان كان لا يغني فتيلا ولا يجدى
وغيظ على الايام كالنار في الحشا ولـكنه غيظ الاسير على القيد

وقوله

ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فانهـــا صنف يجر من الندامة ديدنا

وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت في عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقوله

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها ومـــا يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

وكانه من قول لبيد

واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالأمل

وقوله

واتعب خلق الله من زاد همـه وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا ينحلل في المجـــد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقـــده
ودبره تدبير الذي المجـد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

الى ان قال

اذا كنت ذا شك من السيف فابله فاما تنفيه واما تعده
وما الصارم الهندي الا كغيره اذا لم يفارقه النجاد وغمده

وقوله

انما تنجح المقالة في المر ء اذا وافقت هوى في الفؤاد
واذا الحلم لم يكن في طباع لم يحلم تقادم الميلاد
انما انت والد والاب القا طع احنى من واصل الاولاد

وقوله

وما الحسن في وجه الفتى شرف له اذا لم يكن في فعله والخلائق
وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق
وجائزة دعوى المحبة والهوى وان كان لايخفى كلام المنافق

الى ان قال

وما يوجع الحرمان من كف حارم كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقوله

انما انفس الانيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى ان يكون الغضنفر الرئبالا

وقوله

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان غايته ما كل ماشية بالرجل شملال
انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش اشغال

وقوله

ترى الجبناء ان العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغنى ولا مثل الشجاعة في الحكيم

فقيل له كيف يكون الشجاع حكيما فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان شجاعا حكيما قال

وكم من عائب قولا صحيحا وآفتـــه من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذان منه على قدر القرائح والفهوم

وقوله

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى يققـــا يميت ولا سوادا يعصم
والهم يخترم الجسيم نحـــافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخدعنك من عدو دمعـــه وارحم شبابك من عدو ترحم
لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق عـــلى جوانبه الدم

قال ابن جني اشهد بالله ان لم يقل غير هذا البيت لتقدم به اكثر المحدثين وهذه لابيات كلها غرور وفرائد لايصدر مثلها الا عن فضل باهر وقدرة على الابداع ظاهرة ومنها

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفـــة فلعـــله لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وقوله

الا كلنا يبغي الحيـــاة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وقوله

وفيك اذا جنى الجـــاني أناة تظن كرامة وهي احتقـــار

بنو كعب ومـــا اثرت فيهم   يد لم يدمهـــا الا السوار
بهـــا من قطعه ألم ونقص   وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك في نزار   وادنى الشرك في نسب جوار
لعل نبيهم لنيك جنـــد   فاول قرح الخيـــل المهار
وما في سطوة الارباب عيب   ولا في ذلة العبدان عـــار

وقوله

من اقتضى بسوى الهندي حاجته   اجـــاب كل سؤال عن هل بلم
ولم تزل قلة الانصاف قاطعـــة   بين الرجال وان كانوا ذوي رحم
هون على بصر ما شق منظره   فانما يقظـــات العين كالحلم
لا تشكون الى خلق فتشمته   شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره   ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
وقت يضيع وعمر ليت مدته   في غير امته من ســـائر الامم
اتى الزمـــان بنوه في شبيبته   فسرهم واتيـــاه على الهرم

وقوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هي اول وهو المحل الثـــاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة   بلغت من العليـــاء كل مكان
ولربمـــا طعن الفتى اقرانه   بالرأي قبل تطـــاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم   ادنى الى شرف من الانسان

وقوله

لحى الله ذي الدنيا مناخا لراكب   فكل بعيد الهم فيهـــا معذب
الا ليت شعري هل اقول قصيده   ولا اشتكي فيهـــا ولا اتعتب
وبي مـــا يذود الشعر عني اقله   ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب
اما تغلط الايام في بأن ارى   بغيضـــا تنائي او حبيبـــا تقرب

وقوله

ابى خلق الدنيا حبيبا تديمه ... فما طلبي منها حبيبا ترده

واسرع مفعول فعلت تغيرا ... تكلف شيء في طباعك ضده

وقوله

اذا سأ فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته ... واصبح في ليل من الشك مظلم

وما كل هاو للجميل بفاعل ... ولا كل فعال له بمتمم

واحسن وجه في الورى وجه محسن ... وايمن كف فيهم كف منعم

واشرفهم من كان اشرف همة ... واكثر اقداما على كل معظم

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ... سرور محب او اساءة مجرم

وقوله

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما تهب اللئام

ودهر ناسه ناس صغار ... وان كانت لهم جثث ضخام

وما انا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

وشبه الشيء منجذب اليه ... واشبهنا بدنيانا الطغام

ولو لم يعل الا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام

ولو حيز الحفاظ بغير عقل ... تجنب عنق صيقله الحسام

وقوله

ابدا تسترد ما تهب الدنيا ... فيا ليت جودها كان بخلا

فكفت كون فرحة تورث الـ ... غم وخل يغادر الوجد خلا

وهي معشوقة على الغدر لا ... تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا

كل دمع يسيل منها عليها ... وبفك اليدين عنها تخلى

اي كل من ابكته الدنيا فانما يبكي لفوت شيء منها ولا يخليها الانسان الاقسرا

بفك يديه عنها ومن هذه القصيدة

شيم الغانيات فيها فلا ادري لذا انث اسمهـــا الناس ام لا

ولذيذ الحياة انفس في النفـ ـس واشهى من ان يمل واحلا

واذا الشيخ قال اف فما مـــ ـل حياة وانمـــا الضعف ملا

آلة العيش صحة وشبـــاب فاذا وليـــا عن المرء ولى

وقوله

ما كل مـــا يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

قال ابن جني حدثني المتنبي قال حدثني فلان الهاشمي من حران بمصر قال احدثك بظريفة كتبت الى امرأتي بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك وهو

بم التعليل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فاجابتني عن الكتاب وقالت ما كنت والله كما ذكرت في هذا البيت بل انت كما قال الشاعر في هذه القصيدة

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ثم استمر مريري وارعوى الوسن

قال ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو

وان بليت بود مثل ودكم فانني بفراق مثـــله قمن

وهذه الابيات من قصيدة قالها بمصر وقد بلغه انه نعي في مجلس سيف الدولة بحلب وبعد مطلعها

اريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

لاتلق دهرك الا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن

فلا يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفـــائت الحزن

مما اضر باهـــل العشق انهم هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهم دمعـــا وانفسهم في اثر كل قبيح وجهه حسن

(ومنها ايضا)

يا من نعيت على بعد بمجلسه | كل بمـــا زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عنـــدكم | ثم انتقلت وزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل موتهم | جمـــاعة ثم ماتوا قبل ما دفنوا

(ومنها ايضا)

رأيتكم لا يصون العرض جاركم | ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم مـــلل | وحظ كل محب عندكم ضغن
وتغضبون على من نـــال رفدكم | حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فغـــادر الهجر ما بيني وبينكم | يهماء تكذب فيها العين والاذن
تحبو الرواسم من بعد الرسيم بها | وتسأل الارض عن اخفافها الثفن
اني اصاحب حلمي وهو بي كرم | ولا اصاحب حلمي وهو بي جبن
ولا اقيم على مـــال اذل به | ولا الذ بمـــا عرضي به درن

ومنها ايضا

وان تأخر عني بعد موعده | فما تؤخر آمالي ولا تهن
هو الوفي ولكني ذكرت له | مودة فهو يبلوها ويمتحن

(ومن بدائعه) افتضاض ابكار المعاني في المراثي والتهاني كقوله

سالم اهل الوداد بعدهم | يسلم للحزن لا لتخليد

اي اذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود لان كلا ميت لا محالة

فما ترجى الخلود من زمن | احمد حـــاليه غير محمود

اي احمد حاليك ان تبقى بعد صديقك وهو مع ذلك غير محمود لتعجل الحزن وانتظار الاجل

وقوله

المجد اخسر والمكارم صفقة | من ان يعيش لها الكريم الأروع

والناس انزل في زمانك منزلا   من ان تعايشهم وقدرك ارفع
قبحا لوجهك يا زمان فانــــه   وجه له من كل لؤم برقــــع
ايموت مثل ابي شجاع فاتـك   ويعيش حاسده الخصي الاوكع

وقوله

من لا تشابهه الاحيـاء في شيم   امسى تشابهه الاموات في الرمم
عدمته وكأني سرت اطلبــــه   فما تزيدني الدنيا على العـــدم

وقوله

وقد فارق الناس الاحبة قبلنا   واعيـا دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش اهلها   منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك ســـالب   وفارقها الماضي فراق سليب

هذا كقول بعض الوعاظ فانها في ايديكم اسلاب الهالكين استخلفها الباقون كما تركها الماضون وقد افصح عن هذا المعنى بعض اهل العصر بقوله

هذي منازلنا التي كانت لهم   للغير نبقيها مدى الاحقاب

وقوله

علينا لك الاسعاد ان كان نافعا   بشق قلوب لا بشـــق جيوب
فرب كئيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير كئيب
وللواجد المكروب من زفراته   سكون عزاء او سكون لغوب

وقوله

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى   ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان أرى   رضوى على ايدي الرجـال تسير
خرجوا به ولكل بـــاك خلفه   صعقات موسـى يوم دك الطور
حتى اتوا جدثا كأن ضريحه   في قلب كل موحـــد محفور
كفل الثناء له برد حيـــاته   لما انطوى فكأنه منشـــور

وقوله في تعزية سيف الدولة عن اخته

ولعمري لقد شغلت المنايـــا بالاعادي فكيف تطلب شغلا
خطبة للحمام ليس لهـــارد وان كانت لها المسماة ثكلا
واذا لم تجد من النـاس كفؤا ذات خدر ارادت الموت بعلا

وهذا أحسن ماقيل في مراثي حرم الملوك . وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه

فان تك في قبر فانك في الحشا وان تك طفلافالاسىليس بالطفل
ومثلك لايبكى على قدر سنـــه ولـكن على قدر المخيلة والاصل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فانك نصل والشدائد للنصل
تخون المنايــا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره ويبدو كما يبدوالفرند على الصقل
وما الموت الا سارق دقشخصه يصول بلا كف ويسعىبلارجل
يرد أبو الشبل الخميس عن ابنه ويسلـــه عند الولادة للنمل

ومنها

اذا ماتأملت الزمان وصرفه تيقنتان الموتضرب من القتل
وما الدهر اهل ان تؤمل عنـده حياة وان يشتاق فيه الى النسل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ماقلت عن جهل

وقوله

نحن بنو الموتى فما بالنـــا نعاف مالا بد من شـــربه
تبخل ايدينا بارواحنـــا على زمـــان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه
لم ير قرن الشمس في شرقه فشكت الانفس في غربـه

يموت راعي الضان في جهله ميتة جـالينوس في طبه
وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه
فلاقضى حاجته طـالب فؤاده يخفق من رعبه

ومن قلائده الابداع في الهجاء كقوله

ان اوحشتك المعاني فانهـا دار غربه .
او آنستك المخازي فانهـا لك نسبه

وقوله

انى نزلت بكذابـين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدي وجودهم من اللسـان فلا كانوا ولا الجود
مايقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وفي يده من نتنهـا عود

يعني العود الذي يتناوله المعـالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده

العبد ليس لحر صـالح بأخ لو انه في ثياب الحر مولود
من علم الاسود المخصى مكرمـة اقومه البيض ام آبـاؤه الصيد
ام اذنه في يد النخاس داميـة ام قدره وهو بـالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبي علي البصير

عجز الراكب البصير وأولى منه بالعجز راجل مكفوف

وقوله

فلا ترجى الخير عند امرىء مرت يد النخاس في رأسه

وقوله

اخذت بمدحه فرأيت لهوا مقـالا للاحيمق ياحكيم
ولما ان هجوت رأيت عينـا مقالي لابن آوى يالئيم

فهل من عاذر في ذا وهذا فمرفوع الى السقم السقيم

وقوله

لقد كنت احسب قبل الخصي بان الرؤوس محل النهى
فلما نظرت الى رأسه رأيت النهى كلها في الخصى

وقوله

يمشي باربعة على اعقابه تحت العلوج ومن ورآء يلجم
وجفونه ماتستقر كأنها مطروقة أوفت فيها حصرم
وتراه اصغر مائراه ناطقا ويكون أكذب مايكون ويقسم
واذا أشار مكلما فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم
يقلى مفارقة الا كف قذاله حتى يكاد على يد يتعمم

ومن قلائد ابي الطيب ابراز المعاني اللطيفة في معارض الالفاظ الرشيقة الشريفة والرمي بالطرف والملح كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه وبين مدح كافور وقد قصده في بيت واحد وهو

فراق ومن فارقت غير مذمم وام ومن يممت خير ميمم

ثم قال معرضا بسيف الدولة

وما منزل اللذات عندي بمنزل اذا لم ابجل عنده واكرم
رحلت فكم باك بأجفان شادن علي وكم باك باجفان ضيغم

المصراع الثاني تصديق لقوله

* ليحدثن لمن ودعتهم ندم *

وما ربة القرط المليح مكانه باجزع من رب السهام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم

وهذا ايضاً مما نبهت عليه من اجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في كثير من شعره كقوله :

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي واسهمي

وقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة :

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم الى غيوث يديه والشآبيب
الى الذي تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب
ولا يروع بمغدور به أحداً ولا يفزع موفوراً بمنكوب

ومنها

يا ايها الملك الغاني بتسمية في الشرق والغرب عن وصف وتلقيب

يعني انه مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة

انت الحبيب ولكني اعوذ به من ان اكون محباً غير محبوب

وهذا ايضاً من ذاك . وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة سيبه وشكرانه وهو من فرائده

واني لأتبع تذكاره صلاة الاله وسقي السحب
وان فارقتني أمطاره فأكثر غدرانها ما نضب

ومنها في التعريض لكافور بقوله

ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر اظلافه والقتب

وقوله في كافور والتعريض باستزادته

ابا المسك هل في الكاس فضل اناله فاني أغني منذ حين وتشرب

يقول مديحي اياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب

وقوله ايضاً في التعريض بالاستزاده

أرى لي بقربي منك عيناً قريرة وان كان قربا بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب

اقل سلامي حب ما خف عنكم　　واسكت كيما لا يكون جواب

أي كحب ما خف عليكم

وفي النفس حاجات وفيك فطانة　　سكوتي بيان عندها وخطاب

وقوله في الفرس

ويوم كليل العاشقين كمنته　　اراقب فيه الشمس أيان تغرب

وعيني الى اذني أغر كأنه　　من الليل باق بين عينيه كوكب

أي كأنه قطعة من الليل وكأن الغرة في وجهه كوكب وعينه الى اذنه لانه كان لا يرى شيئا فهو ينظر الى اذني فرسه فان رآه قد توحش بهما تأهب الى امره واخذ لنفسه الحذر وذلك أن اذن الفرس تقوم مقام عينيه وتقول اذن الوحشي أصدق من عينيه

له فضلة من جسمه في اهابه　　تجيء على صدر رحيب وتذهب

شققت به الظلماء ادنى عنانه　　فيطغى وارخيه مراراً فيلعب

أي اذا اخذت بعنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه واذا أرخيت عنانه لعب برأسه .

وأصرع أي الوحش قفيته به　　وانزل عنه مثله حين أركب

وقوله في التوديع

واني عنك بعد غد لغاد　　وقلبي في فنائك غير غاد

محبك حيث ما اتجهت ركابي　　وضيفك حيث كنت من البلاد

وقوله

سر حل حيث تحله النوار　　وأراد فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة　　حيث اتجهت وديمة مدرار

واراك دهرك ما تحاول في العدى　　حتى كأن صروفه انصار

انت الذي بجح الزمان بذكره　　وتزينت بحديثه الاسمار

وقوله في الرفق بالصديق والعنف بالعدو

اني لأجبن عن فراق أحبتي　　وتحس نفسي بالحمام فأشجع

ويزيدني غضب الاعادي قسوة　　ويلم بي عتب الصديق فأجزع

وقوله في حسن الكناية

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو　　ق الينا والشوق حيث النحول

وانما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك وهي غير ناحلة فليست مشتاقة وقوله

ابيض ما في تاجه ميمونة

اي عفيف الفرج فكنى به عنه

وقوله في العبادة

لا نعذل المرض الذي بك شائق　　انت الرجال وشائق علاتها

ومنازل الحمى الجسوم فقل لنا　　ما عذرها في تركها خيراتها

أي لا عذر للحمى في تركها جسمك اذ هو افضل الجسوم وقوله

قصدت من شرقها ومغربها　　حتى اشتكتك البلاد والسبل

لم يبق الا قليل عافيــة　　قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله

يجشمك الزمان هوى وحبا　　وقد يؤذى من المقة الحبيب

وكيف تعلك الدنيا بشيء　　وانت لعلة الدنيا طبيب

وكيف تنوبك الشكوى بداء　　وانت المستغاث لما ينوب

وقوله في التهنئة

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم　　وزال عنك الى أعدائك الألم

وما اخصك في برء بتهنئة　　اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقوله

انمـــا التهنئات للاكفـاء ولمن يدني من البعـــداء
وانا منـــك ولايهنئ عضو بالمسرات سائر الاعضاء

وقوله

الصوم والفطر والأعياد والعصر منيرة بك حتى الشمس والقمر
ما الدهر عندك الا روضة أنف يامن شمائله في دهره زهر
ماينتهي لك في ايامه كرم فلا انتهى لك في اعوامه عمر
فان حظك من تكرارها شرف وحظ غيرك منها الشيب والكبر

وقوله

تغير حالي والليالي بحالها وشبت وما شاب الزمان الغرانق «١»

وقوله

تسود الشمس منا بيض او جهنا ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

ومنها حسن المقطع كقوله

قد شرف الله ارضا انت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا

وقوله

سمـــا بك همي فوق الهموم فلست أعـــد يساراً يساراً
ومن كنت بحراً له ياعـ لي لم يقبل الدر الا كبـــارا

وقوله

أنلت عبيـــدك ما أملوه انالك ربك ما تأمـــل

وقوله

وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

«١» الغرانق: الشاب الناعم الجميل

وقوله في حسن الحشو

صلى الاله عليك غير مودع وسقى ثرى ابويك صوب غمام

وقوله

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل مافيها وحاشاك فانيا

وقوله

اذا خلت منك حمص لاخلت ابداً فلاسقاها من الوسمي باكره

ومما اوردوه في حسن الحشو البيت المشهور وهو

ان الثمانين وبلغتهـــا قد احوجت سمعي الى ترجمان

بشريطة ان يكون لفظ . بلغتها بتاء الخطاب. اما اذا كانت للمتكلم فليس منه لكن افادنا المولى المعنون باسمه الشريف هذا الكتاب ان البيت فيه نظر يظهر بالتأمل اذا كان بتاء الخطاب ولم نسمع بهذا النقد من غيره ادام الله علوه وزاد في أوج المعارف سموه فانه المولى الذي تقتبس الفضائل من انواره وتغترف الفواضل من تياره فلا زالت ايامه بالمحامد مشرقة ولابرحت فضائله بالفرائد مغدقة ماسطع بدر العدل ولمع برق الفضل هذا ونوادر ابي الطيب المتنبي غزيرة واخباره كثيرة وقد اخترنا منها مايستظرف ايراده ويطرب الالباب انشاده وقد تم الغرض المقصود والحمد لله الملك المعبود . تم هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب وبحمد الله وعونه وحسن توفيقه والله اعلم بالصواب ,اليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفهرس

المقدمة للاستاذ التنوخي

تنبيه واعتذار : تكررت ارقام الملزمة (٣٢) وارقام صفحتها ولاحظ الترتيب الصحيح عند التجليد

وهناك اخطاء مطبعية اغفلنا بيانها وهي مما لا يكاد يخلو من مثلها كتاب ولا تخفى على القارىء الاديب فمعذرة .